لبنان التوراتي في اليمن

د. لطيف الياس لطيف



- الطبعة الاولى آذار ٢٠٠٠

- توزيع معرض الشوف الدائم للكتاب.
هـ : ٠٥/٥٠٧٥٧٦

- دار الجنوب للطباعة - صيدا

تلفون : ٠٧/٧٢٦٦٥٥ - ٠٣/٢٤٣٥١٢

شكر

أتقدّم بالشكر من كل الذين ساعدوني في إنجاز هذه الدراسة، وبخاصة من الأب الباحث حنا فاخوري لقراءته هذا العمل على المستويين المنهجي والفكري. والأب جورج خوام مدير معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت - حريصا، والأب سميح رعد رئيس مركز مكسيموس الخامس حكيم - عبرا، لقراءتهما المنهجية واللغوية. والأستاذ شفيق تابت، أستاذ اللغة العربية وآدابها في مدرسة الدوحة العالية، لقراءته اللغوية. والطالب في كلية الفلسفة واللاهوت إيلي نصّار، للمساعدة التي قدّمها في تصميم الغلاف وطباعة الكتاب.

وينبغي التشديد هنا، أن النظرية التي تطرحها هذه الدراسة، والنتائج التي تخرج بها، تقع تبعتها عليَّ وحدي، ولا تنسحبُ البتّة على أيٍّ من الذين قاموا بقراءتها، سواء على المستوى المنهجي، أم الفكري، أم اللغوي.

المؤلّف

إلى مَي وسلام وحنين...

لبنان الثوراتي في اليمن

المقدّمة: في المنهج

عندما صدرت دراسة الباحث كمال الصليبي "التوراة جاءت من جزيرة العرب" عام ١٩٨٥، التي عرض فيها للمرّة الأولى، أطروحة جديدة مفادها أن أرض التوراة الأساسيّة، ومملكة كلّ إسرائيل، ليستا في فلسطين، بل في غرب شبه الجزيرة العربيّة، على ساحل البحر الأحمر، في كلّ المنطقة الممتدّة من الطائف شمالاً وحتى مشارف اليمن[١]. بدأ اهتمامي الجدّي بالدراسات التوراتية ومدى صحّة المقولة التقليديّة القائلة بأن أرض إسرائيل الموعودة تمتد من الفرات إلى النيل، التي طالما تساءلت عن مصداقيتها على العموم. وقد أتبع الصليبي دراسته هذه بكتابين آخرين هما "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل"[٢]، و"حروب داود"[٣]، واضعاً فيهما

---

[١] التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، موسسة الأبحاث العربيّة، بيروت ١٩٨٥، ص ١١.

[٢] خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقي، لندن ١٩٨٨.

[٣] حروب داود، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، عمان ١٩٩٠.

دراسته الأولى "على المحك" للتأكد من صحتها على وجه العموم، ولتصحيح ما ورد فيها من أخطاء تفصيلية على وجه الخصوص[٤].

وقد قامت ردات فعل متعدّدة على أطروحة الصليبي هذه، منها ما هو مؤيّد ومتحمّس لها، ومنها ما هو معارض كلياً. ومن أبرز الردود المعارضة التي تصدّت لهذه الأطروحة تحليلاً ونقداً، ما كتبه الباحث المتخصص في الكتاب المقدّس الأب بولس الفغالي في مجلّة "المنارة"، التي تصدرها جمعيّة المرسلين اللبنانيين الموارنة[٥]. ومحاضرة القس غسان إيليا خلف في مركز الحركة الثقافية أنطلياس.[٦]

أما الباحث السوري فراس السواح، فقد أفرد للرد على هذه النظرية كتاباً كاملاً بعنوان: "الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، نظرية كمال الصليبي في ميزان الحقائق التاريخيّة والآثاريّة"[٧]. ويشكل كتاب السواح هذا أبرز الردود على نظرية كمال الصليبي حتى الآن، ليس لأنه على صواب بالضرورة، بل لأنه أكثرها إحاطة وشمولاً.

ومن ردّات الفعل المؤيّدة والمتحمسة لهذه النظرية ما كتبه الباحث اللبناني فرج الله صالح ديب في كتابه: "حول أطروحات كمال

---

٤ خفايا التوراة، المقدمة، ص ٩-١٠.

٥ العددان الأول والثاني، ١٩٨٦، السنة السابعة والعشرين، ص ٢٠٩-٢١٨.

٦ لدينا نسخة مصوّرة من هذه المحاضرة المطبوعة التي تقع في ١٢ صفحة.

٧ صدر عن دار المنارة، دمشق ١٩٨٩. والكتاب يقع في ٣٤٤ صفحة.

الصليبي – التوراة في اللغة والتاريخ والثقافة الشعبيّة"[8]. وبعد مضي خمس سنوات على صدور هذا الكتاب، صدر للباحث صالح ديب كتاب آخر بعنوان: "التوراة العربية وأورشليم اليمنيّة"[9]، يعرض فيه أطروحته حول أرض إسرائيل الأساسيّة. وهو يؤيّد الصليبي في المنحى العام لنظريته القائلة بأن أرض إسرائيل الأساسيّة ليست في فلسطين، لكنه يفترق عنه جزئياً في قوله بأن مسرح قبائل التوراة كان في اليمن وفي محيط صنعاء[10]. ومن الأهمّية بمكان الإشارة في هذا السياق إلى أن دراستنا هذه التي نقدّم لها هنا، تتّفق في خطها العام مع نظرية كمال الصليبي حول أرض التوراة ومملكة إسرائيل، ولا تتفق مع نظرية فرج الله صالح ديب القائلة بأن أرض إسرائيل ومسرح قبائلها كانا في محيط صنعاء باليمن. إن القسم الثاني من دراستنا سوف يلقي الضوء على هذه المسألة حيث يتبيّن لنا من خلال تحليل النصوص التوراتيّة أن موقع لبنان التوراتي وصور وصيدون وحرمون كان في جنوب أرض إسرائيل الممتدّة من بلاد زهران شمالاً إلى جيزان عند

---

[8] صدر عن دار الحداثة، بيروت ١٩٨٩.

[9] صدر عن مؤسسة نوفل، بيروت ١٩٩٤. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب قد صدر بعد مضي عدّة سنوات على بداية إعدادي لهذه الدراسة، لذلك لم يتسنّ لنا العودة إليه في معظم أقسامها.

[10] التوراة العربيّة وأورشليم اليمنيّة، المقدمة ص ٧.

مشارف اليمن جنوباً[11]. ولسنا هنا في هذه المقدّمة بصدد الرد على أطروحة الباحث صالح ديب، لكننا نودّ تذكير القارئ بأننا نختلف معه في التفاصيل أكثر مما نختلف في المنحى العام. وهذا أيضاً ينسحب على أطروحة الصليبي، فقد أشرنا في أكثر من موضع من هذه الدراسة إلى المسائل التي نختلف معه فيها.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن وجود عدد غير قليل من الأسماء التوراتية في اليمن عموماً ومحيط صنعاء خصوصاً، هو الذي دفع بالباحث صالح ديب إلى القول بأن مسرح التوراة كان هناك. لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار ما أشار إليه الصليبي في كتابه حروب داود عن سبي الأسباط العشرة عام ٧٢١ ق.م على يد سرجون الثاني الأشوري إلى ما وراء "نهر السبت" وإلى احتمال أن يكون "نهر جوزن" و"عري مدي" و"حبور" و"هرء" و"حله-زه" في منطقة نجران وجيزان بشمال اليمن[12]، نقول إذا أخذنا بعين الاعتبار أن من الممكن أن تكون الأسباط العشرة قد سُبيت إلى ما بعد نجران وجيزان باتجاه اليمن، فإن ذلك قد يفسر وجود هذا العدد غير القليل من الأسماء التوراتية بصيغها العبرية ذاتها تقريباً في

---

١١ راجع فصل "صيدون وصرفة والنبي إيليا" في القسم الثاني من الدراسة، وبخاصة مسألة انحباس المطر في أرض إسرائيل لمدّة ثلاث سنوات وأكثر، وهجرة إيليا إلى صرفة صيدون الواقعة في اليمن جنوباً.

١٢ راجع حروب داود، ص ٢٥ وما بعدها.

مختلف أنحاء اليمن، وما يفسر أيضاً وجود اليهودية في اليمن منذ عصر ملوك حمير[١٣]، إلى العصر الإسلامي وحتى العصر الحديث.

وإلى جانب أبحاث فرج الله صالح ديب، كتب الباحث السوري أحمد داود سلسلة مقالات نشرت في جريدة الديار اللبنانية[١٤]، فتناول فيها من خلال تحليل المعطيات الجغرافية التي تقدمها النصوص التوراتية مسألة مصر المذكورة في التوراة، مرجحاً أن تكون قرب نهر أرواد في جزيرة العرب.

أما النقد الذي وجّه لنظرية كمال الصليبي، فقد تركز في ناحيتين أساسيتين: الأولى أن المنهج الفيلولوجي لا يشكل أساساً متيناً لنظرية تنكر أن تكون أرض التوراة في فلسطين، وهو بالتالي لا يعدو كونه فرضية لا تصل إلى مستوى اليقين. والثانية أن الاستنتاجات التي يصل إليها المنهج الفيلولوجي هذا، لا تصير حقائق علميّة ثابتة ما لم تسند بالأبحاث والنتائج الأركيولوجية، وهذا ما لا يتوفر لنظرية الصليبي لغياب المسح الأثري لمناطق غربي شبه الجزيرة العربيّة[١٥].

---

١٣ أنظر التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٤٩، هامش رقم ٢٤.

١٤ في أعداد ٢٩/ ٩/ ١٩٩٠ و٣٠/ ١٩/ ١٩٩٠ و١/ ١٠/ ١٩٩٠.

١٥ التوراة جاءت، ص ١٤.

وفي غياب الأسناد الأركيولوجي لمثل هذه النظرية، فإننا نعتقد أن النص التوراتي هو المرجع الأساسيّ لاعطاء حكم ثابت ويقيني في مقولة تتعلّق بوجود أرض التوراة.

وحيث أن دراستنا هذه تهدف إلى إثبات أن لبنان التوراتي ليس لبنان الحالي على الساحل الشرقيّ للبحر الأبيض المتوسط، بل هو لبنان اليمن، فإننا قد اعتمدنا مخططاً منهجياً يمكن أن يكون صالحاً لإعطاء أحكام تقارب اليقين، وإن لم تكن نهائيّة. كما يمكن أن يشكل أرضية متينة بموازاة المنهج الفيلولوجي غير القادر على حسم مثل هذه المقولات في ظل فقدان المعطيات الأركيولوجية.

إن المنهج الذي ترتكز إليه هذه الدراسة هو منهج تحليل النصوص التوراتيّة أو "منطق النص التوراتيّ"، وهو يتحدد بالمسارات التالية:

١ - دراسة تحليلية مقارنة للاحداثيات التي تقدمها النصوص التوراتيّة. ومثالاً على ذلك ما قمنا بتحليله في الفصل الأول من القسم الثاني وهو بعنوان: "لبنان التوراتي في اليمن"، حيث تبيّن لنا أن لبنان التوراتي هو في جنوب أرض إسرائيل بخلاف لبنان الحالي.

٢ - دراسة المعطيات الجغرافية التي تقدّمها النصوص وقراءتها بالمقارنة مع أيّ نص آخر يتعلّق إلى هذا الحدّ أو ذاك بالمسألة موضوع المعالجة. وقد قمنا بمثل هذه الدراسة الجغرافيّة المقارنة في فصل صور

التوراتيّة ربطاً بترشيش وأوفير، حيث أثبتنا أن الإبحار إلى ترشيش لم يكن في البحر الأبيض المتوسط بل في البحر الأحمر. وهذا بخلاف المسلمات التقليديّة السائدة في الدراسات التوراتيّة. إن مسألة موقع ترشيش إن كان في البحر المتوسط أم في جنوب الجزيرة العربيّة، يشكّل مفصلاً أساسياً في تحديد موقع صور التوراتيّة.

٣ - دراسة مقارنة للمعطيات المناخية والنباتية والمائية والحيوانية التي تقدّمها النصوص التوراتيّة. وهذا المسلك المنهجي أخذ مساره في قسمَي الدراسة. ففي القسم الأول تتبعنا النصوص التي تتناول النبات والشجر والأنهر في أرض إسرائيل ومصر، وما يتعلّق أيضاً بالأحجار الكريمة ومعادنها ومواضع تواجدها. وفي القسم الثاني تناولنا مسألة اللبان والمر والصندل ووجودها في لبنان التوراتيّ. كما تناولنا أرز لبنان، وثلج لبنان، ومياه لبنان وأنهاره، وجبال لبنان كحرمون والكرمل.

٤ - الاستعانة بالمنهج الفيلولوجي أو المنهج اللغوي المقارن، وذلك في ضوء المعطيات التي يقدّمها منهج تحليل النصوص التوراتيّة. فالمنهج الفيلولوجي لا يشكل الأساس في هذه الدراسة، كما في دراسة الصليبي "التوراة جاءت من جزيرة العرب"[١٦]، بل يأتي في المرتبة الثانية بعد المنهج التحليلي أو ما نسمّيه منطق النص التوراتي. فإذا توصلنا من خلال الدراسة التحليليّة المقارنة إلى استنتاج مفاده أن ترشيش مثلاً ليست في

---

[١٦] أنظر ص ١٣ وما بعدها.

جنوب إسبانيا، وأن صور التوراتية ليست على الساحل الشرقيّ للبحر المتوسط، وأن صيدون التوراتيّة التي هي أقرب إلى أرض إسرائيل من صور هي مدينة جبلية وليست عند ساحل البحر، وأن عصيون جابر حيث تكسرت السفن التي صنعها يهو شافاط لتسير إلى ترشيش لم تكن عند خليج العقبة، نقول إذا توصلنا من خلال المنهج التحليلي إلى مثل هذه النتائج غير التقليديّة، فهل يمكن للمنهج الفيلولوجي أن يقدّم معطيات على مستوى أسماء الأماكن، يمكن أن تشكل رديفاً إيجابياً للمقولات والأحكام التي تطلقها هذه الدراسة؟ وهنا نودّ أن نشدّد على أننا لم نقم بأية إجتهادات لغوية تتعلّق بفقه اللغة في خلال لجوئنا إلى الاستعانة بالمنهج الفيلولوجي أو منهج مقارنة الأسماء التوراتية بأسماء الأماكن في اليمن وشبه الجزيرة العربيّة. لقد اكتفينا فقط بذكر أسماء الأماكن التي تتطابق كلياً أو جزئياً مع الأسماء التوراتيّة، وتلك التي لم يطرأ عليها تبديل جوهري. أما في حال عدم وجود أسماء أماكن مشابهة للأسماء التوراتيّة[17] في اليمن أو تهامة أو ساحل الجزيرة العربيّة أو بلاد فارس والخليج الفارسي عموماً، فإننا صرفنا النظر عن الاجتهاد اللغوي في هذا الصدد، واكتفينا بالإشارة إلى موقعها المحتمل[18]. وتنقسم هذه الدراسة إلى قسمين رئيسين:

---

١٧ على سبيل المثال لا الحصر نذكر: ميروم ومسرفوت مايم ولايش أولشم وتوحرمة.

١٨ وهذا ينطبق أيضاً على الدراسات التوراتية الكلاسيكيّة المتعلّقة تحديداً بالجغرافية التوراتيّة. فقد اكتفى الباحثون التوراتيّون بتحديد المكان المحتمل لأسماء-

القسم الأول بعنوان: فلسطين والجغرافية التوراتيّة. ويهدف منهجياً إلى مسألتين: الأولى إثبات أن أرض إسرائيل الأساسيّة لم تكن في فلسطين، وأن خروج بني إسرائيل لم يكن من مصر الفرعونية باتجاه سيناء. والثانية مناقشة الباحث فراس السواح في مقولته الأساسية القائلة بأن أبكر الحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين كانت باتجاه بلاد الشام غرباً، وأن كل الحملات التي تلت كانت في الاتجاه نفسه، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بمناطق غرب شبه الجزيرة العربية[19]. وقد أثبتنا من خلال هذه المناقشة أن حكام وادي الرافدين قد وجهوا حملات عسكريّة إلى غرب شبه الجزيرة العربيّة، كان الهدف الأساسي منها تأديب القبائل والممالك التي كانت تشكل عائقاً أمام حركة التجارة من جنوب الجزيرة العربية (اليمن بلاد الطيوب) باتجاه الشمال نحو وادي الرافدين، وبهدف حماية المصالح التجارية للامبراطوريات القديمة والامساك بقوّة بخطوط التجارة الدولية آنذاك[20]. وقد ألمحنا في سياق هذا القسم إلى التقليد

=المواضع التي يصعب إيجاد شبيه لها في أسماء المواقع والقرى والبلدات الحالية في فلسطين ولبنان وغيرهما.

[19] الحدث التوراتي، ص ٨٠.

[20] إن الدوافع التي حدت بحكام وادي الرافدين إلى توجيه حملات عسكرية إلى شبه الجزيرة العربية، هي نفسها تلك التي حدت بحكام وادي النيل إلى توجيه مثل هذه الحملات من قبل. فمنذ عهد السلالة الفرعونيّة الخامسة قاد ساهوري (٢٧٤٣ - ٢٧٣١ ق.م) أول حملة بحرية بطريق البحر الأحمر إلى بلاد تفيض=

السائد عند معظم الاخباريي ن العرب والقائل بأن نبوخذ نصر قـد غـزا تهامة ونجد والحجاز وعسير وحضور في اليمن[21].

إن إثبات غزو حكام وادي الرافدين لغرب شبه الجزيرة العربيـة، يشـكل مفصلاً منهجيـاً في سياق الهدف الذي تصبو إليه هذه الدراسـة. فـإذا كانت أرض إسرائيل الأساسية هناك، وصور التوراتيّة كانت عند سـاحل اليمن، فإن الحملات التي قام بها حكام أشور وبابل ضدّ مملكة إسرائيل عام ٧٢١ق.م وضدّ مملكة يهوذا في ٥٨٧ ق.م، وضدّ صور التوراتية لاحقـاً، قد وجهت بطبيعة الحال نحو غرب شبه الجزيرة العربية.

إن القسم الأول من الدراسة، الذي يتناول المسلّمات السائدة في الدراسات التوراتية، يمهد منهجياً للقسم الثاني وهو بعنوان: لبنان التوراتي في اليمن. ويتناول عبر ستة فصول كل المسائل المتعلّقة بلبنـان التوراتـي وصور وصيدون وحرمون وجبل وأرز لبنان وثلجه وكرمله.

=لباناً. وهي الأسباب عينها التي دفعت بالرومان إلى القيام بحملـة عسـكرية بقيادة إيليوس غالوس عام ٢٤ ق.م إلى جنوب الجزيرة العربية، فوصلـت إلى أبعد من نجران في اليمن (راجع تاريخ العرب المطول، لفيليب حـتي، ص ٦٣، ٧٦-٧٧. كذلك ص ١٧٣، هامش رقم ٣٤ من هذه الدراسة. كذلك العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان، ص ٩٨).

[21] راجع ص ١١٣، كذلك "العرب قبل الاسلام"، لجرجي زيـدان، ص ١٠١-١٠٢.

إن لبنان (لبنون عبرياً) الذي تتناوله هذه الدراسة، هــو فقــط الذي ذكر في أسفار التوراة، ولا يتعلّق البتة بلبنان الذي ذكر في الإنجيــل (العهد الجديد) تحت إسم بلاد فينيقيا. فقد ورد إسم لبنان سبعين مــرة في العهد القديم، أما في العهد الجديد فلم يرد إسم لبنان بل ورد ذكر بــلاد فينيقيا التي تعني دون أدنى شك لبنان الحالي على ساحل المتوسط. إن صور وصيدون وقانا التي جاء إليها السيّد المســيح ومريــم العــذراء وبولــس الرسول[٢٢] هي في لبنان الحالي.

ومما يدعو إلى الاستغراب أن تعبير بلاد فينيقيا الذي شاع عند الإغريق منذ القرن العاشر قبل الميلاد، لم يرد في أسفار التوراة التي كتبت بعــد ذلــك بقــرون. فإذا كانت أرض إسرائيل بجوار فينيقيا فما السبب الذي حــال دون وصول هذا الاسم إلى مسامع كتبة الأسفار؟

ويقول المؤرخ اليوناني هيرودوتس أن فينيقيّي الساحل المتوسطي كانوا في الأصل من سكان ساحل شبه الجزيرة العربية على البحر الأحمــر. وقد يفسر هذا الأمر ربما التقارب اللغوي بين الأبجدية الفينيقيّة والأبجديــة الحميرية. وقد أشار إلى هذا التقارب الباحث فرج الله صــالح ديــب في

٢٢ راجع على سبيل المثال لا الحصر، مرقــس ٣: ٧-٨؛ ولوقــا ٦: ١٧-١٩؛ وأعمال الرسل ٢١: ١-٧ و٢٧: ٣.

السائد عند معظم الاخباريي ن العرب والقائل بأن نبوخذ نصر قـــد غـــزا تهامة ونجد والحجاز وعسير وحضور في اليمن[21].

إن إثبات غزو حكام وادي الرافدين لغرب شبه الجزيرة العربيـــة، يشـــكل مفصلاً منهجيـــاً في سياق الهدف الذي تصبو إليه هذه الدراســـة. فـــإذا كانت أرض إسرائيل الأساسية هناك، وصور التوراتيّة كانت عند ســـاحل اليمن، فإن الحملات التي قام بها حكام أشور وبابل ضدّ مملكة إسرائيل عام ٧٢١ق.م وضدّ مملكة يهوذا في ٥٨٧ ق.م، وضدّ صور التوراتية لاحقـــاً، قد وجهت بطبيعة الحال نحو غرب شبه الجزيرة العربية.

إن القسم الأول من الدراسة، الذي يتناول المسلّمات السائدة في الدراسات التوراتية، يمهد منهجياً للقسم الثاني وهو بعنوان: لبنان التوراتي في اليمن. ويتناول عبر ستة فصول كل المسائل المتعلّقة بلبنـــــان التوراتـــي وصور وصيدون وحرمون وجبل وأرز لبنان وثلجه وكرمله.

=لباناً. وهي الأسباب عينها التي دفعت بالرومان إلى القيام بحملـــة عســـكرية بقيادة إيليوس غالوس عام ٢٤ ق.م إلى جنوب الجزيرة العربية، فوصلـــــت إلى أبعد من نجران في اليمن (راجع تاريخ العرب المطول، لفيليـب حـــتي، ص ٦٣، ٧٦-٧٧. كذلك ص ١٧٣، هامش رقم ٣٤ من هذه الدراسة. كذلك العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان، ص ٩٨).

[21] راجع ص ١١٣، كذلك "العرب قبل الاسلام"، لجرجي زيـــدان، ص ١٠١-١٠٢.

إن لبنان (لبنون عبرياً) الذي تتناوله هذه الدراسة، هــو فقــط الذي ذكر في أسفار التوراة، ولا يتعلّق البتة بلبنان الذي ذكر في الإنجيــل (العهد الجديد) تحت إسم بلاد فينيقيا. فقد ورد إسم لبنان سبعين مــرة في العهد القديم، أما في العهد الجديد فلم يرد إسم لبنان بل ورد ذكر بــلاد فينيقيا التي تعني دون أدنى شك لبنان الحالي على ساحل المتوسط. إن صور وصيدون وقانا التي جاء إليها السيّد المســيح ومريــم العــذراء وبولــس الرسول[22] هي في لبنان الحالي.

ومما يدعو إلى الاستغراب أن تعبير بلاد فينيقيا الذي شاع عند الإغريق منذ القرن العاشر قبل الميلاد، لم يرد في أسفار التوراة التي كتبت بعــد ذلــك بقــرون. فإذا كانت أرض إسرائيل بجوار فينيقيا فما السبب الذي حــال دون وصول هذا الاسم إلى مسامع كتبة الأسفار؟

ويقول المؤرخ اليوناني هيرودوتس أن فينيقيّي الساحل المتوسطي كانوا في الأصل من سكان ساحل شبه الجزيرة العربية على البحر الأحمــر. وقد يفسر هذا الأمر ربما التقارب اللغوي بين الأبجدية الفينيقيّة والأبجديــة الحميرية. وقد أشار إلى هذا التقارب الباحث فرج الله صــالح ديــب في

---

[22] راجع على سبيل المثال لا الحصر، مرقــس ٣: ٧-٨؛ ولوقــا ٦: ١٧-١٩؛ وأعمال الرسل ٢١: ١-٧ و٢٧: ٣.

كتابه "اليمن هي الأصل"[٢٣]، كما أشار في كتابه "التوراة العربية وأورشليم اليمنية" إلى التقارب بين الحميرية والسريانية[٢٤].

ونودّ في هذه المقدمة المنهجية أن نشير إلى التقارب بين الأبجدية العبرية القديمة وكل من الأبجدية الفينيقية والحميرية. وفي هذا التقارب بين العبرية القديمة والحميرية بنوع خاص ما يعطي الإجابة عن التساؤل الذي أثاره الباحث فراس السواح في كتابه "الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم"[٢٥]. وقد يعطي الإجابة أيضاً عن كيفية نسبة فصلين من سفر الأمثال (٣٠ و٣١) إلى شخصيتين ذكرتا في نقوش اليمن هما آجور بن ياقة ولموئيل[٢٦]. فكيف وصلت الحكم والأمثال اليمنيّة إلى مسامع كتبة التوراة، ولم تصل إلى مسامعهم أوغاريت وحضارتها العريقة طالما أنها أقرب بكثير من جنوب الجزيرة العربيّة وسبأ اليمنيّة[٢٧].

---

٢٣ صدر عن دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٤ وما بعدها.

٢٤ التوراة العربية، ص ٤٦ وما بعدها.

٢٥ في ردّه على الصليبي يتساءل السواح قائلاً: إذا كانت مملكة إسرائيل مجاورة لليمن، فلماذا لم تذكر في النقوش اليمنية؟ (الحدث التوراتي، ص ٢٩٧).

٢٦ أنظر ما أشرنا إليه، ص ٢٠٩، هامش رقم ٩٧.

٢٧ أليس مستغرباً حقاً أن لا تذكر أوغاريت وهي أقرب لمملكة إسرائيل من حماه (حمت) التوراتيّة المعتبرة حماه السورية عند كلّ الباحثين التوراتيّين دون استثناء (أنظر الحدث التوراتي لفراس السواح، ص ٢٨١ - ٢٨٢). وقد أشار سفر إرميا إلى حكمة اليمن في ٤٩: ٧.

وسوف نورد أدناه جدولاً بالأبجديات الحميرية والفينيقية والعبريّة القديمة وما يقابلها في العربيّة. ونترك للقارئ أن يكتشف بنفسه مدى التقارب بين العبرية والحميرية. فمن أصل الحروف الاثنين والعشرين التي تتشكل منها هذه الأبجديات الثلاث، نجد عشرين حرفاً مشتركاً على الأقل بين العبرية القديمة والفينيقية، وعشرة حروف على الأقل مشتركة بينهما وبين العربيّة الجنوبية (الحميرية)[٢٨].

وإذا كان الباحث فراس السواح يعتقد أن أخبار دويلات اليمن، باستثناء زيارة ملكة سبأ لسليمان، لم ترد في التوراة، فإننا سوف نبيّن في سياق هذه الدراسة أن ما ذكر من مناطق اليمن وحواضرها يعدّ بالعشرات، في حين أن جبيل لم ترد في النصوص التوراتيّة إلاّ مرّة واحدة، وليس مؤكداً أنها تشير إلى جبيل اللبنانيّة[٢٩]. ومما يدعو إلى الاستغراب

---

٢٨ أنظر جدول الأبجديات المرفق، ص ٢٥. هذا ويذهب المستشرق مرغليوت إلى أن الوطن الأصليّ للعبريين لم يكن في شبه جزيرة سيناء، وإنما كان في بلاد اليمن التي كانت مهداً لشعوب كثيرة منذ أقدم الأزمنة التاريخيّة. ويستدل مرغليوت على رأيه هذا بوجود ألفاظ كثيرة مشتركة بين اللغتين السبئية والعبرية، وبأن هناك شبهاً عظيماً ملحوظاً بين بعض العادات الاجتماعيّة والتقاليد الدينيّة عند السبئيين وبني إسرائيل وذلك في كتابه Relations between Arabs and Israelites. راجع كتاب "دروس اللغة العبرية" تأليف ربحي كمال، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٣، ص ٣٥.

٢٩ أنظر فصل صور التوراتيّة وجبل.

والتساؤل أن من بين الذين عارضوا "نحميا" في إعادة بناء سور أورشليم بعد العودة من السبي في القرن الخامس قبل الميلاد[٣٠]، رجلاً عربيًا يُدعى "جشم" لم يكن فرداً على الأرجح بل قبيلة. فإذا كان "جشم" قبيلة عربية تقيم بين نجد وتهامة، فلماذا يعارض بناء سور أورشليم في فلسطين[٣١].

ويقول جرجي زيدان في كتابه "العرب قبل الإسلام" إن آلهة اليمن أقرب إلى معبودات البابليين من عرب الشمال. فعندهم عشتار وأيل وبعل وغيرها، أما الشماليون (أو العدنانيون في الحجاز ونجد) فآلهتهم تختلف عن تلك كاللات والعزى ومناة وهبل وغيرها[٣٢]. لكن ما لم يقله جرجي زيدان هو أن آلهة اليمن، ليس فقط أقرب إلى آلهة البابليين، بل

---

٣٠ نحميا ٢: ١٩ و٦: ١-٦.

٣١ يعود نسب بني جشم إلى وائل بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، من عرب الشمال. ويذكر الأخباريون العرب أن نبوخذ نصر (ويسمونه بختنصّر) غزا بلاد العرب، فسار إلى الحجاز واقتتل قتالاً شديداً مع معد بن عدنان في ذات عرق. وإذا صحّ ذلك فإن بني معد العدنانيين كانوا قبيلة كبرى في القرن السادس قبل الميلاد. أما منازل ربيعة التي يعود إليها بنو جشم، فكانت بذات عرق وما يليها من بلاد نجد إلى الغور من تهامة. وليس هناك -على حدّ علمنا- أيّ ذكر عند النسابين والأخباريين إلى وجود بني جشم في الاطراف الشماليّة للجزيرة عند بادية الشام أو شرقيّ فلسطين. (راجع كتاب "العرب قبل الإسلام" لجرجي زيدان، ص ١٠٢، ١٧٥، ١٨٣. كذلك "معجم البلدان" لياقوت الحموي، ج٣، ص ٣٧).

٣٢ أنظر ص ١٧٢.

هي عينها آلهة الفينيقيين والعبرانيين في مراحل معينة من تطورهم الدينيّ[٣٣]. فكيف يمكن تفسير هذا التشابه في أسماء الآلهة بين الفينيقيين والعبرانيّين من جهة، والحميريين السبئيين في جنوب الجزيرة من جهة أخرى، في حين أن هؤلاء الأخيرين هم الأبعد من عرب الشمال عن فينيقيا وفلسطين التي كما يعتقد كانت أرض إسرائيل الأساسيّة؟

ومما تجدر الاشارة إليه في نهاية هذه المقدمة المنهجية، أن الكتاب المقدس عند اليهود يقتصر على الأسفار العبرانية مما يُسمّى بالتوراة والانبياء والكتب، ومجموعها تسعة وثلاثون سفراً. والتوراة (أو الشريعة) هي في الأساس الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى موسى (التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية). ونحن إذ نستعمل تعبير "التوراة" فإننا نقصد به مجمل أسفار العهد القديم، وليس فقط الأسفار الموسوية، فقد غدا هذا الأمر متعارفاً عليه لدى الباحثين في هذا الحقل.

---

٣٣ نقول في مراحل معينة من التطور الديني عند العبرانيّين، أي في الفترات التي عبدوا فيها آلهة أخرى إلى جانب يهوه. فعبدوا إيل وبعل وعشتار وغيرها (أنظر على سبيل المثال لا الحصر سفر القضاة ١٠: ٦).

الأبجديّة العربيّة	الأبجديّة الحميريّة	الأبجديّة الفينيقيّة	العبريّة القديمة
أ			
ب			
ج			
د			
هـ			
و			
ز			
ح			
ط			
ي			
ك			

الأبجديّة العربيّة	الأبجديّة الحميريّة	الأبجديّة الفينيقيّة	العبريّة القديمة
ل			
م			
ن			
س ---			
غ			
ف			
ص			
ق			
ر			
س ش			
ت			

القسم الأوّل

فلسطين والجغرافية التوراتيّة

تمهيد:

أوّل ما يتبادر إلى الذهن السؤال عمّا إذا كانت مصر التوراتيّة (وفي العبريّة مصرايم) هي ذاتها مصر وادي النيل أو مصـــر الفرعونيّـــة. ونحن سنحاول الإجابة عن هذا السؤال في سياق هذا القسم، معتمدين في الدرجة الأولى على النص التوراتيّ منهجاً وتحليـــلاً، وعلـــى الســـجلات الأشوريّة والبابليّة التي ذكرت "مصري"، في الدرجة الثانية.

وقبل الولوج في هذه المسألة الشائكة فعلاً، نتوقف عند بعض الطروحات التي تناولتها، سواء من زاوية الاقرار أو التأكيد على أن مصر التوراة هي مصر وادي النيل، أو من زاوية الرفض.

إن أوّل مَن أشار إلى احتمال كون مصر التوراتيّة هي غيرهـــا مصر وادي النيل، هو المستشرق "وينكلر" في رسالته "مصري وملوخـــا ومعين"، حيث يرى أن "كوش" و"مصر" المذكورتين في التوراة لا يقصد بهما الحبشة ومصر، بل جزيرة العرب وشمالها. وقد جاء بأمثلة من التوراة

ليبين بأن مصر التوراتيّة هي في بلاد العرب لا في إفريقيا[1]. وأثارت نظريّة وينكلر هذه جدلاً بين العلماء وقوبلت بنقد شديد لأنها تعارض ظاهرة نصوص التوراة.

ويقرن وينكلر كذلك بين "مصري" المذكورة في السجلات الأشوريّة، ومصر المذكورة في التوراة، باعتبار أنهما تشيران إلى أرض واحدة، لا في وادي النيل، بل في الجزيرة العربيّة[2].

ويطرح المؤرخ كمال الصليبي في كتابيه "التوراة جاءت من جزيرة العرب" و"خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل"[3]، ولأول مرّة، نظرية جديدة متكاملة في هذا الخصوص مؤكداً أن مصريم وكوش الواردتين في التوراة هما في غرب الجزيرة العربية وتحديداً في عسير الداخلية.

---

[1] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٦، ج١، ص ٥٥٧، ٥٥٨.

[2] يقصد وينكلر "مصري" المذكورة في نصوص تغلت فلاصر الثالث (٧٤٧ - ٧٢٧ ق.م) وسرجون الثاني (٧٢٤ - ٧٠٥ ق.م) على وجه الخصوص. المرجع السابق، ص ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٨٤.

[3] التوراة جاءت من جزيرة العرب، كمال سليمان الصليبي، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربيّة، بيروت ١٩٨٥، وخفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقي، لندن ١٩٨٨.

ويرى الصليبي أن مصريم تشير بالتأكيد إلى مصر في بعض الفقرات التوراتيّة، كما في الملوك الأول ١٤: ٢٥ وما يلي، وفي أخبار الأيام الثاني ١٢: ٢ وما يلي، وأيضاً في الملوك الثاني ٢٣: ٢٩، وفي أخبار الأيام الثاني ٣٥: ٢٠ وما يلي، وفي إرميا ٤٦: ٢. أما في أماكن أخرى من التوراة فإن إسم مصريم يشير إلى أيٍّ من مواقع عديدة في غرب شبه الجزيرة العربيّة، بما فيه قرية المصرمة (مصر)، ويلفظ إسمها محلياً المصرامة (مصرعمة)، في مرتفعات عسير بين أبها وخميس مشيط، أو قرية مصر (مصر) في وادي بيشة في عسير الداخل. والباحث عن كوش في ذلك الجوار العام يجدها فوراً في الكوثة (كوث) قرب خميس مشيط. وهذه عبارة عن واحة تقع على مسافة قريبة شرق أبها، وبالتالي في المنطقة ذاتها التي توجد فيها قرية المصرمة[4].

أما نهر مصر (نهر مصريم) المعتبر تقليدياً نهر النيل (كما في تكوين ١٥: ١٨، عدد ٣٤: ٥)، فهو لم يكن بنظر الصليبي نيل مصر، بل وادي لية (أو أحد روافد وادي لية) الذي ينبع من الجبال اليمنية ويجري في ناحية سامطة جنوب منطقة حيزان. ويبدو أن هذا الوادي

---

[4] التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٩٣، ٩٤.

عرف في الأزمنة التوراتيّة باسم نهر مصريم أو نحل مصريم نسبة إلى قرية من حوض هذا الوادي تعرف اليوم بالمصرم°.

وسوف نستعرض فيما يلي من هذا القسم مصر المذكورة في السجلات الأشوريّة، وبالتالي الحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين غرباً باتجاه ساحل البحر المتوسط أو جنوباً باتجاه غرب شبه الجزيرة العربيّة. ومن خلال ذلك سنتبيّن إذا ما كانت مصر وادي النيل هي المقصودة في سجلات أشور وبابل دون استثناء، أم المقصود مصر أخرى غير مصر الفرعونيّة. وهذا سوف يستتبع منهجياً -كما أشرنا في المقدّمة- إلى مناقشة فراس السواح في أطروحته القائلة بأن كل الحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين كانت موجهة، دون إستثناء، نحو بلاد الشام عموماً.

° المرجع السابق، ص ٢٦٠. كذلك: "خفايا التوراة"، ص ١٤٨-١٤٩، ٢٠٣ وما بعدها.

١- الحملات الأشورية على بلاد العرب

وفي معرض حديثه عن فترة المدّ الأشوري خلال حكم الملك شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م)، ينقل لنا الباحث فراس السواح أخبار الحملات المتواصلة التي قادها هذا الملك ضدّ بلاد الشام وإماراتها وملوكها. ويتوقف عند معركة قرقرة التي جرت برأيه في منطقة حماه على نهر العاصي[٦]، فيذكر من أخبار هذه الحملة ما يلي: "هب إلى ساح المعركة "حدد عدري" ملك "إمرشو" Imerisu، ومعه ١٢٠٠٠ عربة و١٢٠٠ فارس و٢٠٠٠٠ جنديّ: وإرخوليني ملك "حماة" Amat ومعه ٧٠٠ عربة و٧٠٠ فارس و١٠٠٠٠ جنديّ. و"آخاب الإسرائيليّ" ومعه ٢٠٠٠عربة و١٠٠٠٠ جنديّ. ومن "مصري" Musri جاء ١٠٠٠ جنديّ، ومن "قوية" Que ٥٠٠ جنديّ، ومن "عرقاقا" Arquanata ١٠٠عربة و١٠٠٠٠جنديّ. وجاء "ما تينوبعل" من "أرواد" ومعه ٢٠٠جنديّ، وأمير "أشناتو" Usanata ومعه٢٠٠ جنديّ، و"أدنوبعل" من سيانو" Shian ومعه ٣٠ عربة و١٠٠٠ جنديّ، و"جنديبو" العربيّ ومعه ١٠٠٠جمل، و"بعشا" أمير رحوبي، ومعه...، ومن "عمون...

---

[٦] أنظر كتابه "الحدث التوراتي"، ص ٩٢ وما بعدها.

فكانوا إثني عشر ملكاً هبوا في وجهي للمعركة الحاسمة". وفي حين يعتبر السواح أن مسرح هذه المعركة كان دون أدنى شك، على نهر العاصي في سوريا، وإن أمرشو هي دمشق، وأمت هي حماه السورية، وقوية مملكة صغيرة على شاطئ المتوسط الشمالي في الأراضي التركية الآن بين نهرَي سيحان وجيحان، وأشناتو إلى الجنوب من مدينة جبلة الحالية في سوريا، وسيانو إلى الشرق من مدينة جبلة الحالية. وفي حين يرى كذلك أن جنديبو العربيّ كان على رأس القبائل العربيّة في شمال الجزيرة العربيّة وبلاد الشام، لايرى أيّ موقع مفترض لمصري المذكورة في سجل هذه المعركة، فهي مملكة مجهولة في نظره حتى الآن[7].

لكننا نعتقد أن "مصري" هذه، المذكورة في سجل شلمنصر الثالث، والتي ذكرت في السجلات الأشوريّة اللاحقة، وبخاصة سجلات تغلث فلاصر الثالث وسرجون الثاني، هي مملكة صغيرة أو إمارة في الحجاز[8]. وسوف نورد في ما يلي بعض الأدلّة على هذا الاعتقاد.

---

[7] المرجع السابق، ص ٩٨.

[8] ويرجح الصليبي في "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، أن تكون "مصري" المذكورة في نص سرجون الثاني هي آل مصري في منطقة الطائف. (أنظر ص ١١٦، ١٤٨، ٢٤٧). وسوف نرى لاحقاً أن مصر التي ذرت في مجال–

يرد في أخبار تغلت فلاصر الثالث (٧٤٧ - ٧٢٧ق.م) عن حملته على بلاد العرب التي قام بها في السنة التاسعة لملكه، أنه قهر ملكة عربيّة اسمها "سمي" أو "شمي" وإضطرّها إلى دفع الجزية له. وذكر في النص أن هذه الملكة العربيّة قد أضناها التعب والجوع وخارت قواها المعنويّة بعد فرارها إلى إقليم "بازو".

وبعدما أدّت "شمي" الجزية إلى ملك آشور، دفعت عدّة قبائل عربيّة الجزية له. فقد ذكر الملك أنه تسلّم الجزية ذهباً وفضة وإبلاً وطيوباً من مسأي (Mas'a) وتيما وسبأ وخيابه (Hayapa) وبطنه (Batana) وخطي (Hatti) أو خط (Hatte) وأدبئيل (Idibail). وقد ورد أن هذه القبائل كانت تقطن في أراضي تقع في الغرب في أماكن بعيدة. ويقصد بتعبير أماكن بعيدة، البادية حيث يصعب الوصول إليها[٩].

بعد ذلك، وفي السنة ٧٣٤ق.م، عيّن تغلت فلاصر عربياً يُدعى "أدبئيل" في وظيفة "قيبو" (Képu)، أي والياً على "مصري" ليديرشؤونها بالنيابة عنه. ويحتمل أن يكون هذا الرجل -على رأي موسل- شيخاً من قبيلة أدبئيل التي أدّت الجزية مع غيرها من القبائل

=مجال الحديث عن موطن الاسماعيليين (تكوين ٢٥: ١٨) هي على الأرجح آل مصري.

٩ المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ج١، ص ٥٧٩.

العربيّة إلى ملك آشور[10]. فهل "مصري" المذكورة في نص تغلت فلاصر الثالث هي مصر وادي النيل؟. وهل يعقل أن يعين ملك آشور شيخاً عربياً في وظيفة "قيبو" على مصر الفرعونيّة؟. إن المنطق التاريخيّ ينفي ذلك قطعاً، والسجلات الفرعونيّة لم تذكر لنا قط مثل هذه الحادثة في تاريخ الأسر الفرعونيّة التي تعاقبت على حكم وادي النيل. من هنا نرى أن "مصري" المذكورة في نص تغلت فلاصر، ليست إلاّ إمارة عربيّة كانت مناطق نفوذها على الأرجح تمتدّ من الحجاز حتى وادي بيشة شرقي جبال السراة حيث ما زالت حتى اليوم قرية مصر.

ومما يؤكّد وجهة نظرنا هذه - أو على الأقل يجعلها أكثر احتمالاً- ما ورد في نص تغلت فلاصر من أن هذه القبائل (ومن بينها قبيلة أدبئيل) كانت تقطن في أماكن بعيدة في البادية يصعب الوصول إليها، أي في بادية نجد وما يليها إلى الحجاز[11].

---

[10] المرجع السابق، ص ٥٨٤.

[11] نحن نعتقد أن تعبير "الأماكن البعيدة" أو البادية حيث يصعب الوصول، الوارد في نص تغلت فلاصر الثالث، إنما يقصد به بادية نجد في الجزيرة العربيّة وليس بادية الشام. لأنه إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن بعض الحملات الأشوريّة قد وجهت نحو بلاد الشام عموماً، فإنها بذلك تكون قد تجاوزت بادية الشام بالتأكيد. وسوف نعود إلى مناقشة هذه المسألة فيما بعد.

ويحدّثنا سرجون الثاني (٧٢٤-٧٠٥ق.م) أنه في السنة السابعة من حكمه أدّب لموداي وأباديدي ومرسماني وخيابه وهزمهم، ونقل من أُسِر منهم إلى السامرة (Samaria). ثم يذكر بعد هذا الخبر أنه تلقى الجزية من سمسي ملكة أريبي (العرب) ومن برعو (Pir'u) ملك مصري(Musiri) ومن يثع أمر (it'amra – يثعمر) السبئي. وذكر أن الجزية كانت من الذهب وحاصلات الجبل والحجارة الكريمة والعاج وأنواع البذور والخيل والأبل.

وقد ورد في بعض ترجمات نص سرجون، أنه نقل الأعراب الذين ينزلون في مواقع نائية في البادية، ولم يعرفوا حاكماً رسمياً، ولم يدفعوا جزية إلى أيّ ملك سابق، نقلهم إلى السامرة وأسكنهم فيها[١٢].

وورد في هذه الترجمات بعد جملة "ويثع أمر السبئي": "ومن هؤلاء الملوك ملوك على الساحل، ومنهم ملوك في البادية. تسلّمت منهم جزية تبراً وأحجاراً كريمة...". وهذا يدلّ بشكل قاطع على أن أولئك الملوك كانوا يحكمون أراضي واسعة تمتدّ من بادية نجد إلى سواحل البحر الأحمر. ومما لا يدع مجالاً للشك بأن مصري المذكورة في نص سرجون كذلك، ليست على الأطلاق مصر الفرعونيّة، وورود عبارة "برعو ملك مصري" مترافقة مع سمي ملكة العرب ويثعمر السبئي الذي هو بلا أدنى

١٢ المرجع السابق، ص ٥٨٥، ٥٨٦.

شك من ملوك دولة سبأ اليمنيّة التي لم تكن تبعد كثيراً على مملكة مصري في وادي بيشة جنوب الحجاز[١٣].

وانطلاقاً مما تقدّم، وربطاً بما ورد عند الباحث فراس السواح، من أن معركة قرقرة قد جرت على نهر العاصي قرب حماه السورية، فإننا نتساءل: لو سلّمنا جدلاً بأن الممالك التي ذكرت في نص شلمنصر الثالث (إمرشو - أرخوليني - أمت - قوية - عرقاتا وغيرها) هي في بلاد الشام، يبقى السؤال الأساسيّ وهو: كيف تسنّى للملك "مصري" أن يشارك في هذه المعركة بعشرة آلاف جنديّ ومملكته تبعد عن حماه السورية ما لا يقل عن ألفي كيلومتر. وحتى لو فرضنا أن "مصري" كانت في أعالي الحجاز، فإنها سوف تكون بعيدة عن حماه السورية ما بين ١٢٠٠ و١٤٠٠ كيلومتر على أقل تقدير، وهذه المسافة لا يمكن قطعها بأقلّ من ٧٠ يوماً. فكيف تسنى لملك مصري الاستعداد لهذه المعركة والوصول إلى نهر العاصي، طالما أن استعداده وإنطلاقه لا بدّ أن يكونا قد بدأا بعد توغل الجيش الأشوري في بلاد الشام وإقترابه من منطقة حماه السورية.

---

[١٣] حول ملوك دولة سبأ ومكاربها، راجع جرجي زيدان، في "تاريخ العرب قبل الإسلام"، بدون تاريخ إصدار، ص١٢٣، ١٢٤. حيث يشير إلى يثعمر السبئي الذي دفع الجزية إلى سرجون الثاني، ويعدّه من ملوك سبأ الأوائل.

وفي مجال الحديث عن الحملات الأشوريّة على بلاد العــــرب، وما إذا كانت قد وجهت فعلاً نحو غرب شبه الجزيرة العربيّة أم لا، لا بدّ من التوقف عند مقولة فراس السواح في هذا الصدد. فبعد كلامـــه عـــن الحملات السومرية المبكرة على بلاد الشــــام بقيـــادة ســـرجون الأول (٢٣٧١- ٢٣١٦ ق.م) وخليفته نارام سن، يقول: "وهكذا نجد أن أبكر الحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين، غرباً كانت موجهة ضدّ بلاد الشام. ولسوف نثبت بالدليل القاطع فيما يلي من هذا الفصل أن كـــــل الحملات التي تلت كانت في الاتجاه نفسه، ولا علاقة لها من قريـــــب أو بعيد بمناطق غرب شبه الجزيرة العربيّة"[١٤]. لكنه يعود في نهايـــة الفصــــل المتعلّق بسجلات وادي الرافدين ليعدل جزئياً في رأيه هذا قائلاً: "ولقـــــد كان للأشوريين غزوات موجهة نحو جزيرة العرب كما هو واضح مــــن سجلاتهم. ولكن أخبار حملاتهم تلك توضح وبصريح العبارة أنها كانت موجهة ضدّ القبائل التي أطلقوا عليها إسم "أريبو" Aribu أي العرب"[١٥]. ويفهم من رأيه هذا أن الحملات الأشوريّة لم تستهدف أعمــــاق بــــلاد العرب في نجد والحجاز وتهامة حتى سواحل البحر الأحمر، بل "كـــــانت موجهة ضدّ القبائل العربيّة المقيمة أو المتجوّلة بين بادية الشام والمنـــاطق

---

[١٤] الحدث التوراتيّ، ص ٨٠.

[١٥] المرجع السابق، ص ١٢٤.

الشماليّة في شبه الجزيرة العربيّة، وبين ضفاف الفرات الأدنى وصحراء النقب، وأنها لم تتوغل كثيراً إلى أعماق بلاد العرب"[16].

أما كيف يصل إلى أستنتاجه وتوكيده هذا، فذلك من خلال قراءته لنص حملة تغلت فلاصر الثالث[17] على بلاد العرب، والذي سجّله

---

[16] المرجع السابق، ص١٢٥. وتجدر الإشارة هنا إلى أن وجهة نظر السواح هذه، تتفق تماماً مع رأي فيليب حتّي في كتابه "تاريخ العرب"، دار غندور للطباعة والنشر، ط ٥، بيروت ١٩٧٤، ص٦٦، حيث يرى في حديثه عن حملة تغلت فلاصر الثالث على بلاد العرب ومواطن القبائل التي أدّت له الجزية، أن هذه القبائل "كانت تقطن شبه جزيرة سيناء والبادية الواقعة في شمالها الشرقيّ" (أي بادية الشام). ويذهب كذلك إلى هذا الرأي جواد علي في "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، ص٤٦١. ويرى قاموس الكتاب المقدّس (ص ٧٥) أن القبائل الاسماعيلية "كانت تسكن الجزء الشمالي من شبه جزيرة العرب على حدود فلسطين وأرض ما بين النهرين". وهذا التحديد الجغرافي يبدو محاولة لتفسير عبارة سفر التكوين ٢٥: ١٨ "من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيئ نحو أشور"، وهو ما يردده السواح بكل دقّة. (نذكر القارئ بأننا نعتمد "قاموس الكتاب المقدّس" الصادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، تأليف نخبة من الأساتذة واللاهوتيين بإشراف د. بطرس عبد الملك، د. جون ألكسندر طمسن، الأستاذ ابراهيم مطر، ط ٢، بيروت ١٩٧١).

[17] سبق وسجلنا هذا النص نقلاً عن كتاب "المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام" لجواد علي (أنظر ص ٣٥). ولا نجد تعارضاً في الجوهر بين النصين، بل إن التعارض قائم في الواقع بين قراءتنا للنص وقراءة السواح له: فنحن=

على النحو التالي: "أما "شمسة" ملكة العرب، فقد قتلت من أتباعها ١١٠٠ رجل وأخذت ٠٠٠، ٣٠ جمل، و٠٠٠، ٢٠ رأس ماشية و٥٠٠٠ صندوق من التوابل و١١ طاسة مكرّسة لآلهتها. أما هي فقد هربت بحياتها إلى مدينة "بازو" في إقليم العطش كحمار وحش بريّة. وأهل معسكرها لما أضناهم الجوع قد... ولكنها عادت بعد أن أدركت مدى جبروتي وقوتي، وجلبت إليّ جمالاً ذكوراً وإناثاً ... أما أهل "مسعاي" و"تيما" Tema و"حطيا -Hattia، وأهل "إيدي بعل" Idiba'leans، و"السبئيون" وأهل "حيابا Haippaa و"بادانا"Badana من أقاليم الغرب التي لم يسمع بها أو يعرف بلادها أحد، فقد سمعوا أخبار سلطتي وخضعوا لحكمي، وجلبوا إليّ جميعاً الجزية"[18].

وهنا نسأل: هل إن أقاليم الغرب التي لم يسمع بها أو يعرف بلادها أحد، هي في المنطقة الممتدّة بين بادية الشام والمناطق الشماليّة في شبه الجزيرة العربيّة، وبين الفرات الأدنى وصحراء النقب؟. أم هي في أعماق بلاد العرب بين نجد والحجاز وتهامة؟

=نقرأه في ضوء جغرافية أعماق الجزيرة بين نجد والحجاز، وهو يقرأه في ضوء المنطقة الممتدّة بين الفرات الأدنى وبادية الشام والمناطق الشماليّة من شبه الجزيرة العربيّة حتى صحراء النقب. وسوف نرى في سياق هذه المناقشة أيّ القراءتين هي الأكثر صوابيّة.

[18] الحدث التوراتي، ص ١٢٥.

نقرأ في سجل حدد نيراري الثالث (٨١٠-٧٨٣ق.م) أنه أخضع "بلاد حاتي، وكل أراضي "آمورو"، وصور، وصيدا، وأرض عمري، وايدوم، وبلاد الفلستيين، إلى البحر الكبير حيث تغرب الشمس"[١٩]. فإذا كان هذا الملك الأشوري الذي سبق تغلت فلاصر الثالث بنصف قرن على الأقل، قد أخضع بلاد إيدوم (وهي أدوم التوراتيّة)، وبلاد أدوم كما يفترض عادة -والسواح يؤكد على ذلك- تمتدّ من جنوب البحر الميت في فلسطين حتى خليج العقبة على البحر الأحمر[٢٠]. فكيف يمكن أن يخضع بلاد أدوم الواقعة جنوب شرق صحراء النقب دون أن يسمع أو يعرف عن هذه القبائل المقيمة أو المتحولة بين بادية الشام وصحراء النقب كما يقول السواح؟! طالما أن نص تغلت فلاصر الثالث يقول بكل وضوح أن هذه القبائل "لم يسمع بها أو يعرف

---

[١٩] المرجع السابق، ص ١٠٣.

[٢٠] يفترض الباحثون التوراتيون عادة، أن أرض أدوم التوراتيّة تقع جنوب البحر الميت الفلسطيني (يم، هـ - ملح). ويذكر قاموس الكتاب المقدّس أن إقليم أدوم يمتدّ مسافة مائة ميل بين البحر الميت وخليج العقبة، على جانبي غور العربة (تكوين ١٤: ٦/ ٣٢: ٣/ ملوك ثاني ٣: ٨، ١٢). (أنظر قاموس الكتاب المقدّس، الصادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ط٢، بيروت ١٩٧١، ص ٣٩). وفي عصر سليمان، أي في القرن العاشر قبل الميلاد، كانت أرض أدوم تصل إلى البحر الأحمر، إذ نقرأ في الملوك الأول ٩: ٢٦، أن سليمان "عمل سفناً في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحر سوف في أرض أدوم".

بلادها أحد" قبله. أليس من المفترض منطقياً أن يسمع بها أو يعرف عنها حدد نيراري الثالث، أو عن بعضها[٢١]. فسواء كان اجتياحه لبلاد أدوم من الشمال عن طريق الساحل السوريّ (وهذا هو الطريق الذي يفترضه السواح)، أو من الشرق عن طريق بادية الشام باتجاه جنوب فلسطين، فهو لا بدّ بالضرورة أن يكون قد اصطدم بإحدى هذه القبائل المنتشرة بين بادية الشام وصحراء النقب، أي إلى الشرق، وإلى الغرب من بلاد أدوم.

إن "أقاليم الغرب" حيث تقطن قبائل "مسأي" و"تيما" و"سبأ" و"خيابة" و"بطنة" و"خطي" (أو خط) و"أدبئيل" (أو الدبيل)، ليست حسب رأينا في المنطقة الممتدّة بين بادية الشام وصحراء سيناء، بل هي في المنطقة الممتدّة بين نجد والحجاز وتهامة حتى الأطراف الشمالية

---

[٢١] نقول "عن بعضها"، لأن السواح يفترض أن هذه القبائل إما مقيمة، أو متحولة بين بادية الشام وصحراء النقب، فإذا كان معظمها إلى الشرق من أرض أدوم، فلا بدّ أن يكون بعضها إلى الغرب منها في صحراء النقب. وإذا كانت أقاليم الغرب التي يذكرها نص تغلت فلاصر واقعة بين بادية الشام وصحراء النقب، كما يرى السواح، فكيف لم يسجل لنا نص حدد نيراري الثالث أية إشارة -ولو عابرة- إلى وجود مثل هذه الأقاليم والقبائل على مقربة من أرض أدوم. فهل وقعت مصادفة تاريخيّة بحيث لم تكن أية قبيلة منها في صحراء النقب أثناء اجتياح حدد نيراري لأرض أدوم. لكن تعبير "أقاليم الغرب" كما نرى، يشير إلى مناطق ثابتة توجد فيها هذه القبائل.

لليمن. أي إنها تمتدّ من واحة تيماء في أعالي الحجاز إلى سبأ في شمال شرقي اليمن.

٢- مواطن القبائل الاسماعيلية

ويرى بعض الباحثين أن مسأي (مسا Mas'a) هي قبيلة مسا (Massa) المذكورة في التوراة[٢٢]. وهي قبيلة إسماعيلية كانت منازلها في شرق موآب، أو في جنوبها الشرقيّ. وبرأي موسل أنها لم تكن بعيدة جداً عن فلسطين. لكن ذورمه (Dhorme) يرى أنها قبيلة من قبائل العربيّة الجنوبيّة، ونحن نوافقه هذا الرأي بالرغم من أن معظم الباحثين التوراتيين يستبعدون ذلك قطعاً، لأن القبائل الاسماعيليّة لم تكن تمكن العربيّة الجنوبيّة[٢٣].

وتجدر الإشارة إلى أن "مسا" و"أدبئيل" المذكورتين في نص تغلث فلاصر الثالث هما من أبناء إسماعيل بن ابراهيم من زوجته هاجر المصريّة[٢٤]. وتذكر التوراة لاسماعيل إثني عشر ولداً هم في الواقع أسماء قبائل عربيّة كانت مواطنها "من حويلة إلى شور التي أمام مصر"[٢٥].

---

٢٢ تكوين ٢٥: ١٤.

٢٣ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٥٨٠.

٢٤ تكوين ٢٥: ١٣، ١٤.

٢٥ تكوين ٢٥: ١٨.

وذكر في التوراة كذلك في جملة الأقوام والقبائل العربيّة "الهاجريون" نسبةً إلى هاجر أم إسماعيل، وعليه يمكن اعتبار الهاجريين هؤلاء هم الاسماعيليون أنفسهم[٢٦]. والهاجريون كانوا في أيام شاول (أوائل القرن العاشر قبل الميلاد) يسكنون شرقي أرض جلعاد التي اعتبرت وبدون أي مسوغ أنها شرقي الأردن[٢٧].

وإذا عدنا إلى النص التوراتي في معرض كلامه عن قصّة يوسف بن يعقوب مع إخوته، نقرأ أنهم باعوه إلى قافلة من التجار الأسماعيليين "مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلساناً ولاذناً ذاهبين لينزلوا بها إلى مصر"[٢٨].

---

[٢٦] قاموس الكتاب المقدّس، ص ٩٩٤. كذلك المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٤٦١-٤٦٢. وفي أخبار الأيام الأول ٥: ١٩، جاء ذكر الهاجريين بالترافق مع يطور ونافيش (وهما من أبناء اسماعيل، تكوين ٢٥: ١٥). وقد حاربهم بنو إسرائيل و"سكنوا في خيامهم في جميع جهات شرق جلعاد" (أخبار أول ٥: ١٠).

[٢٧] أخبار أول ٥: ١٠، ١٩، ٢٠/٢٧: ٣١. كذلك قاموس الكتاب المقدس، ص٢٦٤. كذلك حزقيال، ٤٧: ١٦-١٨.

[٢٨] تكوين ٣٧ : ٢٥. وتجدر الإشارة إلى أن الصليبي قد أشار إلى هذه المسألة في كتابه "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل" (ص١٥٥، ١٥٦)، وذلك في معرض تحليله لجغرافية قصة يوسف في التوراة. أما نحن فإننا نطرحها هنا في سياق بحثنا عن أرض جلعاد التوراتيّة التي سكن في شرقها الاسماعيليون-

فمن خلال هذا النص نستنتج وبشكل قاطع أن أرض جلعاد، التي تنتج بنوع خاص اللاذن، لا يمكن أن تكون في شرقي الأردن. لأن اللاذن هو من حاصلات اليمن وقد اشتهر به منذ القدم. وكان هيرودوتس يرى أن "بلاد العرب كلها كانت تفوح بالعطر والطيوب"، لأنها كما قال "البلاد الوحيدة التي تنتج المرّ واللبان والاقاصيا والقرفة واللاذن..."[٢٩]. أما الجغرافي سترابون الذي يسمّي جنوب الجزيرة العربيّة (أي اليمن) "بلاد الطيوب"، فيقول: "وبلاد السبأي بلاد مزدحمة السكان... وهي أخصب تلك الأراضي على الإطلاق، ثمارها المرّ واللبان والقرفة..."[٣٠].

وقد ترك لنا مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأريتري (٥٠-٦٠م) وصفاً مجملاً لسوق موزا وهي مخا الحالية في اليمن الواقعة على ساحل البحر الأحمر إلى الشمال من باب المندب، يقول فيه: "... وتصدر البلاد حاصلات أرضها: فاخر المرّ والصمغ المعيني"[٣١].

=الهاجريون (ومنهم قيلنا مسا وأدبئيل)، وكذلك في إطار مناقشتنا لفراس السواح حول مواطن القبائل التي ذكرت في نص تغلث فلاصر الثالث.

[٢٩] تاريخ العرب، لفيليب حتّي (ذكر سابقاً)، ص ٧٧.

[٣٠] المرجع السابق، ص ٧٧-٧٨.

[٣١] بالمرجع السابق، ص ٨١-٨٢.

فإذا ثبت أن أرض جلعاد التوراتيّة لا يمكن أن تكون منطقة شرقي الأردن، أي المنطقة الواقعة إلى الشرق من فلسطين، وإذا صحّ ما نفترضه من أن جلعاد التوراة التي تنتج الكثيراء (النكعة أو صمغ القتاد)[٣٢] والبلسان واللاذن، هي جلعاد اليمن، فإن بني إسماعيل (أو الهاجريين) لا بدّ أنهم كانوا في زمن بني إسرائيل يقيمون في المنطقة الممتدّة من شرق اليمن (أو من نجران) إلى الشمال باتجاه عسير الداخل وأطراف الحجاز ونجد.

ثم أن قراءة العبارة التوراتيّة القائلة بأن مساكن بني اسماعيل تمتدّ "من حويلة إلى شور التي أمام مصر"، في ضوء النصوص التوراتية

---

[٣٢] وردت كلمة "كثيراء" في الترجمة الانجيلية للكتاب المقدّس الصادرة عن دار الكتاب المقدّس في العالم العربي. وفي الطبعة الكاثوليكيّة (دار المشرق، بيروت ١٩٨٦) وردت كلمة "نكعة". وفي الترجمة اليسوعيّة، وهي إحدى الترجمات الحديثة للكتاب المقدّس، صادرة عن جمعيات الكتاب المقدّس في المشرق، دار المشرق، بيروت ١٩٨٩. وردت عبارة "صمغ قتاد"، وربما كان صمغ شجر الطلح الذي ينبت في البادية العربيّة ويستخرج منه الصمغ العربيّ، الذي يعدّ من أهم حاصلات عسير. (أنظر تاريخ العرب، لفيليب حتّي، ص ٤٥-٤٦/ كذلك "صفة جزيرة العرب"، للهمداني، ص ٣٠١). وفي لسان العرب (ج٢، ص ٥٣٢) الطلح له برمة طيبة الريح وليس في العضاه أكثر صمغاً منه. أو أنه صمغ شجر القتاد، وهو "شجر شاك صلب ينبت بنجد وتهامة" (لسان العرب، ج٣، ص ٣٤٢). وفي الحالتين، لا الطلح ولا القتاد ينبتان في جلعاد الشامية.

الأخرى التي تتحدّث -وبشكل خاص- عن "حويلة" هذه، سوف يلقي مزيداً من الضوء على المسألة التي نحن بصددها، أي مسألة ما إذا كانت مساكن بني إسماعيل (ومنهم مسا وأدبئيل) بين بادية الشام وصحراء النقب، أم في أعماق الجزيرة العربيّة؟

إن حويلة الواردة في التوراة، كانت أرضاً تخص بني يقطان وبني كوش على السواء. فبني كوش كما يذكر سفر التكوين (١٠ : ٧) هم "سبأ وحويلة وسبتة ورعمة وسبتكا". ويقطان ولد "الموداد وشالف وحضرموت ويارح وهدورام وأوزال ودقلة وعوبال وأبيمايل وشبا وأوفير وحويلة ويوباب". وكان مسكنهم "من ميشا حينما تجيئ نحو سفار جبل المشرق" (تكوين ١٠: ٢٦-٣٠). ويذكر قاموس الكتاب المقدّس أن حويلة هي "مقاطعة في بلاد العرب، يسكن بعضها الكوشيون، ويسكن البعض الآخر اليقطانيون، وهم شعب سامي. والصلة بين حويلة وحضرموت وأماكن أخرى تشير إلى موقع في وسط البلاد العربيّة أو جنوبها. ويفضل البعض أن يحققها بمنطقة خولان في القسم الغربيّ من بلاد العرب شمالي اليمن. ولا يعرف إلى أيّ حدّ كانت تمتدّ الحويلة شمالاً، ومن قصة حرب شاول مع العمالقة قد نستنتج أن قسماً من الصحراء العربيّة يمتدّ عدّة مئات من الأميال شمال اليمامة، يحمل إسم حويلة". (صموئيل أول ١٥: ٧. وتكوين ٢٥: ١٨)[٣٣].

---

[٣٣] قاموس الكتاب المقدّس، ص ٣٢٩-٣٣٠.

وعن "رعمة" الواردة في تكوين ١٠: ٧، يرى قاموس الكتاب المقدّس أنها "مقاطعة في الجنوب الغربيّ من بلاد العرب، كانت تتجر مع صور بالطيب والحجارة الكريمة والذهب"[٣٤]. وهي مترافقة مع سبأ عند حزقيال (٢٧: ٢٢) كما في سفر التكوين، مما يوحي أنها في موقع قريب من سبأ اليمنية.

وفي سفر التكوين (٢: ١٠-١٢) نقرأ: "وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنّة. ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. إسم الواحد فيشون، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيّد. هناك المقل وحجر الجزع". وتفيد القواميس العربيّة (كما قاموس الكتاب المقدّس) أن المقل (وبالعبرية بدلح) عبارة عن صمغ أو مضاغ يستخرج من شجرة الدوم (وتُسمّى أيضاً شجرة المقل)، وهي من نبات شبه الجزيرة العربيّة والهند وإفريقية (مصر والسودان). وقد ذكرها الهمداني في "صفة جزيرة العرب" تحت باب "نبات أرض نجد من الشجر

---

٣٤ المرجع السابق، ص ٤٠٦.

كلّه"[٣٥]، كما ذكر موضعاً في اليمن يُدعى "ذو الدوم" وهو وادٍ في الجوف من أوطان نهم قرب وادي خب[٣٦].

والجزع (وبالعبريّة شوهام) حجر كريم يميل لونه إلى الحمرة. وقد ذكر الهمداني من معادن الجوهر "معدن الرضراض"، ويقع بعد مأرب إلى الجوف شرقي مخلاف خولان العالية[٣٧]. وفيه إلى جانب الفضة

---

٣٥ صفة جزيرة العرب، تأليف لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، أشرف على طبعه حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٧، ص ٣٠١.

٣٦ المرجع السابق، ص ٣١٤. ولا شك أن الاسم "ذو الدوم" نسبةً إلى شجر الدوم الذي يوجد في منطقة الجوف اليمنية. ثم أن "الصمغ المعيني" الذي ذكره صاحب كتاب الطواف حول البحر الأرتيري (أنظر ص٤٧)، والذي اشتهرت به دولة معين اليمنيّة، هو في الراجح صمغ شجر الدوم أو المقل الذي ذكر في التوراة. هذا، ودولة معين اليمنيّة كان مركزها في الجوف، وقد ذكر الهمداني في "الصفة" عن مالك بن حريم قوله:

سنحمي الجوف ما دامت معينٌ بأسفله مقابلة عرادا" (أنظر ص ٣١٧).

٣٧ ويعلّق محقق "الصفة" (ص ٣٦٤، هامش رقم ٢) على ما ذكره الهمداني بقوله: "معادن البقران (بالضم) والعقيق والجزع في الأماكن المذكورة أشهر من غيرها وفي غيرها، وكانت منتشرة متداولة في البلدان النائية، وكان يتهادى بها ويفتخر". ويذكر الهمداني أودية الرضراض قرب "حريب" التي تسمّى حريب نهم (وهي حريب الفرامش أو حريب نهم والرضراض) نسبةً إلى قبيلة نهم التي تنزل فيها، وهي قبيلة من بكيل. وقد أشرنا منذ قليل-

والحديد "فصوص البقران، ويبلغ المثلث بها مالاً، وهو أن يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود. والبقران ألوان، ومعدنه بجبل أنس"[٣٨].

وإنطلاقاً مما تقدّم، فإننا نرى أن أرض الحويلة حيث المقل وحجر الجزع، كانت على الأرجح في منطقة الجوف اليمنيّة شرق خولان، مع أن المقل والجزع والذهب قد يوجد في أماكن أخرى من شبه الجزيرة العربيّة. لكننا نرجح الجوف كموقع أكثر احتمالاً من غيره للحويلة التوراتية، ليس فقط للاعتبارات التي تقدم ذكرها، بل للأدلّة التالية التي سنوردها بالإضافة إلى ما سبق:

أ - إن بني يقطان الذين سكنوا في أرض الحويلة (بالإضافة إلى بني كوش)، كانوا ثلاث عشرة قبيلة كما جاء في سفر التكوين. ومن المرجح أن إحدى هذه القبائل اليقطانيّة (وليس كلها)، قد سكنت أرض الحويلة. فالابن الثاني عشر ليقطان يحمل إسم "حويلة"،

-إلى أن وادي الدوم في الجوف (حيث المقل) هو من مواطنهم كذلك. ويذكر الهمداني أيضاً قرية في الرضراض تُدعى "سامك"، وهي قرية المعدن. ويشير المحقق إلى أنها لا تعرف اليوم (أي في زمنه). (أنظر ص١٥٢، هامش رقم١). ويشير ياقوت في معجم البلدان (ج٦، ص ٨٦) إلى ظفار اليمن وهي قرب صنعاء، وإليها ينسب الجزع الظفاري.

[٣٨] ضفة جزيرة العرب، ص ٣٦٤. كذلك تاريخ العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان، ص ١٤٦، حيث يربط ذهب خولان بالحويلة التوراتية.

وهذا الاسم إما أنه جاء نسبة إلى الأرض التي توطنتها هذه القبيلة، أو أن حويلة قد أعطى إسمه للأرض التي نزل فيها مع عشيرته -وهـــذا هـو الراجح- لأنه في الغالب قد سميت المواقع والمواطن الجغرافيّة بأسماء القبائل والعشائر والبطون التي نزلت فيها، فنقول مثلاً: ديار خولان، ديار بكر، أرض الجعافرة، أرض كنعان. ومهما يكن من أمر الاسم، فإن بني يقطان كانت مساكنهم "من ميشا وأنت آتٍ نحو سفار جبل المشرق"، ولا بـــدّ أن حويلة كانت ضمن هذين الموقعين اللذين تحددهما التوراة في إطـــار الامتداد الجغرافيّ لليقطانيين.

ب - وميشا الحدّ الأول لليقطانيين[٣٩] هي "موزا" التي ذكرت في كتاب "الطواف حول البحر الأريثري" (٥٠-٦٠م)، والـــتي ذكرها بطليموس في خريطته لشبه الجزيرة العربيّة[٤٠]. وربما كانت "مخـــا"

---

[٣٩] يرى قاموس الكتاب المقدّس (ص٩٣٩) أن "ميشا" تقع على التخم الشـــرقيّ لأرض اليقطانيين ؟!. ولست أدري كيف تكون حدود اليقطانيين من الشرق وإلى الشرق؟ أما جواد علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام"، فيعتبرها الحدّ الشمالي لأرض اليقطانيين، بحيث يكون موقعها في رأس الخليج العربيّ، أو في نجد، أو في بادية الشام. "أو أن يكون في مكان آخر في غيرهذا الموضع الذي تصوره علماء التوراة، كأن يكون في شمال اليمن مثلاً، وبذلك يستقيم التحديد كل الاستقامة مع ما هو شائع ومعروف من أن أرض اليمن وبقية العربية الجنوبية هي أصل موطن اليقطانيين" (أنظر ص٤٢٣، ٤٢٤).

[٤٠] أنظر "تاريخ العرب"، لحتي وجرجي وجبور، ص ٨٠-٨١.

الميناء اليمني على ساحل البحر الأحمر شمالي باب المندب[11]، أو كانت "موزع" المدينة اليمنية القديمة الواقعة شمالِ شرق المخا[12].

ج- أما سفار فقد ذكرت في آداب اليونان والرومان تحت إسم "سيفار" أو "سفار"، وهي في الراجح ظفار عاصمة الدولة

---

[11] يشير فيليب حتّي في "تاريخ العرب" إلى أن موزا التي ذكرت في كتاب الطواف حول البحر الأريتري هي مخا الميناء اليمني. (أنظر ص ٨١). أما أن تكون مخا هي "ميشا" التوراتيّة، فهو لا يقول ذلك صراحة، بل يلمح تلميحاً. (أنظر ص ٩٠).

[12] نرجح أن تكون "ميشا" هي "مَوْزَع" (بفتح الميم والزين وتسكين الواو) وليس "مخا". وموزع مدينة قديمة ما زالت عامرة آهلة بالسكان، وإن كانت كارثة السيول ما برحت تنتقص من أطرافها. وتقع في الشمال الشرقي من ميناء المخا بمسافة ثلاثين كيلاً. وقد عثر في بعض خرائبها على مسند حميري. ويذكر محقق "صفة جزيرة العرب" بأنه إطلع بنفسه على مسند مبنيّ به في أسفل أحد دعائم جامعها الأثري، ولا تعرف كتابته لقدمها. وفي أعلى واديها العظيم كان يقوم سدّ كبير لا تزال أطلاله شاخصة. (الصفة، ص ٧٢، هامش رقم٢). ويذكر ياقوت في "معجم البلدان"، أن كلمة "موزع" شاذة القياس لغوياً لأن كل ما كان من الكلام فاؤه حرف علّة، فإن المفعل منه مكسور العين مثل موعِد وموردِ وموصِل. (ج ٥، ص ٢٢١). من هنا نرى أنها هي التي ذكرت في كتاب "الطواف" وفي جغرافية بطليموس تحت إسم "MYIA" (باليونانيّة)، MOZA (باللاتينيّة)، ولم يكتب حرف العين لعدم وجوده صوتياً، والأرجح أن كلمة "موزع" العربيّة هي تحريف للكلمة العبريّة "ميشا" أو "ميشع".

الحميرية الواقعة على بعد مئة ميل إلى الشمال الشرقي من مخا، على الطريق المؤدية إلى صنعاء. ولا تزال آثارها ماثلة للعيان على قمة تل مستدير بجوار بلدة يرم الحديثة[43]. ولعل في هذا ما يوضح عبارة سفر التكوين "من ميشا وأنت آتٍ نحو سفار جبل المشرق". ويعتبرها جواد علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" "الحدّ الجنوبيّ لبلاد اليقطانيين، وذلك باجماع آراء علماء التوراة"[44]. وهذا الرأي غير المسند إلاّ بإجماع علماء التوراة، لا يتفق في نظرنا مع منطق النص التوراتي القائل بوضوح لا لبس فيه أن سفار تجيئ إليها باتجاه المشرق وليس الجنوب. ويختلف الباحثون التوراتيون في تحديد الموقع المفترض لسفار. فمنهم مَن يرى أنها ظفار عاصمة الدولة الحميرية القديمة، ومنهم مَن يفضل أن يقرنها بظفار حضرموت لشهرتها وقدمها[45]. لكننا نرى أن هذا الخلاف يبقى محصوراً في إطار جغرافية جنوب غرب شبه الجزيرة العربيّة بين اليمن وحضرموت. وسواء كانت سفار ظفار حضرموت (بالضم) أم ظفار اليمن (بالفتح)، فإن مساكن بني يقطان تبقى -كما يُرجح- من مخا غرباً وإلى الشرق باتجاه عمان.

---

[43] أنظر "تاريخ العرب"، لفيليب حتّي، ص ٩٠. كذلك "الصفة" للهمداني، ص ٣٦٥.

[44] أنظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٤٢٣.

[45] المرجع السابق، ص ٤٢٤. كذلك قاموس الكتاب المقدّس، ص ٤٦٧.

د - وقد رجحنا منذ قليل، أن تكون سفار هي ظفار عاصمة الدولة الحميريّة، وذلك لأنها ذكرت في آداب اليونان والرومان تحت نفس الاسم الوارد في سفر التكوين. ولأنها تقع على تل كما يقوله النص التوراتي بالتحديد (سفار جبل المشرق). فلو كان كاتب السفر يقصد بها ظفار حضرموت، لما قال -في اعتقادنا- سفار جبل المشرق، بل لكان اكتفى بالقول سفار المشرق. فظفار التي كانت قديماً أهم مدن حضرموت والمركز الرئيسيّ لتجارة اللبان (وهي ذُفر اليوم من مقاطعات الساحل)، لم تكن تقع على تل أو جبل بل كانت موقعاً ساحلياً[46].

هـ - ثم إن ظفار حضرموت هي على الأرجح "أوفير" التوراتيّة[47] التي كانت تأتي إليها سفن سليمان وحيرام (ملك

[46] أنظر "معجم البلدان"، لياقوت الحموي، طبعة مصر ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م، ج٦، ص ٨٦ وما بعدها.

[47] هذا وقد اشتهرت أوفير -بنوع خاص- بذهبها (أخبار أول ٢٩: ٤/ أيوب ٢٢: ٢٤، و٢٨: ١٦/ مزمور ٤٥: ٩/ أشعيا ١٣: ١٢). وفي إرميا ١٠:٩ ودانيال١٠: ٥، وردت عبارة "ذهب أوفاز". وقد غير التلمود والترجمة السريانية كلمة "أوفاز" في هذين الموضعين إلى أوفير. (قاموس الكتاب المقدّس، ص ١٣٨). وأوفاز على الأرجح هي أوفير ذاتها لورودها مترافقة مع ترشيش في إرميا ١٠: ٩. وسفن ترشيش كانت تذهب إلى أوفير في طلب الذهب (ملوك أول ٢٢: ٤٨؛ بالمقارنة مع أخبار ثاني٢٠: ٣٥-٣٧).=

صور التوراتيّة)[٤٨] طلباً للذهب وخشب الصندل والحجارة الكريمة (ملوك أول ٩: ٢٧-٢٨، ١٠: ١١/ أخبار ثاني ٩: ١٠). وقد وردت "أوفير" كاسم لأحد أبناء يقطان في تكوين ١٠: ٢٩، بالترافق مع حضرموت وشبا[٤٩]، مما يزيد من احتمال كونها ظفار حضرموت وليس

=وكلمة أوفاز (خاصة إذا قرئت بالراء بدل الزين) متقاربة لفظياً -كما أوفير- من الكلمة العربيّة ظفار. (وحول إمكانيّة المقابلة بين حرف الزين العبريّ وحرف الراء العربيّ، مثل: بزق (عبرياً) أي برق بالعربيّة، أنظر المعجم الحديث، عبري-عربي، لربحي كمال، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٥، ص٢٠-٢١).

٤٨ إننا نستعمل تعبير صور التوراتية لتمييزها عن صور اللبنانية. وسوف نعود إلى هذه المسألة في فصل لاحق تحت عنوان: "صور التوراتيّة وجبل"، محاولين الإجابة عما إذا كانت صور التوراتيّة هي ذاتها صور اللبنانية أم لا؟

٤٩ وردت شبا في جملة أبناء يقطان. وفي تكوين ٢٥: ٢ يرد "شبا" الابن الأول ليقشان بن ابراهيم من زوجته قطورة. كذلك "شبا" من أبناء رعمة الابن الرابع لكوش، والابن الأول لكوش هو "سبا" بالسين المهملة، (تكوين ١٠: ٧). وفي ملوك أول ١٠: ١، ٤، ١٠، ١٣/ وأخبار ثاني ٩: ١، ٣، ٩، ١٢/ وأيوب ٦: ١٩، هي شبأ في الأصل العبريّ رغم أنها مترجمة سبأ. وعليه فإننا نرى أن النص العبريّ يذكر شبأ وسبأ، وقد اعتبرتا تقليدياً على أنهما تشيران إلى إسم واحد أو موضع واحد (والشين العبرية يقابلها في العربية شين أو سين) هو سبأ اليمنية أو السبئيون. (قاموس الكتاب المقدّس، ص ٤٥٢، ٥٠٤). لكننا نميل إلى الاعتقاد بأنهما تشيران إلى موضعين مختلفين، فحيث ترد بالسين فهي تشير إلى سبأ اليمنية، وحيث ترد بالشين=

ظفـــــار اليمن[٥٠].

و - وبصدد الأسماء الأخرى التي وردت في لائحـــــة أبناء يقطان، وهي على ما نرى أسماء قبائل وأماكن. فقد عالجها بإسهاب

=فهي تشير على الأرجح إلى شبوة (أو شباه) التي ذكرها الهمداني في صفـــة جزيرة العرب (ص١٧٥) وهي مدينة لحمير بين بيحان وحضرمـــوت. ولمـــا إحتربت حمير ومذحج خرج أهل شبوة من شبوة فسكنوا حضرموت وبهـــم سميت شبام (قاعدة حضرموت فيما بعد)، وكان الأصل في ذلك شباه فابدلت الميم من الهاء. وقد كانت شبوة قاعدة إقليم حضرموت في العصر الحضـــاري (من القرن الخامس إلى الأول قبل الميلاد) ومركزاً رئيســـياً لتجـــارة اللبـــان (البخور). وجاء ذكرها في المساند الدهريـــة وفي الآداب اليونانيّـــة باســـم "سبونا". وتقع شرقي مأرب بمسافة ثلاثة أيام. وقد ورد عند إرميـــا ٦: ٢٠. "لماذا يأتيني اللبان من شبا وقصب الذريرة من أرض بعيدة". (وأشعيا: ٦٠ :٦)

٥٠ نشير هنا إلى أن أوفير (أي ظفار حضرموت) و حضرمـــوت وشبـــا (أي شبوة أو شباه) تقع خارج الإطار الجغرافي الذي نفترضه لمساكن بني يقطـــان (من موزع إلى ظفار اليمن)، أي باتجاه الشرق نحو عمان. فليـــس يمنـــع أن تكون القبائل اليقطانية قد توسعت شرقاً وشمالاً على إثـــر ازديـــاد بطونهـــا وفروعها وضيق المراعي بمواشيها. وفي تقديرنا أن كتبة التوراة قـــد حشـــروا القبائل اليقطانية الثلاث عشرة في حدود جغرافية ضيقة نسبياً، لأن ما دونوه في أسفارهم "إنما هو حاصل ما بلغ إليه علمهم في ذلك الزمن من أمر هـــذه القبائل. فلم تكن معارف أولئك الكتبة يومئذ أكثر من هذا الـــذي ذكـــروه ودونوه على نحو ما وصل إلى علمهم ومســـامعهم". (أنظـــر "المفصـــل في تاريـــخ العرب قبل الإسلام"، لجواد علي، ص٤٢٤).

جواد علي في كتابه: "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسـلام"، دون أن يقدم رأياً قاطعاً في تعيين مواقعها وحدودها الجغرافيّة[51]. وسنكتفي هنا بالإشارة إلى اثنين من هذه الأسماء، هما أوزال (أو ازال) وحويلة.

أما أزال، فقد ذكر أهل الأخبار أن صنعاء عاصمة اليمن كان اسمها في الجاهلية "ازال"[52]. وذكرها الهمداني في "صفة جزيرة العرب"، حيث يقول المحقق أن صنعاء لا زالت تسمى بأزال إلى يوم الناس، وقد جاء ذكرها مصرحاً به في المسند الذي عثر عليه في قرية حاز. كما أن الإمام نشوان بن سعيد قال: إنها تنسب إلى ازال بن يقطن (قحطان بن عابر بن شالخ)[53]. وهناك "أزال، أخرى في اليمن هي مقاطعة من آل عمار من ذي رعين[54].

---

[51] أنظر "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، ص ٤٢٤ وما بعدها.

[52] معجم البلدان، لياقوت، ج١ ص٢١٤/ ج٥ ص ٣٨٧.

[53] صفة جزيرة العرب، ص ٨١. ويقول الهمداني كذلك أن سام بن نوح هو أول مَن ارتاد حقل صنعاء بعد الطوفان (الغرق المتعالي) (الصفة، ص ٣٥١).

[54] المرجع السابق، ص ٨١ هامش رقم ٣. كذلك ص ١٤٠.

٣- حويلة وشور في التوراة

وفيما يتعلّق بحويلة فإننا أشرنا قبل قليل أنها لابدّ أن تكون ضمن الإطار الجغرافي العام لامتداد بني يقطان. إذ لا يعقل أن تكون مساكن اليقطانيين في العربية الجنوبيّة[٥٥]، وتكون حويلة التوراتيّة في بادية الشام أو على مقربة من خليج العقبة[٥٦]. وقد ذهب البعض إلى أنها في أواسط جزيرة العرب، أو في منطقة جبل شمر، ورأى "كلاسر" أنها في اليمامة[٥٧]. وفي رأيي أن افتراض اليمامة أو أواسط جزيرة العرب عموماً، يبدو أكثر معقولية من افتراض بادية الشام أو خليج العقبة. فلو فرضنا أن قبائل اليقطانيين قد توسعت خارج إطارها الجغرافيّ (وهذا ما ألمحنا إليه

---

٥٥ يتفق الأخباريون العرب، عموماً، على أن مواطن بني يقطان كانت في اليمن وبقية العربيّة الجنوبيّة. ويذكر الطبري في تاريخه أن بني يقطن لحقَت باليمن، فسميت اليمن حيث تيامنوا. (دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٧٩، ج١، ص ٢٠٩). ويشير الهمداني في "صفة جزيرة العرب" إلى بلد قحطان في اليمن (ص٢٥٢).

٥٦ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٤٣١.

٥٧ المرجع السابق، كذلك ص ٤٣١.

قبل قليل)، فإن المنطق يقضي بالقول أن بعضاً منها قد انتقل للسكن والرعي شرقي مواطنه الأساسيّة باتجاه عمان واليمامة، أو شمالاً باتجاه نجد والحجاز، قبل أن ينتقل إلى بادية الشام أو صحراء النقب[٥٨].

ويذكر الهمداني في "الصفة" قرية في اليمن تُدعى "حوالة"، وهي في وادي نخلة في جنوب غرب اليمن على مقربة من حيس[٥٩]. كما يذكر بني حوال في مخلاف أقيان الذي يسمّى أيضاً مخلاف شبام. وشبام هذه "قرية بها مملكة بني حوال"[٦٠]، كان اسمها قديماً "يحبس" ويسكنها مع الحوليين آل ذي حدن وبقايا الأقيانيين[٦١]. وفي الجزء الثامن من "الأكليل" يذكر أنه عثر في قصر يشيع (غربي شمال ريدة) على مساند حميرية ورد فيها إسم الحواليين الحميريين[٦٢].

لكن كمال الصليبي في كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، يرى أن "حويلة التي قيل أن "فيشون" يحيط بها، هي اليوم قرية

---

٥٨ يقول الهمداني في الصفة: "فلمّا كثرت قحطان وضاقت بها فحاجها، ساق بعضهم بعضاً فانتجعوا أرضاً فارضاً"، (أنظر ص ٣٧٦).

٥٩ صفة جزيرة العرب، ص ١٢٠، ١٣١.

٦٠ المرجع السابق، ص ٢٣١.

٦١ المرجع السابق، ص ٢٣٢.

٦٢ المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣. كذلك "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، لجواد علي، ص ٤٣١.

حوالة (حوله) في سراة غامد إلى الشمال من النماص[٦٣]. وفي معرض بحثه عن جرار التي تقع بين قادش وشور حسب سفر التكوين ٢٠: ١، يحدد

---

[٦٣] التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص٢٧٣-٢٧٤. وتجدر الإشارة إلى أن لنا على تحديد الصليبي لجنة عدن في وادي بيشة، بعض الملاحظات التي تخرج عن نطاق هذه الدراسة، لذا سنوجزها فيما يلي: في بحثه عن أرض نود الواقعة شرقي عدن، والتي خرج إليها قايين هارباً من وجه الرب (يهوه) عقاباً له على قتل أخيه هابيل (تكوين ٤: ١٦)، لم يجد الصليبي مكاناً بهذا الاسم (أي نود) في شبه الجزيرة العربيّة كلها، إلاّ في شمال شرقي اليمن حيث هناك قرية خربة إسمها "نودة" ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص ١١٥، ٢٤٥). ومع أن هذه القرية الخربة تحمل نفس الاسم التوراتيّ لأرض نود دون أي تعديل، فقد استبعد الصليبي أن تكون أرض نود في منطقة شرقي اليمن، لأنها لا تتلاءم مع الإطار الجغرافي الذي يفترضه لجنة عدن التوراتيّة. لذا عمد إلى الاجتهاد في تفسير كلمة "نود" بالعودة إلى جذرها العبري، فوجد أنهم تعني "تاه أي تنقل من مكان إلى آخر دون جدوى" (أنظر التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص٢٧٨). وعليه فقد أصبحت أرض نود "أرض التيه والقفار"، إلى الشرق من وادي بيشة حيث قفار نجد والصحراء العربيّة. لكن النص التوراتيّ يقول بكل وضوح أن قايين خرج إلى أرض نود وسكن فيها عمّر مدينة (أو قرية) ودعاها على اسم ابنه البكر "حنوك"، فهل تكون أرض نود أرض التيه والقفار؟ وفي تقديرنا أن الصليبي في تحليله لقصة "جنة عدن" في ضوء جغرافية وادي بيشة وروافده، يستبعد أية إمكانية أخرى قد تكون أكثر صواباً. فلماذا لا تكون جنة عدن في اليمن (في مأرب، خولان أو الجوف مثلاً) حيث هناك أكثر من جنة أو جنينة ذكرها الهمداني في الصفة=

"شور" بقرية "آل أبو ثور" (ثور، قارن بالعبرية شور) في وادي بيشة[٦٤].
وعليه فإن بني إسماعيل الذين كانت مساكنهم "من حويلة إلى شور التي أمام مصر"، قد توطنوا -حسب جغرافية الصليبي- منطقة شرقي السراة في عسير الداخل، من سراة غامد شمالاً إلى وادي بيشة جنوباً.

وفي رأينا أن تحديد الصليبي لحويلة وشور يحتاج إلى إعادة نظر وتقويم، إستناداً إلى المعطيات الجغرافية التي يقدمها النص التوراتي. من هنا فإن لنا على هذا التحديد الملاحظات التالية:

أولاً: إن نص التكوين ٢٥: ١٨ يحدد مساكن بني إسماعيل من "حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور". فهو هنا يتحدث عن ثلاثة أمكنة هي:"حويلة" و"شور" و"أشور"، وليس عن اثنين فقط. والمكان الثالث أي "أشور" -وكما يفهم من النص- يُفترض أن يكون

-(ص ١٣٦، ١٥٠، ٢٤٤)، كما ذكر وادي جيحان (قابل مع جيحون التوراتي المحيط بأرض كوش) إلى الشرق من رداع (أنظر ص ١٩٤)، وهو غير بعيد عن المكان الذي نفترضه لحويلة. (أنظر ص٥١، هامش رقم ٣٧).

٦٤ التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص٦٤، ٩٨. وقرية "آل أبو ثور" تقابل عملياً المصرمة في منطقة خميس مشيط، والتي يفترض الصليبي أنها مصر التوراتيّة. وتجدر الإشارة إلى أن "شور" التكوين ١٦: ٧، يحددها في "التوراة جاءت من جزيرة العرب" (ص ٦٤) بقرية "بني ثور" في وادي بيشة. ويحددها في "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل" (ص ١٤٣) ببلدة "بني سار" شرقي سراة زهران، إلى الشمال من الأولى بحوالي ٣٠٠ كيلومتر؟

في نقطة أبعد من"شور"، وفي الاتجاه نفسه[٦٥]. لكن الصليبي، وفي تحليله لجغرافية قصة "جنة عدن" التوراتيّة، يرى أن أشور (عَشور) التي يجري إلى الشرق منها نهر حداقل (حدقل) -النهر الثالث من أنهر الجنة- "هي قرية بني ثور (ثور)، وتُسمّى أيضاً آل أبو ثور"[٦٦] في وادي بيشة قرب خميس مشيط. من هنا نرى أن "شور" و"أشور" هما عند الصليبي المكان نفسه، والمحدد بقرية "آل أبو ثور"، وهذا لا ينسجم إطلاقاً مع منطق النص القائل: "إلى شور... حينما تجيئ نحو أشور". فلو كان الكاتب يقصد بـ "شور" و"أشور" نفس المكان، لكان اكتفى بالقول: "إلى شور التي أمام مصر"، ولما أضاف عبارة "حينما تجيء نحو أشور" (وفي بعض الترجمات "وأنت آتٍ نحو أشور") ..

ثانياً: في كتابه "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل"، وفي معرض تحليله لقصة خروج بني إسرائل من مصر (مصرايم) وتيههم في برية سيناء (سيني). يرى الصليبي أن برية "شور" التي ارتحلوا إليها بعدما خرجوا من "يم سوف" (بحرصافي)[٦٧]، هي اليوم "قرية شري بوادي خب

---

[٦٥] سوف نعود إلى هذه المسألة عند تحديدنا لـ"شور". الحد الثاني لمساكن بني إسماعيل،وفي سياق البحث عن مصر التوراتيّة استناداً إلى النص التوراتي بالذات

[٦٦] التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٧٥-٢٧٦.

[٦٧] تجدر الإشارة إلى أننا نتفق مع الصليبي، وفي الإطار العام لتحليله قصة خروج بني إسرائيل من أرض مصرايم التي ليست مصر وادي النيل، وعبورهم يم سوف الذي من غير الممكن أن يكون البحر الأحمر. فالذي شقّ البحر=

على بعد ١٢٠ كيلومتراً تقريباً إلى الجنوب من وادي حبونا"[٦٨]. ويفهم منه أن "شور" هذه الواردة في خروج ١٥: ٢٢، هي غير "شور" الواردة في

-ليس موسى بعصاه، وإن كان النص في خروج ١٤: ١٦ يقول: "إرفع أنت عصاك ومدّ يدك على البحر وشقّه". فالبحر قد انشق في الواقع بريح شرقيّة شديدة طوال الليل جعلت فيه جفافاً (١٤: ٢١). وليست هناك أية ريح شرقية تستطيع أن تجفف (أو تشقّ) البحر الأحمر، إلاّ إذا كان المقصود بـ "يم سوف" بحراً آخر هو على الأرجح منطقة مستنقعات. ولهذا السبب اعتمدت الطبعة اليسوعية الجديدة للكتاب المقدّس، ترجمة أخرى لعبارة "يم سوف" فغيّرت الترجمة القديمة "بحر القلزم" (أي البحر الأحمر) إلى "بحر القصب" مضيفة في الهامش (خروج ١٣: ١٨، ص ١٧٥، هامش رقم٧) الشرح التالي: "هذه العبارة إضافة ظاهرة. كان النص القديم يقتصر على معلومات عامة، وهي أن بني إسرائيل سلكوا طريق البرية نحو الشرق أو نحو الشرق الجنوبيّ. ومعنى عبارة "يم سوف" وتحديد موقعه أمران غير مؤكدين، فالفصل الرابع عشر يكتفي بذكر البحر. والنص القديم الوحيد الذي يذكر "يم سوف" أو "بحر القصب" (بحسب اللغة المصرية) كموقع للمعجزة هو خروج ١٥: ٤، وهو نص شعريّ". وإذا فرضنا أن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر وادي النيل، فهل نستطيع أن نجد إلى الشرق منها، أو إلى الشرق الجنوبي، منطقة مستنقعات أو بحر قصب؟ إن قصة الخروج من أرض مصرايم يمكن فهمها بشكل أكثر معقولية في إطار جغرافية غرب شبه الجزيرة العربية، وتحديداً في جنوب عسير وشمال اليمن وما يليها إلى الشرق الجنوبي. (أنظر الصليبي خفايا التوراة، ص ٢٣١).

[٦٨] خفايا التوراة، ص ٢٣٥.

تكوين٢٠: ١، و١٦: ٧، و٢٥: ١٨. لكن، وبالمقارنة -خاصة- بين تكوين ٢٥: ١٨ (كذلك صموئيل أول ١٥: ٧) وخروج ١٥: ٢٢، نستنتج أن "شور" هي واحدة في كلا النصين. لأنها في التكوين تقع قبالة مصر، وفي الخروج كذلك. فعندما خرج بنو إسرائيل من أرض مصرايم بقيادة موسى، ارتحلوا من رعمسيس إلى سكوت "وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلستيين مع أنها قريبة. لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصرايم. فأدار الله الشعب في طريق برية "يم سوف"... وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرف البرية" (خروج ١٣: ١٧-٢٠). ثم رجعوا ونزلوا أمام فم الحيروت بين مجدل والبحر أمام بعل صفون. مقابله عند البحر (أي يم سوف). (خروج ١٤: ١، ٩). ثم عبروا يم سوف وخرجوا إلى بريّة "شور" (خروج ١٥: ٢٢).

إن برية يم سوف التي نزلوا في طرفها في "إيثام" هي بلا أدنى شك برية شور الواقعة قبالة أرض مصرايم كما في تكوين ٢٥: ١٨. وبالمقارنة كذلك بين خروج ١٣: ٢٠/ ١٥: ٢٢، وعدد ٣٣: ٥ - ٨. نستنتج أن برية شور تُسمّى أيضاً برية إيثام. ففي سفر العدد ٣٣: ٨، ارتحل بنو إسرائيل "من أمام الحيروت وعبروا في وسط البحر إلى البرية وساروا مسيرة ثلاثة أيام في برية إيثام ونزلوا في مارة". فإذا كان بنو إسرائيل حال خروجهم من مصرايم قد تجمعوا في "سكوت" (خروج١٢: ٣٧)، ومنها مباشرة إلى إيثام في طرف برية شور (أو برية يم سوف)،

فهل تكون "شور" هذه هي غيرها "شور" التكوين ٢٥: ١٨ الواقعة قبالة مصر؟. وهل يعقل أن تكون هناك شور في وادي بيشة، وشور أخرى في وادي خب باليمن تبعد عن الأولى ما لا يقل عن ٢٥٠ كيلومتراً؟. وإذا سلمنا بأن شور الخروج هي في وادي خب باليمن، فهل يعقل أن يسير فيه بنو إسرائيل ثلاثة أيام و لم يجدوا ماءً للشرب، طالما أن فيه "نجل وزروع"، وبأعلاه "طثر وأسواء، ماءان عدّان وبئر ذي بئر"[٦٩]. ففي ثلاثة أيام من المسير، وبسرعة ٢٠ إلى ٣٠ كيلومتر في اليوم، يمكن قطع وادي خب بأكمله أو بمعظمه على أقل تقدير.

ثالثاً: وانطلاقاً من تحديد الصليبي لحويلة وشور بين سراة غامد شمالاً وقرية بني ثور في وادي بيشة جنوباً، نرى أن مساكن بني اسماعيل تقع في منطقة شرقي اليردن (عبر هـ - يردن)[٧٠] أي شرقي

---

٦٩ أنظر "صفة جزيرة العرب"، للهمداني، ص ١٦٣، ٢٥٤. والنجل في اللغة هو الماء السائل أو النز الذي يتحلب من الأرض. والماء العِدُّ هو الماء الجاري الذي لا ينقطع.

٧٠ يعتبر الصليبي أن الأردن التوراتي (هـ - يردن) ليس كما أخذ تقليدياً بأنه يشير إلى نهر الأردن في فلسطين، بل يعني الجرف أو القِمّة أو المرتفع. وفي المبنى عبر هـ-يردن (عبر أو ما بعد الـ يردن)، الذي أخذ حتى الآن على أنه يعني "عبر الأردن" (أي شرق الأردن)، تشير هـ- يردن بلا استثناء إلى الجرف الرئيسي لسراة عسير الجغرافية. (التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص١٣٤). وانطلاقاً من كوننا نوافق الصليبي على هذا الرأي، فإن السياق=

جبال السراة في عسير الداخل. وهذه المنطقة تدخل ضمن أرض الوعد حسب تحديد الصليبي لها استناداً إلى الوعد المذكور في سفر العدد ٣٤: ٣- ١٢[٧١]. فالحدود الشرقية (٣٤: ١٠-١٢) للأرض "الموعودة" لموسى "هي الحد الفاصل بين المناطق الزراعية المأهولة من داخل الحجاز وعسير، وما يليها من البراري والقفار إلى الشرق". لكن النصوص التوراتية لم تذكر أن الاسماعيليين والهاجريين كانوا في أرض كنعان بتخومها عند دخول الاسرائيليين إليها. ففي وعد الرب "يهوه، لأبرام العبراني (تكوين ١٥: ١٨-١٩): "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر (نهر مصريم) إلى النهر الكبير نهر فرات (نهر فرت)"[٧٢]، لم يرد ذكر الاسماعيليين بين

العام لتأويله الجغرافي لحدود الأرض الموعودة يؤدّي حتماً إلى القول بأن بني إسماعيل كانوا ضمن هذه الحدود، طالما أن حويلة وشور تقعان شرق اليردن حسب تحديده لهما.

[٧١] أنظر التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٦٧-٢٦٨، والخريطة ص٢٦٩.

[٧٢] نهر مصريم، وكما أخذ في كل الدراسات التوراتية الكلاسيكية دون استثناء، يشير إلى نهر النيل المصري. ونهر فرت يشير إلى الفرات العراقي. وإذا سلمنا بهذا التحديد الجغرافي للأرض الموعودة "من النيل إلى الفرات"، فسوف يبرز أمامنا الأشكال التالي: لماذا لم تذكر التوراة الاسماعيليين من بين الشعوب العشرة القاطنة في هذه الأرض، طالما أن مساكنهم كانت من حويلة إلى شور، أي من بادية الشام (أو من الفرات الأدنى) إلى صحراء النقب كما يقول فراس السواح (أنظر ص٤٢)؟. أوليس الفرات الأدنى وبادية الشام وصحراء النقب ضمن هذه الأرض؟! وحتى إذا قيل بأن الهاجريين-

الشعوب العشرة التي كانت من السكان الأصليين للأرض الموعودة. وفي سفر التثنية (١: ٦-٧) يكلّم "يهوه" بني إسرائيل وموسى في حوريب قائلاً: "كفاكم قعود في هذا الجبل. تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر فرات". ولكي نعرف ما هي الشعوب التي تسكن جبل الأموريين وما يليه... نعود إلى نص آخر في التثنية ٧: ١، يقول: "متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوباً كثيرة من أمامك: الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، سبعةُ شعوب أكثر وأعظم منك". وفي تثنية ٩: ١، نقرأ: "إسمع يا إسرائيل. أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم

-ويطور ونافيش، كما جاء في أخبار الأيام الأول ٥: ١٠، ١٩، كانوا يسكنون شرقي جلعاد: إلى الشرق من شرقي الأردن نحو بادية الشام، وبالتالي ضمن حدود أرض الوعد. فإننا نرد بأن شرقي جلعاد وموآب وأدوم لم تكن ضمن ميراث بني إسرائيل (تثنية ٢: ٥، ٩/ ٣: ١٢-١٧/ يشوع ١٣: ٨-١٢، ٢٥-٣١)، بل كان ميراثهم من جبل الأموريين وما يليه غرباً (قارن تثنية ١: ٧ و٧: ٢ مع يشوع ١٢: ٧-٨ و٢٤: ١١). إن المنطق يقضي بالقول بأن نهر مصريم لم يكن نيل مصر، ولا نهر فرت كان الفرات العراقي. وهذا ما يذهب إليه الصليبي في التوراة جاءت من جزيرة العرب (الفصل ١٥). وسواء كانت أرض الوعد في فلسطين وشرقي الأردن، أم في عسير وتهامة، فإن مساكن بني إسماعيل كانت خارجها.

منك". وبالمقارنة مع يشوع ٩: ١ حيث يرد: "ولما سمع جميع الملوك الذين في عبر الأردن في الجبل وفي السهل وفي كل ساحل البحر الكبير إلى جهة لبنان... اجتمعوا معاً لمحاربة يشوع وإسرائيل..."، فضربهم يشوع وبنو اسرائيل "في عبر الأردن غرباً من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأملس الممتد إلى سعير ... في الجبل والسهل والعربة والسفوح والبرية والجنوب، الحثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون" (١٢: ٧-٨). نقول، بالمقارنة بين هذه النصوص نستنتج أن هذه الشعوب السبعة التي تسكن جبل الأموريين وما يليه، إنما كانت في عبر الأردن غرباً. وهنا لا بدّ من التساؤل: وما هي الشعوب التي كانت في عبر الأردن شرقاً؟ وهل كان الاسماعيليون من بينها؟. إن النصوص الواردة في سفري التثنية ويشوع تعطينا الإجابة الحتميّة عن هذا السؤال. ففي التثنية ٣: ١٢-١٧ و٤: ٤٦-٤٨، نجد أن الأموريين والباشانيين الذين ضربهم موسى وبنو إسرائيل وامتلكوا أرضهم، كانوا في عبر الأردن شرقاً. وفي يشوع ١٣: ٨-٣٢، نجد أن منطقة شرقي الأردن (عبر هـ - يردن) التي أعطيت لبني جاد ورأوبين ونصف سبط منسى، كانت كذلك للأموريين والباشانيين والجشوريين والمعكيين. (قارن كذلك مع عدد ٣٢: ١، ٥، ٣٢).

٤- جلعاد في التوراة

إن بني جاد ورأوبين ونصف منسى الذين أخذوا ميراثهم في عبر الأردن شرقاً، قد امتلكوا في الواقع أرض جلعاد ويعزيز وباشان (عدد ٣٢: ١، ٢٩، ٣٩/ ٢١: ٣٢/ تثنية ٣: ١٢-١٦) وفي يشوع ١٣: ٨ يرد: "معهم أخذ الرأوبينيّون والجاديون ملكهم الذي أعطاهم موسى في عبر الأردن نحو الشروق". وفي الاصحاح ٢٢ يرد: "حينئذٍ دعا يشوع الرأوبينيّين والجاديين ونصف سبط منسى وقال لهم... إنصرفوا الآن واذهبوا إلى خيامكم في أرض ملككم التي أعطاكم موسى عبد الرب في عبر الأردن... فرجع بنو رأوبين وبنو جاد ونصف سبط منسى وذهبوا من عند بني إسرائيل من شيلوة التي في أرض كنعان لكي يسيروا إلى أرض جلعاد أرض ملكهم... وجاءوا إلى دائرة الأردن "(ككر هـ ـ يردن)... وبنوا مذبحاً على الأردن (عل يردن) عظيم المنظر". وكان الأردن تخماً بينهم وبين باقي أسباط إسرائيل (يشوع ٢٢: ٢٥). وإذا كان الصليبي يرى أن "ككر هـ - يردن" ليست "دائرة الأردن" أو "وادي الأردن" في فلسطين، بل تشير إلى محيط جبل هروب الخصب في داخل منطقة جيزان قرب الحدود اليمنية. فمن المفترض بناء على ذلك أن

تكون أرض جلعاد، التي كانت من نصيب الأسباط الثلاثة في عبر الأردن شرقاً، إلى الشرق أو إلى الشرق الجنوبي من جبل هروب باتجاه نجران شرقاً واليمن جنوباً[73]. وعليه فإن جلعاد التوراتيّة التي كانت في شرقي اليردن يجب أن تكون حسب جغرافية الصليبي في شرقي السراة بين سراة غامد ووادي بيشة في عسير الداخل[74]، أو بين حويلة وشور حيث كانت مساكن بني اسماعيل. لكن مساكن الاسماعيليين والهاجريين لم تكن في جلعاد كما يقول النص التوراتي صراحة، بل كانت في جهات شرقي جلعاد، أي أنها يفترض أن تكون إلى الشرق من عسير الداخل وليس فيها[75].

---

[73] أنظر التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ١٤٣. (كذلك الخرائط ص ٧٧ و٨٢ و٢٨٢). وإذا أخذنا بالاعتبار تحديد الصليبي لـ "شيلوه" التوراتية التي ربما كانت آل أم شلوى (شلو) في رجال ألمع، أو (وهي الأرجح) أم شلوه (شلو) في منطقة القنفذة (التوراة جاءت، ص ٢٠٠، هامش رقم ٣). فإن من المفترض بناء على ذلك، أن يكون بنو رأوبين وجاد ونصف منسى الذين جاءوا من "شيلوه" إلى دائرة الأردن لكي يسيروا إلى أرض جلعاد أرض ملكهم، قد انتقلوا في الواقع من القنفذة أو رجال ألمع شمالاً إلى جبل هروب جنوباً بهدف الوصول إلى جلعاد.

[74] يرى الصليبي أن عبر هـ - يردن تشير، وفي معظم الحالات، إلى أراضي عسير الداخلية تفريقاً لها عن عسير الساحلية التي كانت أرض يهوذا الاسرائيلية. (التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ١٣٤).

[75] أنظر ما سبق وأشرنا إليه، ص ٤٦ هامش رقم ٢٦، ص ٦٩ هامش رقم ٧٢.

وإنطلاقاً من الدليل الوارد في أخبار الأيام الأول ٥: ٩، ١٩، نجد أن قبيلة رأوبين التي سكنت أرض جلعاد منذ أيام موسى ويشوع، قد توسعت إلى الشرق من جلعاد وبعد ازدياد عشائرها وتكاثر مواشـــيها، وذلك على حساب الهاجريين ويطور ونافيش ونوداب. لكن هذا التوسع إلى الشرق من شرقي الأردن (جلعاد) لم يتم إلاّ في أيام شـــاول (٥: ١٠) أي بعد أربعة قرون تقريباً من دخول أرض كنعان.

ثم إن تحديد الصليـــبي لجلعاد التوراتية التي قدمت منها قافلـــة من التجار الاسماعيليين حاملة "كثيراء وبلساناً ولاذناً" ليـــنزلوا بهـــا إلى مصرايم، بقرية الجعدية في جنوب اليمن، يؤدي إلى إشكالٍ أساسي هـــو التالي: إذا كانت جلعاد التوراتية في جنوب اليمن على وجه التحديـــد[٧٦]، فمن المفترض -بناءً على ذلك- أن تكون مساكن الاسمـــاعيليين عامـــة، والهاجريين ويطور ونافيش خاصة، إلى الشرق من جلعاد هـــذه، ربطـــاً بالدليل الوارد في الأخبار الأول ٥. لكن ذلك يتعارض، وبصورة رئيسية، مع تحديد الصليبي لحويلة وشور اللتين كانت مســـاكن بـــني إسمـــاعيل بينهمـــا، بمنطقة عسير الداخل. وسوف يتعارض كذلك مـــع اعتبـــار

[٧٦] أنظر "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص ١٥٥-١٥٦.

جنوب اليمن وشرقيها (إلى حضرموت وظفار) موطن القبائل اليقطانية[٧٧].

ولكي يمكن تحديد جلعاد التوراتية، ولو بصورة ترجيحية، لا بد من الملاحظة بأن النصوص التوراتية تربط دائماً بين أرض جلعاد وأرض يعزيز وأرض باشان وأرض الأموريين. فبعدما سيطر الاسرائيليون على مملكة سيحون ملك الأموريين وأقاموا في أرضهم وجميع مدنهم "في حشبون وف ي كل قراها" (عدد ٢١: ٢٥، ٣١)، أرسل موسى ليتجسّس يعزيز فأخذوا قراها وطردوا الأموريين الذين هناك، ثم تحولوا وصعدوا في طريق باشان... فضربوا عوج ملك باشان وملكوا أرضه

---

٧٧ لقد سبق وحددنا موطن اليقطانيين من ميشا (موزع في غربي اليمن) إلى حضرموت وظفار شرقاً. والصليبي يذهب كذلك في هذا الاتجاه، أنظر التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٣٥ -٢٣٦. لكن نقطة الخلاف الأساسية مع الصليبي ليست في أن تكون جلعاد التوراتية في اليمن عموماً، بل أن تكون في جنوب اليمن تحديداً. لأن ذلك يتعارض مع النص التوراتي القائل بأنها في شرقي اليردن طالما أن الصليبي يعتبر الأردن(هـ - يردن) سلسلة جبال السراة الممتدّة من الطائف شمالاً إلى أواسط اليمن جنوباً(أنظر خريطته في "خفايا التوراة"، ص ١٤٨)، وطالما يعتبر كذلك أن "عبر هـ - يردن" تشير، وفي معظم الحالات، إلى أراضي عسير الداخلية. فإذا كانت مساكن بني إسماعيل (من حويلة إلى شور) واقعة في عسير الداخل حسب جغرافية الصليبي، فأين يفترض أن تكون جلعاد؟.

(٢١: ٣٢-٣٥). وعندما رأى بنو رأوبين وبنو جاد أن أرض يعزيز وأرض جلعاد تلائمهم لكثرة مواشيهم، كلموا موسى قائلين: "إن وجدنا نعمة في عينيك فلتعط هذه الأرض لعبيدك ملكاً ولا تعبرنا الأردن" (عدد٣٢: ١-٥).

فإذا كانت "باشان" عند الصليبي هي "اليوم البثنة في جبل فيفا بداخل منطقة جيزان"[٧٨]، وكانت "حشبون" "قمة أو نبع شحب في رجال ألمع"[٧٩] إلى الشمال من جبل فيفا، والأموريون، الذين كانت عاصمتهم حشبون، في منطقة قنا والبحر إلى الغرب من رجال ألمع

---

٧٨ التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ١٥٢-١٥٣. وتجد الإشارة هنا إلى أن الصليبي يرى كذلك أن "جبل جلعاد" المذكور في نشيد الأنشاد ٤: ١، لا بدّ أن يكون جبل فيفا. وهذا التحديد لايتعارض مع النصوص التوراتية التي تربط بين باشان وجلعاد. (المرجع نفسه، ص ٢٨٥).

٧٩ يرى الصليبي أن حشبون يفترض أن تكون كذلك في منطقة جيزان، وذلك إنطلاقاً من كون نص نشيد الأنشاد ٧: ٤-٥ يربط بينها وبين كل من لبنان (لبنون) ودمشق (دمسق) والكرمل التي يحددها في منطقة جيزان وجوارها العام. لكنه لم يجد بين أسماء الأماكن الباقية قيد الوجود في منطقة جيزان، أو في جوارها القريب، ما يتوافق مع كلمة حشبون التوراتية. لذا عمد إلى البحث عنها في منطقة رجال ألمع شمال جيزان. (التوراة جاءت، ص٢٩٠).
لكن حشبون رجال ألمع (قمة أو نبع شحب) تقع في غربي اليودن، بينما هي في شرقي اليردن، حسب النص التوراتي (يشوع ١٢: ١-٢/ ١٣: ٨، ٢٦).

مباشرة[80]. فكيف يمكن إعتبار جلعاد في جنوب اليمن، وهي التي أعطيت لجاد ورأوبين وماكير بن منسى. فذهب بنو ماكير بن منسى إلى جلعاد وأخذوها وطردوا الأموريين الذين فيها (عدد ٣٢: ٣٩). إلاّ إذا كانت جلعاد التكوين ٣٧: ٢٥ هي غير جلعاد التي في عبر الأردن والتي كانت في ميراث الأسباط الثلاثة المشار إليها. وهذا ما نستبعده لأن جلعاد التكوين التي تنتج الكثيراء والبلسان واللاذن، هي نفسها جلعاد التي يتغنى إرميا النبي ببلسانها (إرميا ٨: ٢٢/ ٤٦: ١١)، والتي منها أخذ إخوة يوسف هدية من أفخر جنى أرض كنعان "بلساناً وكثيراء ولاذناً..." (تكوين ٤٣: ١١) ليقدموها إليه[81].

---

[80] التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٦٢. والصليبي يرى احتمالات أخرى لكلمة الأموريين (ء مري نسبة إلى ء مر). فربما كانت الأمرة في تهامة زهران، وومرة، في وادي إضم، ويحتمل أيضاً أنها مرو وهو اسم لثلاث قرى: إثنتان في وادي إضم والثالثة في منطقة قنا والبحر. وهذه الأخيرة فقط، كمنطقة محتملة للأموريين التوراتيين، تتلاءم جغرافياً مع حشبون (عاصمة سيحون الأموري) في رجال ألمع إلى الشرق مباشرة من قنا والبحر.

[81] إن الإشارة إلى اللاذن (أي المر) في هذه الهدية تثبت بأن الأرض التي كان بها يعقوب وأبناؤه، يوجد فيها حتماً شجر المر. وعليه فإنهم لم يكونوا بعيدين عن اليمن حيث يوجد اللاذن، وحيث نرجح أن تكون جلعاد.

إن تحديد الصليبي لباشان وحشبون وجبل جلعاد[٨٢] ودائرة الأردن "ككر هـ - يردن"[٨٣]، ينسجم -وفي الإطار العام- مع المعطيات الجغرافية التي تقدمها النصوص التوراتية المتعلقة بجغرافية عبر الأردن. فإذا كانت أرض جلعاد ويعزيز وباشان وحشبون التي في عبر الأردن شرقاً قد أعطيت لأسباط شرقي الأردن الثلاثة، فلا بدّ إذن - وانسياقاً مع منطق النص التوراتي- من التأكيد بأن دائرة الأردن (حيث بنى الرأوبينيون والجاديون ونصف منسى مذبحاً عل الأردن "عل يردن") تشكل الحد الفاصل بين أسباط شرقي الأردن وأسباط غربيّه. وبما أن دائرة الأردن "ككر هـ - يردن" كانت تشير في الأزمنة التوراتية "إلى الشعاب التي تشكل حوضي وادي صبيا ووادي بيش في محيط جبل هروب" في منطقة جيزان[٨٤]، فمن المفترض -بناء على ذلك- أن تكون أرض أسباط شرقي الأردن واقعة شرقي جنوب منطقة جيزان باتجاه نجران واليمن، وأن

---

٨٢ التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٨٥.

٨٣ أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٧٤ هامش رقم ٧٣.

٨٤ التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ١٤٧.

تكون جلعاد في هذا المحيط الجغرافي[٨٥].

---

[٨٥] إستناداً إلى ما جاء في سفر يشوع (الفصل ١٢) فإن جلعاد كانت تنقسم مناصفة بين سيحون الأموري وعوج ملك باشان الذي كان ملكه أيضاً على جبل حرمون (١٢: ٥). من هنا نرى بأن جلعاد لم تكن بعيدة عن حرمون، والأرجح أنها كانت إلى شرقيه. وحيث أن الصليبي يحدد حرمون بخمران(حمرن) في ناحية الحرث شمال اليمن، فمن المفترض أن تكون جلعاد شرقها. (أنظر التوراة جاءت، ص ٣٦، ٢٨٦). لكن لنا تحديداً آخر لحرمون التوراتي حيث نرجّح أن يكون جبال الأهنوم (أو هنوم) في شمال اليمن كذلك، وإلى الشمال الشرقي من حجة. وسنتناول هذه المسألة في فصل لاحق.

٥ - جغرافية شرقي الأردن

ثم إن البحث عن أرض أسباط شرقي الأردن في إطار جغرافية شرقيّ جيزان بين نجران واليمن، وليس في عسير الداخل، يبدو أكثر انسجاماً مع المعطيات الجغرافية التي يقدمها النص التوراتي من جهة، ومع جغرافية اليمن من جهة أخرى[٨٦].

نقرأ في سفر يشوع ١٢: ١-٦: "وهؤلاء هم ملوك الأرض الذين ضربهم بنو إسرائيل وامتلكوا أرضهم في عبر الأردن نحو شروق

---

[٨٦] نشير هنا إلى أن الصليبي يرجح في "التوراة جاءت من جزيرة العرب" (ص ٣٠١ وما بعدها)، بأن تكون أراضي جاد ورأوبين في جنوب الحجاز بين بلاد غامد وبلاد زهران. ولعل هذا الرأي مبني على تحليله السابق (المرجع نفسه، ص ١٣٦-١٣٧) لجغرافية سفر العدد ٣٣: ٤١-٤٩، حيث يقول: "والمنطقة التي استوطنها الاسرائيليون أخيراً بقيادة موسى كانت امتداد الأرض المرتفعة بين الأئمة في إقليم زهران ومجرى ماء جبل شنان، المسمى اليوم وادي وج، في إقليم الطائف. لكننا لا نتفق مع الصليبي في هذا الرأي، وبخاصة اعتباره بأن موآب التوراتية هي أم الياب في وادي إضم. وسوف نعود إلى مناقشة هذه المسألة في فصل لاحق. (أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٧٤، هامش رقم٧٣).

الشمس من وادي أرنون إلى جبل حرمون وكل العربة نحو الشروق. سيحون ملك الأموريين الساكن في حشبون المتسلط من عر وعير التي على حافة وادي أرنون ووسط الوادي ونصف جلعاد إلى وادي يبوق تخم بني عمون والعربة إلى بحر كنروت نحو الشروق وإلى بحر العربة بحر الملح نحو الشروق طريق بيت بشيموت ومن التيمن تحت سفوح الفسجة. وتخوم عوج ملك باشان من بقية الرفائيين الساكن في عشتاروت وفي إذرعي والمتسلّط على جبل حرمون وسلخه وعلى كل باشان إلى تخم الجشوريين والمعكيين ونصف جلعاد تخوم سيحون ملك حشبون... وأعطاها موسى... ميراثاً للرأوبينيّين والجاديين ولنصف سبط منسى".

وسوف نقوم بقراءة هذا النص في ضوء جغرافية شمال شرقي اليمن من سراة خولان وهنوم وعذر غرباً إلى بلاد يام شرقاً. فسيحون الأموري الساكن في حشبون تمتد تخومه من عر وعير إلى تخم بني عمون، وتصل شرقاً حتى بحر كنروت (يم كنرت) وبحر العربة بحر الملح (يم عربة، يم هـ - ملح).

وفي حين يحدد الصليبي "يم عربة، يم هـ - ملح" الوارد في يشوع ٣: ١٦، وفي إطار عبور بني إسرائيل للأردن، بقريتي غرابة والملحة في وادي بقران، مباشرة شرق الشق المائي، في منطقة الطائف[٨٧]. فإنه

[٨٧] أنظر التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ١٣٨.

يحدد "كتف يم كنرت" و"يم هـ - ملح" الواردين في إطار الحد الشرقي لأرض الوعد (عدد ٣٤: ١٠-١٢)، بـ "قطف، غرب قرينات" جنوب وادي الدواسر في بلاد يام، وبلاد يام غرب رمال الربع الخالي[٨٨]. وعليه فإن "يم عربة، يم هـ - ملح" الوارد في يشوع ١٢ بالترافق مع "يم كنرت"، ليس غرابة والملحة في وادي بقران بالطائف، بل بلاد يام إلى الجنوب الشرقي من نجران. من هنا نرى بأن تخوم سيحون الأموري تمتد من عراعر (عر وعير) جنوب صعدة[٨٩] مروراً بـ "يعمون"[٩٠] حتى بلاد يام.

---

[٨٨] المرجع السابق، ص ٢٦٤، ٢٦٨.

[٨٩] أنظر "صفة جزيرة العرب" للهمداني، ص ٢٥٢.

[٩٠] يذكر ياقوت في معجم البلدان (ج٨، ص ٥١٠) موضعاً باليمن من منازل همدان يُسمّى "يعمون". وهو يقع إلى الشرق من عراعر. ولعل كلمة يعمون (أو عمون لأن الياء زائدة في اللهجات اليمنية) تشير إلى بني عمون التوراتيين وموطنهم في زمن بني إسرائيل. والعمونيون هم من ذرية "بن عمي" بن لوط الذي ولد له بعد خراب سدوم وعمورة (تكوين ١٩: ٣٨). وليس يستبعد أن يكون لوط قد ارتحل شرقاً بعد خراب سدوم وعمورة اللتين يحددها الصليبي في منحدرات جبل هروب في منطقة جيزان (التوراة جاءت، ص ١٤٧)، أي باتجاه منطقة همدان في شمال اليمن.

أما حشبون عاصمة سيحون فربما كانت شبحان التي ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب[٩١]، وهي واقعة في شمال اليمن جنوب شرق صعدة.

وفيما يتعلّق بتخوم عوج ملك باشان المتسلط على حرمون، فإننا نرجح أن تكون من جبال الأهنوم[٩٢] وإلى الشرق بمحاذاة تخوم سيحون الأموري.

ومما يؤيّد وجهة نظرنا بخصوص أراضي أسباط شرقي اليردن، ورود أسماء لقرى ومواقع كانت في ميراث جاد ورأوبين، يمكن أن نجدها في اليمن، وفي الصيغة العبريّة ذاتها دون أي تغيير أو تبديل. فقد ورد في سفر العدد (٣٢: ٣) "عطاروت وديبون ويعزيز ونمرة وحشبون والعالة وشبام ونبووبعون". وفيما يلي نورد تحديداً لبعض هذه المواقع:

١ - **ديبون:** جبل ذبيان الذي يذكره الهمداني في الصفة[٩٣] بالترافق مع شبحان. وهو يقع في الجوف الأعلى من بلد همدان.

---

[٩١] الصفة، ص ٢٤١.

[٩٢] المرجع السابق، ص ١١٥. أنظر كذلك ما سبق الإشارة إليه، ص ٨٠ هامش رقم ٨٥ .

[٩٣] المرجع السابق، ص ١٦٠، ٢٤٠.

٢ – يعزيز: وادي ذو "يعزز" في عزلة كحلان من خبان شرقي مدينة يريم[٩٤].

٣ – شبام: شبام أقيان، ويقال لها شبام حمير أو يحبس أو يعفر. ومن أحوازها جبل ذخار مطل عليها وهي في أصله، وفيها عيون تخرج منه تشق بين المنازل إلى البساتين. وفي سفوح الجبل مياه تجري مثل حبله والخلتب. وفي رأس جبل ذخار قصر كوكبان الشهير وهو مطل عليها[٩٥]. وقد اشتهرت شبام التوراتية بكرومها، وهي مترافقة في أشعيا ١٦: ٨-٩، مع يعزيز وحشبون حيث يرد: "لذلك أبكي بكاء يعزيز على كرم سبمة"[٩٦].

٤ – نبو: يذكر الهمداني في الصفة[٩٧] وادي "نبا" ومآتيه من أشراف بني سبأ وأعالي عزلة إرياب وبلحارث وغرب

---

٩٤ المرجع السابق، ص ٢١٧.

٩٥ المرجع السابق، ص ٢٣١-٢٣٢.

٩٦ تجدر الإشارة إلى أن سبمة الواردة في أشعيا ١٦: ٨، ٩، ويشوع ١٣: ١٩، وعدد ٣٢: ٣٨، هي نفسها شبام أو سبام الواردة في عدد ٣٢: ٣. ويرى قاموس الكتاب المقدّس (ص ٤٧٥) أنها قد تكون "سومية" الواقعة شرقي البحر الميت (أي شرقي الأردن) على الجانب الغربي من وادي حسبان المعتبر حشبون؟!.

٩٧ صفة جزيرة العرب، ص ١٣٩-١٤٠. وقد ورد بصورة "بنا" (باء ثم نون) بينما يذكره المحقق بصورة "نبا" (نون ثم باء).

ظفار. وإرياب في رأس جبل "أدم" من يحصب العلو، وهو جبل ناتئ مطل على قرية سمارة[98]. وربما كان "أدم أرياب" هو "نبو" التوراتي نسبة إلى وادي "نبا".

وتجدر الإشارة إلى أن "نبا" اليمني هذا يقع إلى الشرق من جبل "ألهان" الذي يفترض الصليبي أنه "جبل الله حوريب" حيث ظهر ملاك الرب (يهوه) لموسى "بلهيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق" (خروج: ٣: ١-٢)[99].

---

[98] المرجع السابق، ص ٢١٢.

[99] أنظر "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل"، ص ٢١٠، ٢١١. ويقع "نبا" اليمني كذلك جنوب غرب حريب أو حارب التي قرب مأرب، والتي يعتبرها الصليبي "حوريب" التوراتية. وهو يعتبر نبو التوراتي جبل نباه في أقصى النتوء الجنوبي لقمة الطائف في الشمال (التوراة جاءت، ص ١٣٦-١٣٧، هامش رقم ٥). وحين صعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسجة الذي قبالة أريحا، أراه الرب (يهوه) جميع الأرض من جلعاد إلى دان (تثنية ٣٤: ١). وإذا كان "نبو" التوراتي في قمة الطائف شمالاً، فهل يستطيع موسى أن يرى جلعاد التي يحددها الصليبي في أقصى جنوب اليمن؟ (سوف نعود إلى مناقشة هذه المسألة تفصيلاً في فصل لاحق).

٦- خلاصة ومنطق الخلاصة

بعد هذا العرض التحليلي النقدي لمسألة موطن القبائل الأسماعيلية المحدد في النص التوراتي "من حويلة إلى شور التي أمام مصر". هذه المسألة التي استلزمت البحث في مسائل أخرى مترابطة معها مثل موطن اليقطانيين "من ميشا إلى سفار جبل المشرق"، وحويلة وشور وجلعاد وجغرافية شرقي أل يردن. نقول بعد هذا العرض نصل إلى الخلاصة التالية:

١ - إن حويلة التوراتية التي كانت في حدود اليقطانيين، والتي منها تبدأ حدود بني اسماعيل، هي على الأرجح في منطقة الجوف اليمنية إلى الشرق من خولان. وعليه فإننا نستبعد أن تكون في وادي بيشة كما يرى الصليبي.

٢ - إن شور التوراتيّة ليست، كما نرجح، قرية "آل أبو ثور" في منطقة خميس مشيط في عسير الداخل، ولا قرية "شري" في وادي خب باليمن.

٣ - إن جلعاد التوراتية لا يمكن أن تكون في منطقة شرقي الأردن في المملكة الأردنية الهاشمية (أي البلقاء)، لأن هذه لا تنتج الكثيراء (النكعة أو صمغ القتاد) واللاذن (أو المر). بل لا بد أن تكون في اليمن. ونحن نرجح أن تكون في شمال شرقي اليمن وليس في أقصى الجنوب.

٤ - إن جلعاد هذه كانت مع أرض يعزيز وباشان ومملكة سيحون الأموري، في ميراث أسباط شرقي اليردن (رأوبين وجاد ونصف منسى). وعليه فإننا نرجح أن تكون منطقة شرقي اليردن التوراتية الخاصة بهذه الأسباط، من شرقي جيزان حتى نجران في شمال شرقي اليمن.

٥ - بناء على ذلك فمن المفترض أن تكون مساكن بني إسماعيل من شرقي جلعاد (حيث موطن يطور ونافيش)، أو من حويلة باتجاه الشمال نحو أطراف الحجاز ونجد. وهنا نصل إلى مسألة "شور" وتحديد موقعها الجغرافي، مع الأخذ بالاعتبار أنها قبالة مصر التوراتية، وأن الطريق من حويلة إليها هو، كما يحدد نص التكوين ٢٥: ١٨، باتجاه أشور. أي أن الآتي من حويلة إلى شور لا بد أن تكون وجهته بلاد أشور[١٠٠].

---

١٠٠ أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٦١ وما بعدها.

يذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب موضعاً في نجد جنوب وادي الرمة يدعى الشور (شور تماماً بدون أل التعريف). وهو فيف طوله خمسة أميال[101].

وشور هذه التي بنجد، هي في الواقع قبالة قرية "آل مصري" في الحجاز التي نرجح أن تكون مصر التوراتية المقصودة هنا. ثم أن الطريق -أو خط السير- من حويلة في اليمن إلى شور بنجد، هو

---

[101] صفة جزيرة العرب، ص ٢٩٠. وفي اللغة الفيف: المفازة التي لا ماء فيها. من هنا فإننا نرجح أن يكون شور نجد هذا هو بالذات شور التوراتية التي سار فيها بنو إسرائيل ثلاثة أيام و لم يجدوا ماء للشرب (خروج ١٥: ٢٢). ومن الممكن أن تعبير برية شور في الأزمنة التوراتية، كان يشير إلى كل المنطقة الصحراويّة الممتدّة من شمال بحرصاني وبلاد يام حتى نجد. أو من وادي الدواسر شرقي عسير وحتى وادي الرمة بنجد. وعليه فإن خروج بني إسرائيل كان من أرض مصرايم (مصري في الحجاز) باتجاه واحة الضبطين بنجد "عن طريق وادي الرمة" (ب - يدرمه) (خروج ١٤: ٨)، ومن هناك إلى برية شور. وهنا لا نتفق مع الصليبي في تحليله لعملية الخروج من المصرمة في منطقة خميس مشيط باتجاه وادي الريمة بسراة بلقرن، ثم باتجاه الخماسين بوادي الدواسر، ثم جنوباً نحو وادي حبونا ومنه إلى برية شور في وادي خب باليمن. (راجع تحليل الصليبي لعملية الخروج في كتابه: "خفايا التوراة"، ص ٢٢٨-٢٣٦).

بالتحديد باتجاه بلاد أشور في وادي الرافدين[١٠٢]. كما يقول النص التوراتي تماماً "من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور". وإذا ما قرأنا هذه العبارة في ضوء جغرافية سيناء ومصر وادي النيل، كما أخذت حتى الآن، فلا بدّ من أن يواجهنا إشكال أساسيّ يصعب حلّه، وهو التالي:

إذا كانت حويلة التوراتية في بادية الشام أو في الفرات الأدنى[١٠٣]، وكانت شور في غربي سيناء قبالة مصر وادي النيل. فأين يفترض أن تكون بلاد أشور، طالما أن نص التكوين يقول بكل دقة ووضوح أن الآتي من حويلة إلى شور يكون إتجاهه في الواقع نحو بلاد أشور. من هنا نرى أن أشور يفترض أن تكون في نقطة أبعد من مصر وادي النيل باتجاه ليبيا مثلاً، ولا يعقل أن تكون أشور بلاد ما بين النهرين. فلو قال كاتب نص التكوين ٢٥ أن مساكن بني إسماعيل "من شور التي أمام مصر إلى حويلة حينما تجيء نحو أشور"، لكان من الممكن القبول بأن مصر المقصودة هنا هي مصر وادي النيل، وأن شور هي إلى الشرق منها مباشرة، وأن حويلة هي في بادية الشام أو في الفرات الأدنى.

---

١٠٢ نحن نرجح أن تكون "أشور" المقصودة هنا هي أشور بلاد ما بين النهرين، كما في ملوك ثاني ١٧: ٣-٥، وعزرا ٤: ٢، ١٠، وهوشع ١٠: ٦/١١: ٥، وأشعيا ٣١: ٨/ ٣٦: ١ وما بعدها/ ٣٧: ٤ وما بعدها.

١٠٣ أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٦١٣-٦١٤.

ولأصبح الاتجاه من شور إلى حويلة هو باتجاه أشور كذلــك. لكــن – وكما نرى– فإن قراءة النص في ضوء جغرافية المنطقة الممتدّة من الفرات الأدنى، أو من بادية الشام، حتى صحراء سيناء، هي في الواقــع قــراءة خاطئة لا تنسجم مع منطق النص التوراتي[104].

ولعلّ اعتبار حويلة التوراتية في بادية الشــام أو في الفــرات الأدنى، واعتبار شور في غربي سيناء أمام مصر وادي النيل، هو الذي دفع الباحث فراس السواح إلى التأكيد –وبدون أي مسوغ– بــأن القبــائل العربية (وهي في الغالب من بني إسماعيل) التي وجهت ضدها الحمــلات الأشورية المتكررة بهدف تأديبها، كانت تقيم (أو تتجول) بــين باديــة الشام والأطراف الشماليّة من شبه الجزيرة العربية، أو بين الفرات الأدنى وصحراء النقب[105].

---

١٠٤ نرى كذلك بأن ما ورد في صموئيــل الأول ١٥: ٧ : "وضــرب شــاول عماليق من حويلة حتى مجيئك إلى شور التي مقابل مصر"، لا يمكن تفســيره أو القبول به في إطار هذه المنطقة الجغرافيّة الشاسعة جداً. فهل يعقــل، أولاً، أن يكون شعب عماليق مقيماً في منطقة تمتد من الفرات إلى مصر، وثانياً أن تكون سلطة شاول قد امتدّت فعلاً لتغطّي كل هذه المنطقة بحيث أصبحــت تضاهي أمبراطوريات الشرق القديم؟!.

١٠٥ من هنا فإن السواح يرى أن الحملات الأشورية لم تتوغل في أعمــاق بــلاد العرب (أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص٣٩)، وهذا بالتحديد ما لا نوافقه فيه. فكل التحليل السابق حول مساكن بني إسماعيل وحويلة وشوروجلعاد، كان–

وفي ضوء تحديد مساكن القبائل الاسماعيلية من حويلة في اليمن إلى شور بنجد، يمكن قراءة نص تغلت فلاصر الثالث الأشوري وتعيين المواضع والأسماء الواردة فيه[١٠٦].

أ - يرد في النص أن "سمسي" أو "شمي" ملكة العرب قد فرّت إلى إقليم "بازو" بعدما أضناها التعب والجوع. ويخبرنا أسرحدون (٦٨٠ -٦٦٩ق.م) أنه قام بحملة على قبائل عربية تنزل أرض بازو (Bazu) أو بوزو (Bozu)، وحازو (Hazu). وقد اخترق جيشه البادية فروعته الثعابين والحيّات التي كانت تثور عليهم وتقفز أمامهم، ومنها ثعابين ذات رأسين ومنها ما له أجنحة. ولما مرّ الجيش بأرض بازو وجدها مغطاة بالثعابين والعقارب[١٠٧]. والمرجح هنا أن البادية التي اخترقها أسرحدون قبل وصوله إلى أرض بازو هي النفود[١٠٨] أما بازو فيفترض

-بهدف إثبات أن مساكن بني إسماعيل لم تكن بين بادية الشام وصحراء النقب. وفي الصفحات التالية سوف نقدّم دليلاً إضافياً يستند إلى أن أسماء المواقع والقبائل التي ذكرت في سجلات الحملات الأشورية على بلاد العرب، ما زالت موجودة في أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية.

١٠٦ أنظر ص ٣٥ وما بعدها.

١٠٧ أنظر "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" لجواد علي، ص ٢٠٥، ٥٩٤.

١٠٨ ويذهب إلى هذا الرأي كذلك، جواد علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب"، ص ٥٩٨. ويذكر جرجي زيدان في كتابه "العرب قبل الاسلام" أن أسرحدون أوغل في بلاد العرب فوصل إلى إقليم "بازو" في أقصى المعمورة-

أن تكون ما بين نجد والحجاز. ويذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب من المنازل الحجازية "البزواء" (بزوا) بين مكة والمدينة، وخبت البزواء بناحية عليب[109].

ومما يرجح وجهة نظرنا في أن تكون أرض بازو في الحجاز، وليس كما يرى موسل[110] في وادي السرحان جنوب غرب تدمر في الشام، ما ذكر في نص أسرحدون بأن قصبة بلاد بازو تُدعى "يديع" (Jadi') ويحكمها ملك إسمه ليلى[111]. وقد تمكن ملك يديع من النجاة، لكنه ذهب بعدئذٍ إلى نينوى طالباً الصفح من أسرحدون فقبل وعينه ملكاً على أرض بازو وحازو على أن يدفع له الجزية. ويديع موضع بالحجاز يذكره الهمداني في الصفة بالترافق مع خيبر والحجر[112]. أما حازو فهي "حزوى" التي ذكرت في الصفة كذلك، ما بين اليمامة

=وراء البادية، قطع إليه ٤٩٠ ميلاً في بيداء تكثر فيها ريح السموم و٧٠ ميلاً في أرض عامرة، و لم يبقَ وراء ذلك غير الجبال (ص ١٠١). وإذا كان أسرحدون قد قطع حوالي ٩٠٠ كلم، فمن المؤكد أنه لم يتوجه لمحاربة القبائل العربية في بادية الشام (أنظر ص ١٠٧).

[109] الصفة، ص ٣٣٣.

[110] المفصل في تاريخ العرب، لجواد علي، ص ٥٩٧.

[111] أنظر "العرب قبل الإسلام"، لجرجي زيدان، ص ١٠١. كذلك "المفصل في تاريخ العرب"، لجواد علي، ص ٥٩٥-٥٩٦.

[112] الصفة، ص ٣٨٣.

ونجد[١١٣]. وقد ورد في التوراة إسم "بوز" و"حزو" (تكوين ٢٢: ٢١-٢٢). وعند أرميا ٢٥: ٢٢ وردت بوز كاسم موضع بعد ددان وتيماء، وربطاً بملوك العرب. كما وردت عند أيوب ٣٢: ٢، ٦ كموضع كذلك، وإليه ينسب "أليهو البوزي" أحد أصدقاء أيوب. فكان حكماً بينه وبين أصحابه الثلاثة[١١٤]. ونحن نرجح أن تكون بوز التوراتية هي

١١٣ المرجع السابق، ص ٢٩٨، ٣٣١.

١١٤ وعند إرميا وردت بوز بعد أرض عوص (٢٥: ٢٠) التي ينسب إليها أيوب النبي (١:١) الذي كان صاحب ثروة كبيرة جداً من المواشي تعد بالآلاف من الأغنام والجمال والأبقار والحمير. ويفترض منطقياً أن تكون عوص أرض صالحة للرعي وتكاثر المواشي. ونحن نستبعد أن تكون في حوران (اللجاة) كما يرى البعض (المفصل لجواد علي، ص ٤٢٠)، أو في الصحراء السورية بين دمشق وأدوم (قاموس الكتاب المقدّس، ص ٦٤٧). فإذا كانت في حوران، فكيف يمكن تفسير إغارة السبئيين عليها (أيوب ١: ١٥). لذلك نرجح أن تكون أرض عوص موطن أيوب في الحجاز حيث توجد بوز (بزوا) كذلك. ويذكر الهمداني في الصفة (ص ٢٧٣، ٢٧٤، ٣٢١، ٣٨٣) موضعاً بين وادي القرى والحجر يدعى العيص من ديار جهينة، وإليه ينسب النمر العيصي. ومن أصحاب أيوب الثلاثة بلدد الشوحي (نسبة إلى شوح)، وشوح موضع بالحجاز كذلك قريب من العيص يُدعى الشيحه (شيح). وبقربه مياه "توضح" وهي من المياه القديمة بين رمل الشيحة وشرج بذات الطلح. (الصفة، ص ٢٧٠). هذا وقد اعتبرت أرض عوص في حوران أو في البادية السورية إلى الشرق من فلسطين، لكي تكون متوافقة جغرافياً مع ما ورد في سفر أيوب من أنه كان أعظم كل بني المشرق (١: ٣). ومع ذلك-

نفسها بازو الوارد ذكرها في النصوص الأشورية، أي أنها بزواء الحجاز. وكذلك حزو، حازو الأشورية أو حزوى.

ب - مسأي: ربما كانت المسفى (مسقى) من ديار عنز جنوب الطائف[115]، أو المشقا في رجال ألمع، أو المشقة في وادي أضم[116].

ج - تيما: واحة تيماء شمال الحجاز.

د - سبأ: نرجح أن تكون سبأ اليمنية، وليس كما يرى جواد علي أنها تشير إلى قبائل سبئية تعيش في شمال الحجاز قرب تيماء[117]، أو كما يرى فيليب حتّي أنها من القبائل العربيّة التي كانت تقطن شبه جزيرة سيناء والبادية الواقعة في شمالها الشرقي[118]. فقد ورد في نص سرجون الثاني أنه تلقى الجزية من يثعمر السبئي، ويثعمر أحد ملوك سبأ الوارد ذكره في نقوش مأرب[119]. وورد كذلك في نص سنحاريب (٧٠٥ -

---

*يرى البعض من أهل الأخبار أن موطن أيوب كان في الاحقاف بداخل الجزيرة (الطبري، ج١، ص ٢٠٦).

١١٥ أنظر صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٧.

١١٦ التوراة جاءت من جزيرة العرب، لكمال الصليبي، ص ١١٩.

١١٧ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ج١، ص ٥٨١.

١١٨ تاريخ العرب، لفيليب حتّي، ص ٦٦.

١١٩ العرب قبل الإسلام، لجرجي زيدان، ص ١٢٢. كذلك تاريخ العرب، لحتي، ص٨٨.

٦٨١ق.م) أنه تسلم الجزية من كرب إيل ملك سبأ. وكرب إيل هو كذلك أحد مكربي سبأ (الحاكم الكاهن)[١٢٠].

هـ - خيابه وبطنه: الخبية والبطنة وهما موضعان في شمال شرقي اليمن ذكرهما الهمداني في الصفة[١٢١]. ومما يرجح ذلك ورود خيابه في نص سرجون الثاني[١٢٢] بعد كلمة "مرسماني" التي تشير إلى إسم قبيلة وموضع. ومرسماني هي على الأرجح "مريابا" أو "مارسيابا" التي وصلت إليها حملة اليوس غالوس على الجزيرة. فقد سلكت الحملة الطريق البري عبر الحجاز ووصلت إلى "مارسيابا" مارة بنجران ونشق[١٢٣]. ويستنتج من

---

١٢٠ تاريخ العرب، لحتي، ص ٦٦، ٨٧. العرب قبل الإسلام، لجرجي زيدان، ص١٢٤.

١٢١ صفة جزيرة العرب، ص ١٦٤.

١٢٢ أنظر نص سرجون الثاني في كتاب جواد علي "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، ج١، ص ٥٨٥. وسوف نعود إلى هذا النص لاحقاً.

١٢٣ أنظر كتاب "تاريخ العرب في عصر الجاهلية"، عبد العزيز سالم، دار النهضة العربيّة، بيروت، بدون تاريخ إصدار، ص ١٤١. كذلك تاريخ العرب لحتي، ص ٧٧. وقد وردت "مارسيابا" هكذا في كتاب سترابو، وفي كتاب بلينوس وردت "مارايابا"، ويذكرها حتّي تحت إسم "ماريابا" (أنظر خريطة بطليموس في تاريخ العرب، ص ٨٠). ونشق هي التي إكتشفها المستشرق اليهودي "يوسف هاليفي" في رحلته إلى اليمن عام ١٨٦٩م في جملة ما اكتشفه من مدن دولة معين اليمنية ونقوشها في الجوف. وهي "ناسكوس" (Nascus) عند اليونان، واسمها الحالي البيضاء. (أنظر صفة=

ذلك أن مارسيابا تقـــع في جنوب الجزيرة بعد نجران وفي موضع قريـــب من الخبيـّــة والبطنة اللتين ذكرهما الهمداني. وقد تكون كلمة مارســـيابا الواردة في كتاب "سترابون" مؤرخ حملة إليوس غــــالوس، اختصـــاراً لكلمتي مارسماني وخيابا الواردتين في نص سرجون الثاني.

و – خطي أو خط: يذكر الهمداني في الصفـــة موضعـــاً في البحرين يُدعى الخط وإليه تنسب الرماح الخطية[124]، وهو على الأرجـــح موضع "خطيني" الذي ذكره "بلينوس"، المؤرخ الروماني (ت ٧٩م)، على ساحل الخليج. ولهذا رجح كلاسر أن يكون موضع "خطي" المذكور في نص تغلت فلاصر الثالث هو خطيني الذي ذكره بلينوس. ولكننا نرجـــح أن يكون موضع الخط الذي ذكره ياقوت في المعجم، وهو جبل بمكة[125].

ز – أدبئيل أو الدبيل: الدبيل هو موضع يذكره الهمدانـــي في الصفة يقع شرقي عسير بين الفلج والحجاز[126].

ويخبرنا سرجون الثاني أنه في السنة السابعة من حكمـــه قـــام بحملة على بلاد العرب، فأدّب ثمودي وأباديدي (عباديدي) ومرسمـــاني

–جزيرة العرب، للهمداني، ص ٨١. كذلك العرب قبل الإسلام، لجرجـــي زيدان، ص ١١٥).

[124] صفة جزيرة العرب، ص ٣٣١.

[125] معجم البلدان، ج٣، ص ٤٤٩.

[126] صفة جزيرة العرب، ص ٢٩٦، ٢٩٧.

وخيابة وهزمهم[127]. ثم يذكر بعد هذا الخبر أنه تلقى الجزية من سمسي ملكة العرب ومن برعو ملك مصري ومن يثعمر السبئي.

فهل إن حملة سرجون الثاني هذه، كانت باتجاه بلاد الشام "ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بمناطق غرب شبه الجزيرة العربية" كما يرى فراس السواح[128]؟. أم هل كانت موجهة ضدّ القبائل العربيّة في شمال شبه الجزيرة و"لم تتوغل كثيراً إلى أعماق بلاد العرب؟"[129]. إن البحث -وبشكل خاص- عن مواضع ثمودي وأباديدي، سوف يسمح بالإجابة عن هذا التساؤل.

لقد جاء إسم ثمود في مواضع عديدة من القرآن الكريم، إما منفرداً أو مقروناً بأقوام أخرى مثل قوم نوح وقوم عاد وأصحاب الرس[130]. ويستدل من ورود ذكر ثمود في عدّة مواضع قرآنية لترهيب الكفار من العاقبة التي آلت إليها حالتهم بعد أن تمادوا في الضلال عن الحق، واستمروا في طغيانهم، كما استمرّ طغيان "فرعون"[131] وقوم

---

[127] سبق وأشرنا إلى هذا النص، أنظر ص ٣٧.

[128] أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٣٩. كذلك فراس السواح في: "الحدث التوراتي"، ص ٨٠.

[129] أنظر الحدث التوراتي، لفراس السواح، ص ١٢٥.

[130] سورة التوبة ٩، الآية ٧٠/ سورة ابراهيم ١٤، الآية ٩/ سورة الحج ٢٢، الآية ٤٢/ سورة غافر ٤٠، الآية ٣١/ سورة الفرقان ٢٥، الآية ٣٨.

[131] سورة البروج ٨٤، آية ١٨/ سورة الفجر ٨٨، آية ١٠.

مدين[١٣٢]، أن الجاهليين كانوا يعلمون مصير ثمود وعاد[١٣٣]، وكانوا يعرفون كذلك منازلهم كما يظهر بوضوح من الآية: "وعاداً وثموداً وقد تبيّن لكم من مساكنهم"[١٣٤]. ولم يعين القرآن الكريم موضع ثمود بل اكتفى بالتلميح كما يظهر من آية: "وثمود الذين جابوا الصخر بالواد"[١٣٥]. ويرى المفسرون أن عبارة "جابوا الصخر" تعني أن منازلهم كانت في مناطق جبلية أو في هضاب صخرية فقطعوها واتخذوا فيها بيوتاً كقوله تعالى: "وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين"، وأن الواد هو وادي القرى بالحجاز[١٣٦]. وقد عيّن أكثر الرواة منازل ثمود في الحجر وهو قرية بوادي القرى. وقد زارها بعض الجغرافيين وعلماء البلدان وذكروا أن بها بئراً تسمّى بئر ثمود[١٣٧]، وقد نزل بها الرسول مع أصحابه في غزوة تبوك[١٣٨].

---

١٣٢ سورة هود ١١، آية ٩٥.

١٣٣ سورة فصلت ٤١، آية ١٣.

١٣٤ سورة العنكبوت ٢٩، آية ٣٨.

١٣٥ سورة الفجر ٨٨، آية ٩.

١٣٦ أنظر تفسير ابن كثير، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦، ج٦، ص ٤٠٧-٤٠٨.

١٣٧ معجم البلدان، لياقوت، ج٣، ص ٢٢١/ تاريخ الطبري، ج١، ص ١١٨/ صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ٢٧٤.

١٣٨ أنظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ج١، ص ٣٢٤.

وقد وصف مؤلّف كتاب "الطواف حول البحر الأريتري"، مواضع الثموديين مستنداً إلى مورد آخر أقدم عهداً منه. فذكر أن "Thamudeni" كانوا يقيمون على ساحل صخري طويل لا يصلح لسير السفن، وليست فيه خلجان تستطيع أن تحتمي بها السفن في حالة هبوب الرياح، ولا ميناء تتمكن من الرسو فيه، ولا موضع أو جزر عنده، تلجأ إليه القوارب الهاربة من الأخطار. فيظهر من هذا الوصف أن مواطن ثمود كانت في الحجاز على ساحل البحر الأحمر[١٣٩].

وورد ذكر ثمود في آداب اليونان والرومان، وعرفوا تحت إسم "ثموداي". فقد ذكر بلّينوس ثموداي وعين منازلهم بين "Domata" (دومة الجندل) و"Haegra" (الحجر) وموضع ثالث أسماه "Badanatha" هو في الراجح موضع "فج الناقة" على مقربة من الحجر[١٤٠].

أما أباديد "الذين يسكنون البادية ولا يقرون كبيراً أو صغيراً من الحكام"[١٤١]، فيفترض أن لا يكونوا بعيدين عن مواضع ثمود. وعليه فإننا نرجح أن تكون منازلهم بين الحجاز وبادية نجد. وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان مكاناً يُقال له وادي العبابيد (أو العباديد) على مقربة من

---

١٣٩ أنظر "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، لجواد علي. ص ٣٢٥.

١٤٠ المرجع السابق، ص ٣٢٥. كذلك العرب قبل الإسلام، لجرجي زيدان، ص ٦٧-٦٨.

١٤١ أنظر تاريخ العرب، لفيليب حتّي، ص ٦٦:

العقيق بأرض يثرب[١٤٢] من المحتمل أن يكون موضع أباديدي المذكورين في نص سرجون الثاني[١٤٣].

وانطلاقاً مما تقدّم نقول: إذا كانت منازل ثمود وعباديد في الحجاز، فهل يمكن القبول بمقولة فراس السواح التي يرى فيها أن الحملات الأشورية كانت موجهة عموماً نحو بلاد الشام ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بمناطق غرب شبه الجزيرة العربية. وأن الغزوات الأشورية نحو جزيرة العرب إنما "كانت موجهة ضدّ القبائل التي أطلقوا عليها إسم "أريبو" Aribu أي العرب"، والتي كانت مقيمة أو متجولة "بين بادية الشام وصحراء النقب. وأنها لم تتوغل كثيراً إلى أعماق بلاد العرب"[١٤٤]. ثم ما المقصود بعبارة "لم تتوغل كثيراً"؟! هل يعني أنها لم تتجاوز الأطراف الشمالية لشبه الجزيرة العربيّة؟ وهل وصولها إلى الحجاز لا يعني هذا التوغل الذي ينفيه السواح؟[١٤٥].

---

[١٤٢] معجم البلدان، ج٦، ص ١٠٤. كذلك صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ٢٦٤.

[١٤٣] كما أنه من المحتمل جداً أن يكون أباديدي (أو عباديدي) هم قوم عاد الوارد ذكرهم في القرآن بالترافق مع ثمود تماماً كما ورد في السجلات الأشورية.

[١٤٤] الحدث التوراتي، ص ١٢٤، ١٢٥. أنظر كذلك ما سبق الإشارة إليه، ص ٣٩.

[١٤٥] لكن الباحث فراس السواح وفي معرض مناقشته للصليبي حول كلمة "أريبي" الواردة في السجلات الأشورية، يرى أن الكلمة لا تعني "عربة" أو-

وفي الحملة التاسعة التي قام بها أشور بانيبال (٦٦٨-٦٣٣ق.م) على بلاد العرب لمعاقبة أويتع (Uaiti) بن حزائيل زعيم قبيلة قيدار، الذي حنث بيمينه وخالف عهده وميثاقه معه ونسي الجميل، يرد أن أويتع لم يتمكن من الثبات طويلاً والصمود أمام الأشوريين فاضطر للرجوع إلى البادية والاحتماء بها مع أتباعه. ثم أجبره بعد ذلك على الالتجاء إلى "نتنو" (Natnu) ملك "نبيتي" (Nabaiti) تاركاً زوجته بين أتباعه من قبيلة قيدار[١٤٦]. لكن ملك نبيتي الذي أخذ يتقرب من الأشوريين أرسل أويتع أسيراً إلى نينوى حيث سلّم إلى الملك آشور بانيبال فأمر بوضعه في قفص ليعرض على الناس عند أبواب المدينة. ويخبرنا الملك الأشوري عما صنعه بالأسير أويتع قائلاً في سجل حملته: "حبسته في

-"عرابة" في عسير (كما يحدد الصليبي في التوراة جاءت، ص ٣٧)، بل هي نسبة إلى العرب، وأن هؤلاء هم شعب كبير متنوع في تقسيماته القبليّة ومتوزع في مختلف أنحاء الجزيرة العربيّة (الحدث التوراتي، ص ٢٨٩ - ٢٩٠) فهل هذا الكلام ينسجم مع توكيد المؤلف سابقاً (الحدث التوراتي، ص ٨٠، ١٢٥). وإذا كانت كلمة "أريبي" المذكورة في السجلات الأشورية تعني العرب في مختلف أنحاء الجزيرة، فهل بادية الشام وصحراء النقب والفرات الأدنى هي من أنحاء الجزيرة العربيّة؟

[١٤٦] أنظر "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، لجواد علي، ص ٥٩٣، ٦٠٠، ٦٠١.

مربط الكلاب، وضعته مع بنات آوى والكلاب، وأقمته علـــى حراســة الباب في نينوى"[147].

ووصف حملته على القبائل العربيّة ومطاردته لهم "في رمضـــاء البادية وقيظها حيث لا ترى طيور السماء، وحيث لا يرى العير (حمـــار الوحش) ولا الغزال". وذكر في النص الخبر التالي الذي يصف فيه حالـــة الاعراب بعد هزيمتهم: "إشتدّت عليهم وطأة الجوع، ولكـــي يسـدوا رمقهم، أكلوا لحوم صغارهم... وقد سأل أهل العربية بعضهم بعضـــاً: مـــا بال بلاد العرب قد أحدق بها هذا الشر المستطير؟ فكان الجـــواب: "تلك عاقبة نكثنا العهد والميثاق الذي قطعناه لآشور".

وذكر آشور بانيبال في كتابته أن منازل قبيلة "نبيتي" بعيـــدة، و لم يسبق لها أن أرسلت رسلاً من قبل إلى بلاط أحد من آبائه وأجـــداده في نينوى، وأن هذه هي المرّة الأولى التي يصل فيها مـــن هـــذه القبيلـة رسول. ومن المفترض -بناء على ما تقدّم- أن تكون مواطـــن "قيـــدار" و"نبيتي" متقاربة، أو على الأقل غير متباعدة إلى درجة كبـــيرة[148]. فـــإذا

---

[147] المرجع السابق، ص ٦٠٢. كذلك "تاريخ العرب"، لفيليب حتّي، ص ٦٨.

[148] وفي التوراة كذلك تأتي نبايوت مترافقة مع قيدار (أشعيـــا ٦٠: ٧) كما أن نبايوت وقيدار هما من أبناء اسماعيل (تكوين ٢٥: ١٣). وانطلاقـــاً مـــن تحليلنا السابق بأن مساكن بني اسماعيل كانت من شرقي اليمن وعسير وحتى-

كانت مواطن قيدار في نواحي تدمر كما يرى فيليب حتّي في "تاريخ العرب"[149]، ونبيتي في البتراء جنوب المملكة الأردنيّة الهاشميّة[150]، فكيف يمكن تفسير لجوء أويتع زعيم قبيلة قيدار إلى نتنو ملك نبيتي طالما أن المسافة بينهما لا تقل عن ٨٠٠ كلم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كيف يمكن تفسير تحالفهما ضدّ آشور بانيبال الذي انشغل في حربه مع ملك عيلام في عام ٦٤٠-٦٤١ ق.م. هذا التحالف الذي قام في عهد أويتع الثاني، فطلبت قبيلة قيدار مساعدة نتنو ملك نبيتي فلبّى الطلب وتحالف معهم وأخذوا يهاجمون الحدود الأشورية. غير أن الجيوش الأشوريّة تمكنت من الانتصار على القيداريين وحلفائهم النبيتيين في موضع في البادية بين "يركي" (Jarki) وأزلة (Azalla)، وشتّت شملهم. ثم انتصرت في معركة أخرى على قيدار و"عشر سمين" (Atarsamain)، وقعت عند (Quraziti) (خرازة)، وغنمت

-أطراف نجد والحجاز، فإن نبابوت وقيدار كانتا على ما نرجح بين الحجاز ونجد. وسوف نشير إلى ذلك فيما يلي.

[149] تايخ العرب، لحتّي، ص ٦٧، ٧٣. كذلك "المفصل" لجواد علي، ص ٦٠٣.

[150] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٤٣٧. كذلك الحدث التوراتي، لفراس السواح، ص ٢٩١-٢٩٤. ونشير هنا إلى أن السواح يرى أن "سالع" عاصمة قيدار (كما ورد عند أشعيا ٤٢: ١١) هي على الأرجح "بيترا" المدينة النبطية المعروفة. وأن الانباط الذين تلوا القيداريين لم يكونوا سوى فريق قيداري أقام في سالع بصورة دائمة. أنظر كذلك تاريخ العرب، لفيليب حتّي، ص ١٠٣ وما بعدها.

فيهـا غنائم كبيرة من الجمـال والأغنام والحمير، كما أسـرت أصنام أويتع وأمه وزوجته وعدداً كبيراً من أتباعه. وفي معركة ثالثة جرت عند خوكرينا (Khukrina) أسر إثنان من زعماء القبائل العربيّة هما: "أبـي يثع" (Abjati') وشقيقه "إيمو" (Aimu)"[151].

ويرى جواد علي في "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" أن موضع يركي أو أرك يقع شرقي تدمر. أما موضع خوكرينـا فيحـدده جرجي زيدان في "العرب قبل الإسلام" قرب دمشق"[152]. وحيث أننـا لا نوافق على هذا الرأي، نرى أن المعارك الثلاث التي جرت بين الأشوريين والقبائل العربيّة المتحالفة إنما جرت -على ما نرجح- بين الحجاز ونجد. وسوف نورد فيما يلي تحديداً لهذه المواضع:

أ – **يركي أو أرك**: هناك أكثر من موضع في الحجاز ونجد يحمل إسم أرك. والموضع المقصود في النص الأشوري هو بلا شك واحد من الاحتمالات التالية: أراك في بلد بنى نهد، وأراكة في أسفل بلد زبيد، وأراكة من ديار خثعم بن عامر بـن ربيعـة[153]. ذو الأراكـة في

---

[151] أنظر "المفصل في تاريخ العرب"، لجواد علي، ص ٦٠٣.

[152] العرب قبل الإسلام، لجرجي زيدان، ص ١٠١.

[153] صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ٢٥٣.

العارض، وهو مترافق مع موضع آخر يُدعى إجلة[١٥٤]. أريك الأبيض في بلد بني أسد بنجد، وأريك بمكة[١٥٥].

ب - **أزلة**: إجلة من ديار جرم في العارض[١٥٦].

ج - **خرازة**: ربما كان موضع خزاز، ويُقال له خزازى (أو خرازى). وهو بنجد جنوب ذات عرق وإلى الشرق من الأوس الذين كان بينهم قوم يُقال لهم النبيت. وفي خزاز هذه جرت الوقعة الشهيرة المسماة "يوم خزاز" بين عدنان واليمن[١٥٧].

د - **خوكرينا**: الخورنق وهو من منازل إياد ومن محاضر العرب القديمة إلى جهة العراق[١٥٨].

أما نبيتي الذين يرد ذكرهم في النصوص الأشورية بالترافق مع قيدار، كما في النصوص التوراتيّة، فهم ليسوا نبطيي البتراء كما عرفوا حتى الآن. فلو كانوا في البتراء لما ورد في نص أشور بانيبال أن منازل نبيتو بعيدة، ولم يسبق أن أرسلوا رسلاً إلى بلاط آبائه وأجداده في نينوى

---

١٥٤ المرجع السابق، ص ٢٨٣.

١٥٥ المرجع السابق، ص ٣٢٨. ونرجح أن يكون الموضع المقصود هو أريك بني أسد، أنظر معجم البلدان لياقوت، ج١، ص ١٣٥، ١٦٥.

١٥٦ المرجع السابق، ص ٢٨٣.

١٥٧ المرجع السابق، ص ٣٢٢. كذلك "العرب قبل الإسلام"، لزيدان، ص ٢٣٦.

١٥٨ صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ٣٢١، ٣٢٨.

من قبل. والبتراء ليست بعيدة إلى هذا الحدّ عن بلاد أشور إذا ما أخذنا في الاعتبار أن الأشوريين كانت لهم حملات موجهة نحو بلاد الشام عموماً، ونحو فلسطين حتى غزة وصحراء النقب بشكل خاص. وعليه فإننا نرى أن مواطن نبيتٍ كانت في الحجاز جنوب شرقي يثرب (المدينة) حيث كانت منازل الأوس في الجاهلية. وقد كان بين الأوس قوم يُقال لهم "النبيت" افتخر بهم الشاعر قيس بن الخطيم من شعراء الجاهلية، فمدحهم ووصفهم بالشدّة والبأس[١٥٩]. كما كان في إياد قوم يُقال لهم النبيت كذلك[١٦٠].

وفي حين يقرن الصليبي كلمة "نبايوت" التوراتيّة بقرية النباة في بلاد بني مالك من منطقة الطائف[١٦١]، فإننا نرجح أن يكون إسم القرية

١٥٩ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٤٣٨. ومن شعر قيس في مدح النبيت نقل هذه الأبيات:

ويثرب تعلم أن النبيت ... رأس بيثرب ميزانها

وقد علموا أن ما فلّهم ... حديد النبيت وأعيانها

فلا أعرفنكم بعد عز وثروة ... يُقال ألا تلك النبيت عساكر.

١٦٠ لسان العرب، ج٢، ص٩٧/ ج٣، ص٥٦٣. تابع العروس، طبعة مصر، ١٢٨٦هـ، ج١، ص ١١٥. والنبيت أبو حي، وفي الصحاح حي من اليمن إسمه عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة.

١٦١ التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢١٨ (هامش رقم١٠). ونشير هنا إلى أن الصليبي يرفض اعتبار نبايوت التوراة نبطي البتراء. وفيليب حتّي في-

منسوباً إلى هؤلاء النبيت الذين كان مقامهم هناك. أما قيدار المذكورون في النصوص الأشورية تحت إسم "قدرو" (Kidru)، فلم يكن مقامهم في شرقي تدمر أو بادية الشام عموماً. وقد ذكرهم بلّينوس تحت إسم "قدراي" (Cederci) وقال أنهم قبيلة عربيّة تقيم على مقربة من النبط[١٦٢]. وسواء كان هؤلاء النبط الذين يقصدهم بلّينوس "نبطيي" البتراء أو "نبيتيي" الحجاز، فإن القيداريين كانوا بجوارهم وليس في بادية الشام.

وذكرت قيدار في التوراة ربطاً بالعرب كما جاء عند حزقيال ٢٧: ٢١ "العرب وكل رؤساء قيدار". وعند أشعيا اعتبرت قيدار من بلاد العرب حيث يقول:"وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين. هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء، وافوا الهارب بخبزه، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا... فإنه هكذا قال لي السيّد في مدّة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار. وبقية عدد قسيّ أبطال بني قيدار تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلّم" (أشعيا ٢١: ١٢-١٧).

يذكر أشعيا في هذا النص تيماء وددان وقيدار من جملة قبائل بلاد العرب. فإذا كانت "تيما" هي واحة تيماء بأعالي الحجاز، وددان هي

="تاريخ العرب" يرجح أن نبايوت التوراة ونبيتو الأشورية ليسوا الأنباط (ص١٠٣، هامش رقم١).

١٦٢ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٤٣٩.

"العلا" اليوم إلى الجنوب الغربي من تيماء، فمن المفترض منطقياً أن تكون قيدار في جوارهما العام، وعلى الأرجح إلى الجنوب منهما وليس إلى الشمال في البتراء التي يرجح الباحث فراس السواح أن تكون هي بالذات "سالع" عاصمة قيدار كما ورد عند أشعيا ٤٢: ١١"[١٦٣].

فلو سلمنا جدلاً أن "سالع" الواردة في قضاة ١: ٣٦، وملوك ثاني ١٤: ٧، وأخبار ثاني ٢٥: ١٢، وعوبديا ٣، هي موقع "بيترا" (ومعناها الصخر) -كما دعاه اليونانيون- جنوب شرقي البحر الميت في المملكة الأردنية الهاشمية اليوم. فإن سالع هذه تعتبر توراتياً من بلاد الأدوميين، وقد بقيت عاصمتهم حتى القرن الرابع قبل الميلاد حين استولى عليها الأنباط. وقد استطاع أمصيا ملك يهوذا (حوالي ٧٩٩-٧٧١ ق.م) انتزاعها منهم، لكنهم ما لبثوا أن استعادوها. ففي عهد آحاز (٧٣٥-٧١٦ ق.م) غزا الأدوميون يهوذا وسبوا سبياً (٢ أحبار: ٢٨: ١٧)، وحدث هذا في زمن أشعيا الذي بدأ رسالته النبوية في عام ٧٤٠ ق.م (عام وفاة عزيا ملك يهوذا ووالد آحاز) وأكملها في عهد آحاز وحزقيا (٢ أخبار٢٠:٣٢). من هنا نعتقد بأن "سالع" قيدار الواردة عند أشعيا ٤٢: ١١، ليست "سالع" التي كانت عاصمة الأدوميين في زمن أشعيا

---

١٦٣ الحدث التوراتي، ص ٢٩٣-٢٩٤. أنظر كذلك ما سبق الإشارة إليه، ص١٠٤، هامش رقم ١٥٠. بشأن ددان أنظر فصل "صور التوراتيّة وجِبْل"، ص ٢٦٣-٢٦٤.

النبي. فأشعيا يتحدث عن بني قيدار الذين كانوا في بــلاد العــرب، ولا يعقل أن يخلط بينهم وبين الأدوميين الذين جاوروا بني إسرائيل.ومن ثــم فلا يعقل أن يقصد بــ"سالع" عاصمة قيدار وأدوم في نفس الوقت[164].

ثم إذا كانت بلاد العرب -كما يقول السواح- غير مجــاورة لمملكتي يهوذا وإسرائيل، "وأهلها لا يمتون بصلة لأهل التوراة، بل هــم شعب مغاير لهم في كل شيء، ولا تربطه بهم رابطة قريبــة كــانت أم بعيــدة"[165]. "وبلاد العرب المقصودة في التوراة هي جزيرة العرب بما فيها عسير واليمن، حيث تذكر سبأ والسبئيون إلى جانب بقية الجماعات العربيّة. وهذه الأرض لا علاقة لها بمملكة يهوذا وإسرائيل"[166]. نقول: إذا كان الأمر كذلك، فكيف يمكن اعتبار سالع قيدار هي "بيــترا" المدينــة النبطية المعروفة، طالما أن هذه كانت مجاورة لمملكة يهــوذا وإســرائيل منــذ عصر داود وسليمان وحتى السبي، وترتبط بها بأكثر من صلــة أو علاقة[167]، وبلاد العرب ليست كذلك.

---

١٦٤ ولعله لهذا السبب بالذات يرى قاموس الكتاب المقدّس بأن "سلع" الــواردة في القضاة والملوك الثاني والأخبار الثاني، ربما كانت هي نفسها الواردة عند أشعيا ٤٢: ١١ و١٦: ١. يقول ربما ولا يؤكد. (أنظر ص ٤٤٥-٤٤٦).

١٦٥ الحدث التوراتي، ص ٢٩٢.

١٦٦ الحدث التوراتي، ص ٢٩٥.

١٦٧ تجدر الإشارة إلى أنه انطلاقاً من إصرار السواح على اعتبار فلســطين أرض التوراة، يلزم أن تكون بلاد الأدوميين هي المحاورة لأرض إسرائيل طالمــا-

من هنا نرى بأن "سلع" بني قيدار الذين كانوا في بلاد العرب هي موضع "سلع" (سلع تماماً كما في النص العبري) الذي يذكره الهمداني في الصفة[168]، وهو بأرض يثرب حيث موضع النبيت الذين رأينا سابقاً أنهم "نبيتي" النصوص الأشورية و"نبايوت" التوراة.

وفي ختام هذه الخلاصة، نتوقف عند نص حران الذي اكتشف عام ١٩٥٦م، و لم يشِر إليه السواح في تحليله للحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين نحو بلاد الشام والقبائل العربيّة بين بادية الشام وصحراء النقب. فقد عثر على هذا النص في خرائب جامع حران الكبير وترجم إلى الانكليزيّة، وهو يتحدّث عن حملة الملك البابلي نبونيد(٥٥٦-٥٣٩ ق.م) في الحجاز، ومما جاء فيه: أنه لما ترك بابل وجاء إلى"تيماء" أخضع أهلها، ثم ذهب إلى"ددانو"(ديدان أو العلا) و"بداكو"(فدك)

=اعتبر تقليدياً أن أدوم جنوب شرقي البحر الميت. ويلزم كذلك أن تكون بلاد العرب (ومنها قيدار وسالع قيدار) التي ذكرت عند أشعيا في موقع أبعد من أدوم. وحول الصلات والروابط بين أدوم وإسرائيل أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٣٩-٤٠، ٤٤٥-٤٤٦.

١٦٨ صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٤. ويذكره كذلك ياقوت في معجم البلدان، ج٥، ص ١٠٧. حيث يرد أن سلع جبل بسوق المدينة، وقال الأزهري: سلع موضع بقرب المدينة. وقال الشاعر قيس بن ذريح في حارية يزيد بن عبد الملك، وكانت أحسن الناس وجهاً ومسموعاً، وكان منشؤها بالمدينة:

لعمرك إنني لأحب سلعاً لرؤيتها ومن أكناف سلع.

و"خبرا"(خيبر) و"إيديعو" (يديع) حتى بلغ "اتريبو" (يثرب)[169].
والأماكن المذكورة في النص معروفة كلها في الحجاز بين تيماء شمالاً ويثرب جنوباً، وما زالت موجودة حتى اليوم باستثناء موضعي فدك ويديع. وفدك من الواحات القديمة التي كانت معروفة في صدر الإسلام ولم يبقَ منها سوى مساحة صغيرة قرب خيبر[170]. أما موضع يديع فقد أشرنا إليه سابقاً في خلال الحديث عن حملة أسرحدون على أرض بازو[171]، وقد ذكره الهمداني في الصفة وياقوت في معجم البلدان[172]. وإن وروده في نص نبونيد بين خيبر ويثرب يؤكد صوابية تحليلنا السابق حول أرض بازو التي ذكرت في السجلات الأشورية، وبوز وعوص التوراتيتين.

وبعد، فهل يمكن القبول بمقولة فراس السواح بأن "أبكر الحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين، غرباً كانت موجهة ضدّ بلاد

---

١٦٩ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٦١٤. كذلك معجم البلدان، لياقوت، ج ٤، ص ٢٣٨.

١٧٠ تاريخ العرب لحتّي، ص ٤٤. الصفة للهمداني، ص ٣٢١.

١٧١ أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٩٣.

١٧٢ معجم البلدان، ج٨، ص ٥٠٢. ويديع ناحية بين فدك وخيبر بها عيون لبني فزارة وبني مرة.

الشام... وأن كل الحملات التي تلت كانت في الاتجاه نفسه، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بمناطق غرب شبه الجزيرة العربية"[173].

---

[173] تجدر الإشارة في ختام هذه الفقرة إلى أن الإخباريين العرب يرون أن نبختنصر قد غزا أهل حضور في اليمن (وربما هي حاصور الواردة في التوراة). ويرد عند إرميا ٤٩: ٢٨ وما بعدها عن قيدار وممالك حاصور التي ضربها نبوخذ نصر ملك بابل. إن الترافق بين قيدار وحاصور لا يدعم كثيراً اعتبار حاصور في شمال فلسطين قرب بحيرة الحولة، في حين أن قيدار من القبائل العربيّة في الحجاز بأرض يثرب (أنظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ص ٣٥٠). وينقل الهمداني عن الاخباريين العرب كذلك أن أولاد معد بن عدنان عندما نموا وتكاثروا و لم تعد منازلهم بمكة وما والاها تتسع لهم، وكانت أرض العرب يومئذ خاوية وليس فيها بتهامتها ونجدها وحجازها وعروضها كثير أحد لأخراب بختنصر إياها وإجلاء أهلها إلا مَن كان اعتصم منهم برؤوس الجبال وشعابها، فاقتسموا غور تهامة بينهم على سبعة أقسام، لكل قسم ما يليه من ظواهر الحجاز ونجد وتهائم اليمن. (أنظر الصفة، ص ٥٦، كذلك ص ١٠٨-١٠٩ حيث يرد أكثر من حضور يمنية).

٧- مصر التوراتية من خلال النص

بعد أن استعرضنا في الصفحات السابقة من هذا القسم مسألة الحملات الأشورية على بلاد العرب والقبائل العربيّة عموماً والتي هي في الغالب من بني اسماعيل. وقد استلزمت منهجية البحث مناقشة الباحث فراس السواح في تعيين مواطن هذه القبائل، وعما إذا كانت مواطنهم تصل إلى حدود مصر وادي النيل (أو شور التي قبالة مصر) أم إلى مصر أخرى غير هذه، وإلى شور أخرى ليست -كما اعتبر تقليدياً- واقعة في غربي سيناء. كما استلزمت منهجية البحث كذلك مناقشة الباحث كمال الصليبي في بعض جوانب أطروحته "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، وبخاصة تلك الجوانب المرتبطة بشكل مباشر بالإطار الجغرافي للمسائل التي كانت في أساس البحث. وقد قادتنا تلك المسائل إلى الولوج في مسألة "مصر التوراتية" و"مصري" المذكورة في السجلات الأشورية، فتبين لنا أنهما ليستا مصر وادي النيل، بل على الأرجح مملكة صغيرة كانت في الحجاز من شبه جزيرة العرب. وفي سياق المسائل التي عولجت كان لا بدّ من طرح بعض النقاط المتعلّقة بمدى تلاؤم فلسطين وشرقي الأردن مع المعطيات الجغرافية والمناخية والنباتية التي تثبتها

النصوص التوراتيّة، وهذا قادنا أيضاً إلى البحث عن "أرض مصرايم" انطلاقاً من النصوص التي تناولناها في هذا السياق. فنحن لم نتناول سوى بعض النصوص التي كان تناولها يبدو ضرورياً لاستيفاء المسائل المعالجة حقها من البحث والتحليل. وفي خلال هذه الفقرة سوف نطرح مسألة "مصر التوراتيّة" استناداً إلى جملة من النصوص التي يظهر من خلالها أن مصرايم في التوراة ليست مصر الفرعونية.

١ - مصر "المدينة" أو "القرية"

من بين عشرات المواضع التي ذكرت فيها مصر (مصرايم) في التوراة، قليلة -بل نادرة- هي النصوص التي تشير، وبصورة لا غموض فيها، إلى أن مصر المقصودة هي مدينة أو قرية محدودة السكان، وإلى أن المصريين هم عشيرة أو قبيلة. لكن تلك النصوص، على قلّتها، تقدم للبحث الذي نحن في صدده قيمة فريدة.

يشير إرميا النبي في الإصحاح السادس والأربعين إلى مصر المدينة حين يقول: كلمة الرب التي صارت إلى إرميا النبي عن الأمم، عن مصر... تصعد مصر كالنيل وكأنهار تتلاطم المياه. فيقول أصعد وأغطي الأرض، أهلك المدينة والساكنين فيها"[١٧٤]، (٤٦: ١-٨).

---

[١٧٤] المدينة في العبرية "هـ عير"، وقد جاءت الكلمة في النص العبري نكرة مفردة "عير". ولهذا ترجمت في الترجمة اليسوعية (طبعة دار المشرق ١٩٨٦)-

فمصر هنا "مدينة" وليست أمبراطورية أو دولة كبيرة المساحة والسكان، كما هي الحال بالنسبة لمصر الفرعونية. ومما يؤكد صحة هذا الاستنتاج ما ورد في سفر زكريا ١٤: ١٧-١٨: "ويكون أن جميع الذين لا يصعدون من عشائر الأرض إلى أورشليم ليسجدوا للملك رب الجنود لا ينزل عليهم المطر. وعشيرة مصر إن كانت لا تصعد ولا تأتي تنالها الضربة التي يضرب بها الرب الأمم الذين لا يصعدون ليعيدوا عيد المظال"[١٧٥]. إن الإشارة إلى مصر القبيلة أو العشيرة عند زكريا، تلقي

-بالمفرد، وكذلك في الترجمة الانجيليّة (دار الكتاب المقدس في العالم العربيّ). بينما جاءت العبارة في الترجمة اليسوعيّة الأحدث (دار المشرق ١٩٨٩): "وأبيد المدن والساكنين فيها". لكن النص العبري قصد مدينة واحدة (عير بالمفرد) وليس مدناً (عيريم)، حتى ولو كانت نكرة. وفي سفر الخروج (٩:٢٩، ٣٣) كذلك، تأتي الإشارة إلى مصر المدينة حيث يرد: "فقال له موسى عند خروجي من المدينة ... فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون". وهي هنا مفردة معرّفة "هـ - عير". وبخصوص كلمة "النيل" التي تشير إلى النيل المصري، فهي في الأصل العبري "يئور": وتعني النهر أو الجدول أو الساقية. وعليه فإن الترجمة الأكثر دقة هي: "تصعد مصرايم كجدول وكأنهار...". وسوف نعود إلى هذه المسألة في فقرة لاحقة.

١٧٥ في بعض الترجمات يرد تعبير "عشيرة مصر" (الترجمة اليسوعية)، وفي غيرها (الترجمة الانجيلية) يرد "قبيلة مصر". والكلمة العبرية "مشبحه" تعني قبيلة أو عشيرة أو أسرة. (أنظر المعجم الحديث، عبري - عربي، تأليف ربحي كمال، ص ٢٨٨).

الضوء على عبارة إرميا "أهلك المدينة والساكنين فيها"، أي أهلك قبيلـــة المصريين الذين ليسوا -وفي أية حـــال- شعب وادي النيل.

وقد جاء في القرآن الكريم، وفي الكلام علـــى قصـــة موسى، أنه دخل مصر المدينة وخرج منها هارباً. وهذا يتوافق تماماً مع ما ورد عند إرميا بحيث نرى أن مصر -سواء في التوراة أو في القرآن- هي مدينة أو قرية لا يتعدّى سكانها حجم العشيرة أو القبيلـــة. جـــاء في سورة القصص ٢٨، آية ١٤: "ودخل المدينة على حين غفلة من أهلهـــا فوجد فيها رجلين يقتتلان، هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، فوكزه موسى فقضى عليه ... فأصبح في المدينة خائفاً يترقب (١٨)... وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى، قال يا موسى إن الملأ يـــأتمرون بـــك ليقتلـــوك فـــاخرج إنـــي لـــك مـــن الناصحين(٢٠)... فخرج منها خائفاً يترقب، قال رب نجني من القـــوم الظالمين"(٢١).

وكما في التوراة، كذلك في القرآن، فقد دمرت مدينة مصر لأنها طغت واستكبرت وكفرت بالرسل، "وأورثنا القـــوم الذيـــن كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك... ودمرنا ما كان يصنع فرعون وما كانوا يعرشـــون". (ســـورة الأعراف ٧، آية ١٣٧).

وفي بعض المواضع القرآنية ترد مصر كقرية من بين مجموعة القرى التي ظلمت وكفرت. ففي سورة هود أو الأعراف أو القصص أو غيرها، تعداد لهذه القرى، وهي قرية إرم حيث قوم عاد، وقرية الرسّ، وقرية ثمود، وقرية مدين، وأصحاب الأيكة، وقرية لوط، وقرية فرعون. وتختتم سورة هود سردها لهذه القرى وأخبار أهلها بالآية: "ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد... وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد" (آية ١٠٠، ١٠٢)[١٧٦].

وفي سورة الأعراف نقرأ: "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون" (آية ٩٦). و"تلك القرى نقص عليك من أنبائها، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل" (آية ١٠١).

وهذه القرى تقع كلها في منطقة واحدة هي وادي القرى بالحجاز بين مكة التي هي أم القرى، والحجر قرية ثمود. وقد بُعث النبي في مكة لينذر أهلها بعد أن أهلك الله ما حولها من القرى. "ولقد

---

١٧٦ يرد في تفسير ابن كثير حول تعبير "منها قائم وحصيد" أن الله قد أهلك الكافرين ونجى المؤمنين. فمنها قائم أي عامر وحصيد أي هالك. (ج٣، ص٢٥٨).

أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون" (سورة الأحقاف ٤٦، آية ٢٧)[١٧٧].

وقد استخدم القرآن كلمتي القرية والمدينة ليشيرا إلى مضمون واحد في كلتا الحالتين. فقرية لوط -على سبيل المثال- دُعيت في بعض الآيات القرآنية "قرية"، وفي بعضها الآخر "مدينة". نقرأ في سورة الحجر حيث دُعيت القرية بالمدينة: "وجاء أهل المدينة يستبشرون. قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون، واتقوا الله ولا تخزون. قالوا أو لم ننهك عن العالمين. قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين، لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون. فأخذتهم الصيحة مشرقين، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل" (آية ٦٧-٧٤). وفي سورة الأعراف استخدم النص القرآني كلمة القرية: "ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة، ما سبقكم بها من أحد من العالمين. إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون. وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون" (٨٠-٨٢).

٢ - بنو إسرائيل أكثر من شعب مصر

"وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر مع يعقوب ... رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون وبنيامين

---

[١٧٧] راجع تفسير ابن كثير، ج٥، ص ٣١١.

ودان ونفتالي وجاد وأشير. وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً، ولكن يوسف كان في مصر" (خروج ١: ١-٥).
هكذا يبدأ الإصحاح الأول من سفر الخروج ليخبرنا بأن بني إسرائيل الذين دخلوا مصر التوراتية (أرض مصرايم) كانوا سبعين شخصاً مع يوسف الذي كان في مصر وتزوج هناك وولد منسى وإفرائيم. لكن عشيرة إسرائيل هذه أصبحت بعد زمن أكثر وأعظم من المصريين على ما تقوله التوراة. وفي متابعة سفر الخروج نقرأ ما يلي: "ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل. وأما بنو إسرائيل فاثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً، وامتلأت الأرض منهم. ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه: هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا، هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض" (خروج ١: ٦-١٠).

إن ما يقوله هذا النص بكل وضوح، أن بني إسرائيل أعظم من المصريين. فهل مصر وشعبها المقصودين هنا هما مصر وادي النيل وشعبها؟ إن الواقع لا يمكن أن يكون كذلك، وفي أية حال من الأحوال. وحتى لو فرضنا أن الاسرائيليين لم يعودوا سبعين نفساً كما كانوا زمن دخولهم أرض مصرايم، بل نموا وتوالدوا وكثروا وأثمروا كثيراً جداً، فهم مع ذلك لا يمكن أن يصبحوا أعظم من شعب مصر الفرعونية في مدى جيلين أو ثلاثة أجيال أو أكثر.

وإذا فرضنا أن الزمن الذي انقضى بعد موت يوسف، ومن ثم تكاثر بني إسرائيل، إلى قيام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، هو في حدود قرن بل قرنين. مع أن منطق النص يوحي بأن هذا الملك الجديد قام بعد يوسف بفترة قصيرة نسبياً قد لا تتعدّى الجيل أو الجيلين على الأكثر. نقول إذا ما فرضنا أن الفترة الزمنية الفاصلة قد تصل إلى ستة أجيال أو قرنين، أي نصف الزمن الذي بقي فيه الاسرائيليون في مصر[١٧٨]، فإن تزايد بني إسرائيل في خلالها لا يمكن أن

[١٧٨] لقد بقي الاسرائيليون في مصر، على ما جاء في سفر الخروج ١٢: ٤٠-٤١، مدّة أربع مئة وثلاثين سنة. ونشير هنا إلى أن الباحث السوري أحمد داود، وفي دراسة له نشرت في جريدة الديار اللبنانية (أعداد:٢٩ و٣٠ أيلول ١٩٩٠، و١تشرين الأول١٩٩٠) يعتبر "أن عدد بني إسرائيل كان أكثر من المصريين زمن يوسف بن يعقوب، علماً أن عددهم كان، كما تحدده التوراة، سبعين نفساً فقط". لكن هذا الرأي ليس دقيقاً، فإذا كان صحيحاً أن عدد الاسرائيليين سبعون نفساً في زمن يوسف، فليس صحيحاً أن هذا العدد كان يفوق المصريين،لأن النص لا يقول ذلك. فالباحث داود قد أهمل جانباً أساسياً من النص (خروج١: ٦-٧) يقول بأن يوسف قد مات، وكذلك إخوته وجميع ذلك الجيل، وتكاثر بنو اسرائيل جداً، ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف. وحول ما إذا كانت الفترة الزمنية الفاصلة بين موت يوسف وإخوته، وقيام ملك جديد على مصر، طويلة أم قصيرة، فنحن لا نستطيع تحديدها بدقة لأن النص لا يوضح هذا الأمر. لذلك نفترض أن تكون قد امتدت إلى ستة أجيال.

يصل إلى درجة يصبحون معها أعظم من شعب وادي النيل. فإذا كان تكاثرهم يتمّ حسب المتوالية الهندسية (١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، إلخ)، ويتضاعف عددهم مرة في كل جيل، ففي الجيل السادس لن يصبحوا أكثر من خمسة آلاف نسمة، وفي العاشر أكثر من سبعين ألفاً[١٧٩]، ومع ذلك لن يصيروا أكثر وأعظم من شعب مصر الفرعونية. فالهرم الكبير بالجيزة، وهو هرم الفرعون خوفو (وقد حكم بين ٣٠٦٨-٣٠١١ ق.م)، عمل في نقل حجارته البالغ عددها مليونين ونصف تقريباً، وفي بنائه، مئات

---

[١٧٩] نحن نفترض أن تكون الأرقام الواردة في التوراة حول عدد الاسرائيليين عندما خرجوا من أرض مصرايم، دقيقة بوجه عام، مع أنها في الواقع قد تكون أرقاماً مبالغة. فاذا كان الاسرائيليون الخارجون من مصرايم نحو ست مئة ألف من الرجال عدا الأولاد (خروج ١٢: ٣٧)، فإن تزايدهم السكاني قد تمّ حسب المتوالية الهندسيّة، فتضاعف عددهم مرة في كل جيل (مع أن ذلك ليس مطلقاً وفق نسب التزايد السكاني)، وذلك على الوجه التالي: ٧٠- ١٤٠- ٢٨٠- ٥٦٠- ١١٢٠- ٢٢٤٠ (أو ٢٢٥٠)- ٤٥٠٠- ٩٠٠٠- ١٨٠٠٠- ٣٦ألف- ٧٢ألف- ١٤٤ألف- ٢٩٠ أو ٣٠٠ألف- ٦٠٠ألف. أي أنهم تزايدوا من سبعين نفساً إلى ست مئة ألف في ثلاثة عشر جيلاً، وهي المدّة التي قضوها في مصر (٤٣٠ سنة، والقرن ثلاثة أجيال). (راجع حول التزايد السكاني والمتوالية الهندسية، كتاب "دراسات في علم السكان"، تأليف د. حسن الساعاتي، د. عبد الحميد لطفي، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧١، ص ٧٧).

الآلاف من العمال مناوبة، فكان يعمل منهم مائة ألف في كل نوبة، وكل نوبة تعمل ثلاثة أشهر كما ذكر المؤرخ اليوناني هيرودوتس[١٨٠].

٣ - إخوة يوسف في مصر

في سياق رواية سفر التكوين عن أبناء يعقوب وذهابهم إلى مصر لشراء القمح، لمّا حدثت مجاعة في أرض كنعان، "وكان الجوع شديداً في الأرض" (٤١: ٥٧، ٤٢: ٥، ٤٣: ١)، نقرأ أنه في المرّة الأولى "نزل عشرة من إخوة يوسف ليشتروا قمحاً من مصر، وأما بنيامين أخو يوسف فلم يرسله يعقوب مع إخوته" (٤٢: ٣-٤). ثم عادوا حاملين قمحهم وجاءوا إلى يعقوب أبيهم إلى أرض كنعان. وحدث لمّا فرغوا من أكل القمح الذي جاءوا به من مصر أن أباهم قال لهم إرجعوا اشتروا لنا قليلاً من الطعام، فقال يهوذا لأبيه إسرائيل (يعقوب): "إننا لو لم نتوان لكنا قد رجعنا الآن مرتين" (٤٣ : ١٠). إن

---

١٨٠ أنظر "قصة الحضارة"، تأليف ول ديورانت، ترجمة زكي نجيب محمود، طبعة جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٧١، ج٢، ص٦٩. ونذكر القارئ بأن الأرقام التي ذكرها هيرودوتس قد تكون مبالغة (كما الأرقام التوراتية). لكن يجب أن نلاحظ أن بناء هرم خوفو قد تم في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، وأن المصريين لا بدّ أيضاً أن يكونوا قد تكاثروا -ولو نسبياً- خلال اثني عشر قرناً، على الأقل، قبل دخول الاسرائيليين إلى مصر.

قراءة هذه القصة، إنطلاقاً من منطـــق النـــص بـــالذات، توصلنـــا إلى الاستنتاجات التالية:

أ - إن الوسيلة التي استخدمها إخوة يوسف للذهاب من أرض كنعان (التي اعتبرت تقليدياً فلسطين) إلى مصر والعودة منهـــا حاملين القمح، هي الحمير. فإذا سلّمنا بإمكانية عبور صحـــراء ســـيناء الفاصلة بين فلسطين ووادي النيل بواسطة الحمير، وبإمكانيّة نقل القمـــح على ظهورها، فإننا لا نستطيع أن نتصور أن حمولة عشرة حمير ســـوف تزيد عن أربع مئة رطل كحدّ أقصى (أو أربعة قناطير) إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن المسافة لا تقل عن ٧٥٠ كيلومتراً ذهاباً وإياباً.

ب - إن كمّية القمح هذه لا يمكن أن تكفي عشـــرة إسرائيل التي تقدر بثمانين نفساً مع النساء[١٨١]، أكثر من أربعين يوماً، أي بمعدّل عشرة أرطال في اليوم الواحد.

ج - لقد قال يهوذا لأبيه -وبعد أن فرغوا من أكـــل القمح الذي جاؤوا به من مصر- "إننا لو لم نتوانَ لكنا قد رجعنـــا الآن مرتين". فإذا فرضنا أنهم قد توانوا عن الذهاب مرّة ثانيـــة، فـــترة مـــن

[١٨١] إن هذا الرقم مبني على أساس أن بني يعقوب الخارجين من صلبه كانوا ســـتة وستين شخصاً ما عدا النساء (تكوين٤٦ :٢٦)، بالإضافة إلى يعقوب ونسائه الثلاث (راحيل ماتت عندما ولدت بنيـــامين، تكويـــن٣٥: ١٩)، ونســـاء أولاده وأحفاده أكثر من عشر (ثلاث عشرة امرأة، تكوين٤٦: ٨-٢٥).

الزمن تعادل الزمن الذي مرّ إلى حين انتهاء كمّية القمح -أي أربعين يوماً[182]، فإنهم لا يمكنهم في خلالها الذهاب إلى مصر والعودة منها مرتين، لأن ذلك سوف يستغرق ثلاثة أشهر على الأقل، أي بمعدل ٤٥ يوماً للمرّة الواحدة.

د - من هنا نرى، وبشكل قاطع، أن مصر المقصودة ليست مصر وادي النيل. بل هي إمارة مجاورة لموطن عشيرة إسرائيل ولا تبعد عنها أكثر من مسيرة عشرة أيام على أبعد تقدير. وفي القرآن الكريم وخلال الكلام على قصة يوسف وإخوته، يقول كبيرهم (وهو رأوبين): "إرجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك (أي بنيامين) سَرق وما شهدنا إلاّ بما علِمنا وما كنا للغيب حافظين. واسأل القرية التي

١٨٢ إننا نفترض أن تأخرهم عن الذهاب مرّة ثانية قد يصل إلى أربعين يوماً، مع أن هذه الفترة طويلة نسبياً. ذلك لأن الجوع كان شديداً في الأرض وكمّية القمح التي حملوها من مصر في المرّة الأولى كانت قد استهلكت، ممّا دفع بيعقوب ليقول لأولاده: "أرجعوا اشتروا لنا قليلاً من الطعام" (تكوين ٤٣: ٢). ولكنهم تأخروا عن الذهاب لأن يعقوب رفض أن يرسل معهم ابنه الأصغر بنيامين كما اشترط الرجل سيّد الأرض في مصر (أي يوسف). ثم ما لبث أن انصاع لهذا الشرط بالرغم من أن بنيامين هو الوحيد الباقي له من زوجته راحيل بعدما فقد يوسف أخاه البكر، مما يؤكد حاجتهم الماسة إلى الطعام وعدم إمكانيّة تأخرهم إلى أكثر من هذه المدّة. وحتى لو تأخروا شهرين، فليس بالإمكان في خلال ذلك الذهاب إلى مصر والعودة مرتين.

كنا فيها والعير" (سورة يوسف ١٢، آية ٨٠-٨١). مما يوحي بأن مصر التي كان فيها إخوة يوسف هي قرية مجاورة لموطن بني إسرائيل. فلو أراد يعقوب التأكد من صدق أولاده لكان بإمكانه أن يسأل قرية المصريين القريبة منه. وفي تفسير ابن كثير: المراد بالقرية مصر[١٨٣].

٤ - جنازة يعقوب

جاء يعقوب مع عشيرته إلى أرض مصرايم وهو بعمر مئة وثلاثين سنة (تكوين ٤٧: ٩)، وعاش هناك سبع عشرة سنة. ولما قربت أيامه "دعا ابنه يوسف وقال له: "إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فضع يدك تحت فخذي واصنع معي معروفاً وأمانة، لا تدفنّي في مصر. بل أضطجع مع آبائي، فتحملني من مصر وتدفنّي في مقبرتهم" (تكوين ٤٧: ٢٨-٣١). وعندما أصبح على فراش الموت دعا أبناءه جميعاً وأوصاهم وقال لهم: " أنا أنضم إلى قومي، إدفنوني عند آبائي في

---

١٨٣ أنظر ج٣، ص ٣٠٢. ونلفت نظر القارئ إلى أن الباحث أحمد داود وفي مقالته المشار إليها سابقاً، يطرح هذه المسألة كذلك ويقول: أن يوسف لم يبع إخوته حاجتهم في المرّة الأولى، بل عادوا أدراجهم صفر الأيدي. لكن النص التوراتي لا يقول ذلك بل يؤكد أن يوسف أمر "أن تملأ أوعيتهم قمحاً، وترد فضة كل واحد إلى عدله، وأن يعطوا زاداً للطريق. ففُعِل لهم هكذا. فحملوا قمحهم على حميرهم ومضوا من هناك" (تكوين ٤٢: ٢٥-٢٦). ويبدو أن الباحث داود قد استند في رأيه هذا إلى النص القرآني (سورة يوسف، آية ٦٣).

المغارة... التي في حقل المكفيلة التي أمام ممرا في أرض كنعان، التي اشتراها ابراهيم مع الحقل من عفرون الحثي ملك قبر. هناك دفنوا ابراهيم وسارة امرأته، هناك دفنوا أسحق ورفقة امرأته، هناك دفنت ليئة" (تكوين ٤٩: ٢٩-٣١)[١٨٤].

وبعد موت يعقوب أمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوه، ثم صعد ليدفن أباه في أرض كنعان حسب وصيته. "وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر، وكل بيت يوسف وإخوته وبيت أبيه. غير أنهم تركوا أولادهم وغنمهم وبقرهم في أرض جاسان. وصعد معه مركبات وفرسان فكان الموكب عظيماً جداً. فأتوا إلى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن وناحوا هناك نوحاً عظيماً

١٨٤ تجدر الإشارة إلى أن "ليئة" زوجة يعقوب الأولى قد ماتت في أرض مصرايم بعد انتقال عشيرة اسرائيل إليها من أرض كنعان. أما راحيل زوجته الثانية فقد ماتت في أرض كنعان قبل الهجرة إلى مصر، ودفنها يعقوب في طريق أفراته التي هي بيت لحم (تكوين ٤٨: ٧). فإذا كانت ليئة قد ماتت في مصرايم ودفنت في مغارة المكفيلة كما يقول يعقوب: "هناك دفنت ليئة"، فمن المفترض -بناءً على ذلك- أن يكون يعقوب قد صعد من مصر إلى أرض كنعان لدفن زوجته (كما صعد يوسف ليدفن أباه)، مما يوحي بأن الانتقال من مصرايم إلى كنعان لدفن ميت، كان أمراً يسيراً وليس بمثل الصعوبة التي يتصورها المرء في حمل ميت من مصر وادي النيل وعبور صحراء سيناء بهدف دفنه في فلسطين. (حول موت ليئة في أرض مصرايم، أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٢٦).

وشديداً جداً، وصنع لأبيه مناحة سبعة أيام. فلما رأى أهـــل البـــلاد الكنعانيون المناحة في بيدر أطاد قالوا: هذه مناحة ثقيلة للمصريين. لذلك دعي اسمه آبل مصرايم الذي في عبر الأردن. وفعل له بنوه هكـــذا كمـــا أوصاهم: حمله بنوه إلى أرض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المكفيلـــة... أمام ممرا" (تكوين ٥٠: ٧-١٣).

وتجدر الإشارة أولاً، إلى أن الباحث كمال الصليبي قد قام بقراءة هذه القصة في ضوء جغرافية غرب شبه الجزيرة العربيـــة بين عسير وتهامة. وهو يرى أن موكب الجنازة قد انطلق من المصرمـــة، بجوار خمس مشيط في عسير الداخل، صعوداً إلى مرتفعات السراة حيـــث توقف للمناحة عند جبل ضرم (بيدر أطاد أو آبل مصرايم). ثـــم عـــبر شفـــا السراة عن طريق عقبة حضوة التي تسير بمحاذاة جبـــل ضـــرم، متابعاً سيره نزولاً باتجاه منطقة القنفذة من تهامة حيث قريـــة المقفلـــة. فموكب الجنازة حسب قراءة الصليبي قد انطلق من مصرايـــم شـــرقاً إلى أرض كنعان غرباً[١٨٥].

[١٨٥] أنظر "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل"، ص ١٥٦-١٥٨. ومهما يكـــن من أمر صوابية تحليل الصليبي عموماً، فإننا نتفق معه حول مســـألة انطـــلاق موكب جنازة يعقوب من الشرق إلى الغرب، وليس من الغرب إلى الشـــرق كما هو الواقع بالنسبة لجغرافية مصر وادي النيل وفلسطين. وسوف نوضـــح ذلك في سياق هذه الفقرة.

كما أن الباحث أحمد داوود قد أشار إلى "حكاية دفن يعقوب" في مقالته المشار إليها آنفاً، مؤكداً على استحالة أن تكون مصرايم هي مصر وادي النيل[186].

وفي حين أن الصليبي -وإلى حدّ ما داوود- ينطلق من مسلمة مسبقة وهي أن أرض التوراة في عسير وتهامة، ويحاول في ضوئها قراءة جغرافية قصة جنازة يعقوب. فإننا على العكس من ذلك سوف ننطلق من التسليم مسبقاً بأن أحداث القصة قد جرت بين وادي النيل وفلسطين، لنرى ما إذا كانت قد جرت فعلاً في هذا الإطار الجغرافي، وما إذا كانت المعطيات الجغرافية التي يقدمها النص التوراتي تنسجم مع هذا الإطار. وعليه نسجل الملاحظات التالية:

أ - إن الكلمة العبرية "أطاد" قد تعني الشوك أو العلّيق أو شجرة شائكة، ويمكن أن تعني كذلك شجرة "القتاد"[187]. من هنا نرى بأن الترجمة الأكثر دقّة لعبارة "جرن هـ-ءطد" ليست

---

[186] أنظر ص ١٢٢ سابقاً، هامش رقم ١٧٨. كذلك المقدمة، ص١٣.

[187] أنظر المعجم الحديث، عبري-عربي، لربحي كمال، ص٤٠. كذلك قاموس ي. قوجمان، عبري-عربي، مكتبة المحتسب، القدس ١٩٧٠، توزيع دار الجيل بيروت، ص ٢٣.

"بيـــدر الشوكة" كمـــا ورد في الترجمة اليسوعيّة (ط ١٩٨٩)[١٨٨]، بــل "بيدر القتاد".

ب - إن موضع بيدر أطاد أو آبل مصرايــم، كمــا يحدد النص، هو في عبر الأردن (عبر هــ - يردن)، أي شـــرقي الأردن التوراتي. وقد اعتبر الباحثون التوراتيون عموماً، أن هذا المكان يجـــب أن يكون في نقطة ما إلى الشرق من نهـــر الأردن الفلســطيني في المملكـــة الأردنيّة الهاشمية، دون الوصول إلى تحديد موضعه كما جرى في حـــالات أخرى مشابهة. ولهذا يكتفى عادة بالقول بأن هذا المكان "لا يعـــرف الآن على وجه التحقيق"[١٨٩].

ج - إن عبارة "جرن هــ- ءطد" إذا ما أخذت بمعنى "بيدر القتاد"، وليس بيدر الشوك أو العليق، سوف تثير بلا شك إشكالاً أساسياً لأن شجر القتاد لا ينبت في الأردن وفلسطين. بل هو من نبـــات

---

[١٨٨] أنظر ص ١٤٧. كذلك في الهامش حيث يرد بأن بيدر الشوكة وآبل مصرايم هما: "موقعان مجهولان يحددهما النص كأنهمـــا في عـــبر الأردن". وتعبـــير "كأنهما" يوحي بأن المترجمين قد وقعوا في شك حول كون هذين المكـــانين يقعان حقيقة في شرقي الأردن. فإذا كان موقعهما كذلك -وهذا مـــا يثبتـــه النص- فلماذا جاء الموكب إلى شرقي الأردن أولاً؟ و لم يـــأت مباشـــرة إلى حبرون الواقعة غربي الأردن؟!.

[١٨٩] أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٨٧.

الجزيرة العربيّة، وعلى الأخص بنجد وتهامة[١٩٠]. ولكننا سنتجاوز هذا الأمر معتبرين أن موضع بيدر أطاد هو في شرقي الأردن، وذلك انسياقاً مع المنطلق المنهجي الذي أشرنا إليه قبل قليل.

وبناءً على هذه الملاحظات، يفترض منطقياً أن يكون موكب الجنازة قد انطلق من مصر وادي النيل عبر صحراء سيناء، ليصل إلى بيدر أطاد الذي في شرقي الأردن قبل وصوله إلى أرض كنعان. فالنص يقول أن أبناء يعقوب -وبعد المناحة في بيدر أطاد- فعلوا كما أوصاهم، فحملوه "إلى أرض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة". مما يعني أنهم مروا ببيدر أطاد الذي في عبر الأردن قبل وصولهم إلى قبر ابراهيم وسارة وإسحق أمام ممرا بالقرب من حبرون.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن حبرون تعتبر اليوم مدينة الخليل الواقعة إلى الجنوب الغربي من القدس بتسعة عشر ميلاً، وإلى الغرب من البحر الميت[١٩١]. فإن المنطق يحتّم القول بأنهم وصلوا إليها قادمين من الشمال الشرقي بعد عبورهم نهر الأردن. نقول ذلك لأنه من غير المعقول أن يكونوا قد توجهوا إليها من الجنوب الشرقي، أي من الطرف الجنوبي للبحر الميت. فهذا الطريق لا ينسجم مع منطق النص

[١٩٠] أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٤٨، هامش رقم ٣٢.

[١٩١] أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٢٨٦-٢٨٧.

القائل بأنهم توقفوا للمناحة سبعة أيام في بيدر أطاد الواقع "في عبر الأردن" (عبر هـ - يردن).

وهنا نستنتج أن الطريق الذي سلكه الموكب من مصر إلى حبرون -مروراً بعبر الأردن- لا بدّ أن يكون واحداً من اثنين: إما أنهم جاءوا عن طريق الساحل نحو غزة، وتابعوا سيرهم شمالاً باتجاه نهر الأردن، ثم عبروه نحو الشرق للمناحة في بيدر أطاد، ثم عادوا وعبروه مرّة ثانية نحو الغرب وانطلقوا جنوباً نحو حبرون. وهذا غير معقول لأن بإمكانهم التوجه من غزة إلى حبرون (الخليل) مباشرة، وتوفير فترة من الوقت تعادل الوقت الذي استغرقوه لقطع المسافة بين مصر وغزة[١٩٢]. وإما أنهم عبروا صحراء سيناء باتجاه النقب وتابعوا سيرهم شمالاً عن طريق شرقي البحر الميت للوصول إلى شرقي الأردن. وبعد المناحة في بيدر أطاد عبروا غرباً باتجاه أرض كنعان إلى مغارة حقل المكفيلة.

[١٩٢] وهو غير معقول كذلك، لأن التوجه من غزة إلى شرقي الأردن يعني في الواقع أنهم قد عبروا أولاً أرض كنعان من الساحل الفلسطيني إلى نهر الأردن. وهذا يناقض قطعاً منطق النص القائل بأنهم أتوا إلى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن قبل توجههم إلى أرض كنعان. وإذا كانوا قد توجهوا من غزة إلى حبرون مباشرة (وهذه أقصر الطرق)، فيكونون بذلك قد وصلوا إلى قبر ابراهيم دون الحاجة للمرور بعبر الأردن. وهذا أيضاً يتناقض مع منطق النص.

ولكن لماذا كان عليهم أن يسلكوا هذا الطريق الذي يبلغ طوله على أقل تقدير ٧٥٠ كيلومتراً ذهاباً؟! ولا يسلكوا الطريق الأقرب، أي من مصر إلى حبرون مباشرة دون المرور بشرقي الأردن، ويوفروا نصف المسافة على الأقل[١٩٣]. فالمنطق يقضي بالقول أن القادم من مصر إلى فلسطين لدفن ميت -تاركاً الأولاد والمواشي في أرض جاسان- يختار الطريق الأقرب والأسهل توفيراً للوقت ومعاناة عبور الصحراء، آخذاً في الحسبان كذلك الوقت الضروريّ للعودة[١٩٤].

---

١٩٣ قد يُقال أنهم اختاروا هذا الطريق لتحاشي الاصطدام بأهل البلاد الكنعانيين. لكن لا هذا الطريق، ولا أي طريق آخر غيره بين مصر وادي النيل وفلسطين، يمكن أن يغنيهم عن المرور بأرض الكنعانيين طالما أنهم في الواقع يريدون الوصول إلى حبرون الواقعة في وسط أرض كنعان. عدا عن أن الموكب كان عظيماً جداً ومعه مركبات وفرسان. ثم أن الصلات والروابط بين عشيرة إسرائيل وأهل البلاد الكنعانيين كانت حتى ذلك الزمن ودية، ولم تصبح عدائية إلاّ بعد الخروج من أرض مصرايم زمن موسى. ثم إن يعقوب وكما يفترض-كان قد صعد قبلاً من مصرايم إلى أرض كنعان لدفن زوجته ليئة، دون أن يذكر النص أية مشكلة في ذلك (أنظر ص١٢٨، هامش رقم ١٨٤).

١٩٤ من المفترض منطقياً -وبناء على هذا التحليل الجغرافي- أن تكون مصر التوراتية واقعة إلى الشرق من أرض كنعان، وليس غربها كما هي الحال بالنسبة لمصر وادي النيل. فالقادم من مصر إلى فلسطين يريد حبرون (الخليل)، ليس مضطراً للمرور بعبر الأردن أولاً، وقبل وصوله إلى أرض كنعان،-

٥ – أنهار مصر وسواقيها

ترد عبارة "أنهار مصر وسواقيها" عدّة مرات في التوراة. والنص العبري يميز بشكل لا لبس فيه بين النهر (وفي العبرية "نهر" وجمعها "نهروت") وبين الساقية (وفي العبرية "يئور" وجمعها "يئوريم").

نقرأ في سفر الخروج ٧: ١٩: "ثم قال الرب (يهوه) لموسى قل لهارون: خذ عصاك ومديدك على مياه المصريين، على أنهارهم وعلى سواقيهم...ومات السمك الذي في النهر وإنتنّ النهر. فلم يقدر المصريون أن يشربوا ماء من النهر". وفي أشعيا ١٩: ٥-٦: "وتنشف المياه من البحر ويجف النهر وييبس. وتنتن الأنهار وتضعف وتجف سواقي مصر". وفي حزقيال ٣٠: ١٠-١٢: "هكذا قال السيد الرب. إني أبيد ثروة مصر...فيجردون سيوفهم على مصر ويملأون الأرض من القتلى. وأجعل الأنهار (يئوريم) يابسة".

فهل مصر المقصودة هنا، والتي فيها أنهار وسواقي، هي مصر وادي النيل؟. من الممكن الموافقة على أن الإشارة إلى السواقي في هذه النصوص التي أوردناها، قد تكون إشارة إلى سواقي النيل المصري.

=كما يحدد النص بكل وضوح. وقد أشار الباحث أحمد داود إلى هذه المسألة قائلاً: "إذاً لقد جاؤوا من بيدر في مصر وعبروا الأردن إلى بيدر في أرض كنعان. فأية مصر هذه التي يفصلها عن فلسطين نهر الأردن؟" (أنظر مقالته في جريدة الديار اللبنانية، عدد ٣٠/ ٩/ ١٩٩٠).

لكن أنهار "مصريم" لا يمكن أن تكون بأية حال من الأحوال أنهار مصر وادي النيل. فهي -وكما يبدو من سياق النص- أنهار تجف وتنتن، مما يوحي بأنها أنهار وجداول موسمية تفيض في فصول معينة من السنة، ثم لا تلبث أن تعود إلى حالة الجفاف. بينما النيل المصري (وهو النهر الوحيد في مصر) الذي يفيض في أوقات معينة من السنة، لا يمكن أن يصيبه الجفاف إطلاقاً مهما انخفض منسوب مياهه.

وتجدر الإشارة في هذا السياق، إلى أن الكلمة العبرية "يئور" الواردة في أشعيا ١٩: ٧، ٢٣: ٣، وفي إرميا ٤٦: ٧، ٨، وفي عاموس ٨: ٨، ٩: ٥، والتي اعتبرت تقليدياً على أنها تشير إلى النيل المصري، وترجمت هكذا في سائر الترجمات العربية، لا تعني في الواقع نهر النيل المصري، بل تعني بمجرّد نهر أو جدول أو ساقية. وقد وردت في عدّة نصوص بصيغة الجمع (يئوريم) وترجمت "سواقي"، وإلاّ لماذا لم تترجم "الأنيال" كصيغة جمع للنيل طالما اعتبرت أنها تعني نيل مصر؟[١٩٥].

[١٩٥] أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٩٩٠، حول النيل المصري. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الترجمة اليسوعية (دار المشرق، بيروت ١٩٨٩) قد ترجمت عبارة "يئوريم") الواردة عند حزقيال ٢٩: ٤ و٣٠: ١٢، بالأنيال (جمع النيل المصري). ولست أدري أية أنيال هذه التي في مصر وادي النيل؟!.

٨- الفرات التوراتي

يقول الرب (يهوه) في وعده لابراهيم (تكوين ١٥: ١٨) "لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر (نهر مصريم) إلى النهر الكبير نهر الفرات (نهر فرت). وقد اعتبر تقليدياً أن نهر مصريم هو النيل المصري ونهر فرت هو الفرات في وادي الرافدين.

لقد سبق وتناولنا في فقرة سابقة نهر مصريم وفقاً للنصوص التوراتية، أما الآن وفي هذه الفقرة فإننا سنتناول نهر الفرات انطلاقاً من منطق النصوص التوراتية محاولين الإجابة عمّا إذا كان حقاً نهر فرت هو الفرات العراقي كما اعتبر حتى الآن انسياقاً مع جغرافية الشرق الأدنى من مصر إلى بلاد الرافدين.

ووفقاً للدليل الوارد عند إرميا ٤٦: ٦، ١٠، فإن نهر فرت هو الحدّ الشمالي لأرض إسرائيل حيث يرد: "في أرض الشمال عند نهر فرت"، وعليه فإن نهر مصريم هو الحد الجنوبي حسب وعد يهوه لابراهيم، والحد الغربي هو البحر الكبير المعتبر تقليدياً البحر الأبيض المتوسط (تثنية ١١: ٢٤). وهذا يتأكد من خلال وعد الرب لموسى

(عدد ٣٤) حيث نرى أن الحدّ الجنوبي ينتهي إلى وادي مصر وتكـــــون مخارجه عند البحر، أما جهة الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخماً.

وانطلاقاً مما تقدّم فإن نهر الفرات العراقيّ لا يمكن أن يشـــكل جغرافياً الحد الشمالي لأرض إسرائيل في فلسطين، ولا النيل المصريّ يمكن أن يشكل الحدّ الجنوبي. وفي الواقع وفقاً لقــــراءة الجغرافيــة التوراتيّــة حســـب منطقة الشرق الأدنى من مصر الفرعونية إلى بـــلاد مـــا بـــين النهرين، فإن الدليل الوارد عند إرميا والقائل تحديداً بأن نهر الفـــرات في أرض الشمال يصبح مشكوكاً بصحته تبعاً لهذا الإطار الجغـــرافيّ. أو أن المشكوك في صحته وصوابيته فعلاً هو إسقاط الجغرافية التوراتيـــة علـــى منطقة الشرق الأدنى عامة وفلسطين خاصة.

فالفرات العراقيّ هو جغرافياً إلى الشرق من فلسطين وليس في الشمال، حتى بالنسبة إلى مصر الفرعونية فهو إلى الشرق أيضاً، هذا مـــا يقرّه علماء ومفسرو التوراة. فقاموس الكتاب المقدّس[١٩٦] يرى أن الفرات "كان الحدّ الفاصل بين الشرق والغرب، بين بلاد مصر وبـــلاد أشـــور وبابل". أما القول بأنه كان يشكل الحدّ الشمالي الشرقي لأرض العبرانيين حينما وصل سلطانهم الحدّ الأقصى في امتداده[١٩٧]، فإنه قول غير دقيـــق، بل ويعتبر إسقاطاً لا مسوّغ له لجغرافية التوراة على منطقـــة الشـــرق

---

١٩٦ أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٦٧٣.

١٩٧ أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٦٧٣ كذلك.

الأوسط بكاملها. فالحدّ الشرقيّ لأرض الوعد حسب الدليل في سفر العدد ٣٤: ١٠ يمتدّ من حصر عينان شمالاً إلى بحر الملح (يم هـ - ملح) جنوباً ماراً بالأردن. وإذا كانت حصر عينان واقعة على حدود فلسطين الشمالية الشرقية كما هو معتبر تقليدياً، وبحر الملح هو البحر الميت الفلسطيني، فلا أرى كيف يكون الفرات العراقي الحدّ الشمالي لأرض إسرائيل، ولا كيف يمكن أن ينحدر هذا الحد من نهر الفرات ماراً ببحر كنّارة (المعتبرة بحيرة طبريا) ونهر الأردن وصولاً إلى الطرف الجنوبي من البحر الميّت. حتى ولو اعتبرت حصر عينان واقعة على الطريق بين دمشق وتدمر، فإن نهر الفرات العراقي وفقاً لامتداده الجغرافي من الشمال إلى الجنوب لا يمكن أن يكون إلاّ إلى الشرق من أرض فلسطين، وهذا يتعارض تماماً مع عبارة إرميا "في أرض الشمال عند نهر الفرات". فلو كان نص النبي إرميا "في أرض الشرق عند نهر الفرات" لأمكن القول بأن نهر فرت المقصود ينطبق جغرافياً على الفرات العراقي.

ولهذا السبب بالذات، فإن الباحث كمال الصليبي يرى وفقاً لفرضيته القائلة بأن أرض إسرائيل الأساسية هي في غرب شبه الجزيرة العربية من الطائف شمالاً وحتى جيزان في اليمن جنوباً، بأن نهر فرت هو وادي إضم الذي يقع تماماً في الامتداد الشمالي، ونهر مصريم هو وادي

ليّه في ناحية سامطة جنوب منطقة جيزان الذي يشكل أيضاً الامتداد الجنوبي لهذه الأرض[198].

وفي سفر أخبار الأيام الأول ٥: ٩ إن بني رأوبين الساكنين في جلعاد توسعوا شرقاً عندما كثرت ماشيتهم و لم تعد الأرض تتسع لهم، فسكنوا من نهر فرت إلى مدخل البرية شرقاً. وفي أيام شاول حاربوا الهاجريين الساكنين شرق جلعاد[199] وطردوهم وسكنوا في خيامهم.

يستدل من سياق هذا النص أن نهر فرت الذي اعتبر تقليدياً فرات وادي الرافدين هو في جوار جلعاد التوراتيّة الواقعة شرق الأردن حسب جغرافية فلسطين. فهل يمكن أن يكون نهر فرت هذا الفرات العراقي؟

وحتى إذا سلمنا جدلاً بأنه الفرات العراقي، فمن المفترض أن يكون الرأوبينيون قد توسعوا من وادي الرافدين باتجاه بلاد الفرس طالما أن نص الأخبار الأول ٥: ٩ يقول "من نهر فرت وإلى الشرق حتى مدخل البرية"، أي من النهر وحتى القفار شرقاً. وهذا أمر غير معقول ولا يحتاج إلى مناقشة.

---

١٩٨ التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٥٩ وما بعدها.

١٩٩ أنظر ما سبق الإشارة إليه بشأن مساكن الهاجرين الاسماعيليين ص ٤٥ وما بعدها.

وربما لأن هذا النص يثير إشكالاً يصعب حلّه وفقاً لجغرافية شرق الأردن حيث لا وجود لنهر فرت قرب جلعاد التوراتيّة، فإن إحدى الترجمات الحديثة للتوراة قد قلبت النص رأساً على عقب، فجاءت ترجمة الأخبار الأول ٥: ٩ كما يلي: "وانتشروا شرقاً إلى مدخل الصحراء المؤدّية إلى نهر الفرات، لأن ماشيتهم كثُرت في أرض جلعاد"[٢٠٠]. إن مثل هذا النص يستقيم جغرافياً مع واقع المنطقة الممتدّة من شرق الأردن حتى نهر الفرات العراقي. لكنه تحريف لا مسوّغ له لسياق النص التوراتي[٢٠١].

وإذا كان الفرات المقصود في النصوص التوراتية -كما نرى- ليس فرات وادي الرافدين، ولا أرض الشمال الواردة عند إرميا ٤٦: ٦، ١٠، هي أرض بابل وأشور. فإن الإشارة إلى أرض الشمال في مواضع أخرى عند إرميا كما في ٢٣: ٨ و١٦: ١٥، وعشائر الشمال بقيادة نبوخذنصر ملك بابل (إرميا ٢٥: ٩)، تعني بكل تأكيد بلاد وادي الرافدين. لكن النص التوراتي في هذه المواضع يقول أرض الشمال بكل وضوح: "وأتي بنسل بيت إسرائيل من أرض الشمال، ومن جميع الأراضي التي طردتهم إليها، فيسكنون في أرضهم": إن نص إرميا هذا يشير إلى أن أرض بابل التي سُبي إليها الاسرائيليون هي أرض الشمال

---

٢٠٠ أنظر ترجمة جمعية الكتاب المقدّس في لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣، ص ٤٩٣.

٢٠١ في النص العبري من نهر فرت (م - فرت) وليس إلى نهر فرت (لـ -فرت).

بالنسبة لأرض إسرائيل، حتى ولو جاء النص في سياق تنبؤي فإن دلالته الجغرافية تبقى هي عينها.

فهل أرض بابل، أرض الشمال التي سُبي إليها بنو إسرائيل واقعة فعلاً إلى الشمال من فلسطين؟، وهل عشائر الشمال بقيادة نبوخذنصر جاءت لتخرب أرض إسرائيل في فلسطين، طالما أن الحملات التي قام بها حكام وادي الرافدين لتأديب ممالك بلاد الشام عموماً على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط، كانت موجهة غرباً، وأن كل الحملات التي تلت كانت في الاتجاه نفسه[٢٠٢]. فإذا كانت أرض إسرائيل الأساسية في فلسطين، فلماذا يقول النص عند إرميا أرض الشمال وعشائرالشمال طالما أن بلاد بابل وأشور هي إلى الشرق من فلسطين؟ إلاّ إذا كانت أرض إسرائيل الأساسية واقعة في غرب شبه الجزيرة العربية حتى مشارف اليمن، وهنا يستقيم النص عند إرميا جغرافياً.

ونقرأ في سفر صموئيل الثاني ٨: ٣ أن داود الملك ضرب هدد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليردّ سلطته عند نهر الفرات. وفي أخبار الأيام الأول ١٨: ٣ أن داود ضرب هدد عزر في حماه حين ذهب ليقيم سلطته عند نهر الفرات. ولنا على هذا النص الملاحظات التالية:

---

٢٠٢ أنظر الحدث التوراتي لفراس السواح، ص ٨٠، وما سبق الإشارة إليه ص ٩٨. أيضاً كتاب "لبنان في الكتاب المقدّس" لغسان خلف، ص ١٢٩.

أ - إذا كانت صوبة أو آرام صوبة كما يعتقد واقعة غربي دمشق الشام بين سهل البقاع وحمص، فهل كان لهذه المملكة سلطة فعلية عند نهر الفرات في وادي الرافدين؟

ب - وإذا فرضنا أن سلطتها قد امتدّت فعلاً في عصر الملك داود في القرن العاشر قبل الميلاد إلى بلاد ما بين النهرين .وهذا أمر مشكوك في صحته- فلماذا يشكل هذا الأمر خطراً على مملكة داود في أورشليم؟ طالما أن سلطة ملك صوبة على نهر الفرات لا تعتبر امتداداً على حساب مملكة إسرائيل؟

ج - وإذا سلّمنا جدلاً بأن سلطة صوبة على نهر الفرات تشكّل خطراً على مملكة إسرائيل، فلماذا يضربه داود في حماه طالما أن النص يقول "حين ذهب ليرد سلطته على نهر الفرات". إن منطق النص يقضي بالقول أن داود قد ضربه في نفس المنطقة التي ذهب ليردّ سلطته عليها وليس في منطقة حماه التي تبعد مسافة شاسعة عن نهر الفرات العراقي. فلو قال النص بأن داود قد ضربه في حماه حين عزم على الذهاب إلى نهر الفرات، لقلنا إنه أمر معقول أن يضربه في عقر داره قبل أن تتحرك قواته باتجاه نهر الفرات.

د - إن سياق النص في ضوء ما تقدّم، وفي ضوء ما قلناه سابقاً بشأن نهر فرت الذي يشكل الحد الشمالي لأرض إسرائيل، يجب أن يفهم في إطار جغرافي مختلف تماماً عن الإطار الذي رسم له بين

غربي الشام وبلاد الرافدين. فأينما كانت أرض إسرائيل الأساسية، فـإن آرام صوبة وحماه (حمت في النص العبري) ونهر فـرت هـي في الحـدّ الشمالي لمملكة إسرائيل. ونحن نعتقد أن نهر فرت التوراتي كان يشـكّل الحدّ الفاصل بين مملكة آرام صوبة ومملكة إسرائيل، ولهذا السبب كـان النزاع بينهما للسيطرة على هذا المورد المائي الحيوي[٢٠٣].

---

٢٠٣ أنظر كتاب "حروب داود"، لكمال الصليبي، دار الشروق للنشر والتوزيـع، عمان الأردن، ط١، ١٩٩٠، ص ٥٢-١٤٥-١٤٦.

القسم الثاني

لبنان التوراتي في اليمن

١ - لبنان التوراتي في اليمن

لقد وردت كلمة "تيمن" و"تيمان"، والنسبة إليها تيمني وتيماني، في أكثر من موضع من أسفار التوراة. ففي تكوين ٣٦: ١١، ١٥ ورد تيمان وهو ابن اليفاز من بني عيسو الساكنين في أرض أدوم التي تشير إليها التوراة عادة أنها في جنوب أرض اسرائيل. ومن أصحاب أيوب أليفاز التيماني، وهو هنا منسوب إلى التيمن (أيوب ٢: ١١). وترد التيمن في مواضع أخرى كاشارة إلى إسم موضع أو مكان أو أرض، كما في تكوين ٣٦: ٣٤ وإرميا ٤٩: ٧، وحزقيال ٢٥: ١٣ وعوبديا ٩ وهي هنا أرض بنو عيسو كما في تكوين ٣٦. وفي أخبار الأيام الأول ٤: ٦ وردت التيماني كاسم لشخص.

وقد وردت الكلمة أيضاً في كتب الابوكريفا[١] التي لا يقرّ بها اليهود، بصيغة تيمان كما في باروك ٣: ٢٢، ٢٣ حيث تترافق مع إسم

---

[١] كتب الأبوكريفا لا توجد في التوراة العبرية، بل في الترجمة اليونانيّة للتوراة أو الترجمة السبعينية التي قام بها اليهود في الاسكندرية في عهد بطليموس الثاني في القرن الثالث قبل الميلاد. وهي أسفار: طوبيا وبهوديت والحكمة ويشوع بن-

موضع آخر أو عشيرة هي مرّان. وفي سفر يهوديت لم ترد كلمة تيمن بل وردت يمنيا (٢: ٢٨ .[٢](ووردت كلمة التيمن كذلك في العهد

-سيراخ وباروك وأستير (يوناني) ودانيال (يوناني) والمكابيين الأول والثاني. وبعد ظهور المسيحية اعتمدت الكنيسة الترجمة اليونانية للعهد القديم، أما اليهود من الفريسيين المقيمين في جمنيا فقد رفضوا الترجمة السبعينية واعتمدوا قائمة من أسفار التوراة (بين عامَي ٨٠ و٠٠ م) تحتوي على ٣٩ سفراً فقط. أما في الكنيسة الكاثوليكية فقد اعتبرت الأسفار التسعة المشار إليها أعلاه أسفاراً قانونية ثانية في مقابل الأسفار القانونية الأولية (في المجمع التريدنتيني ١٥٤٥-١٥٦٣) بينما اعتبرها البروتستانت الذين ظهروا في القرن السادس عشر أسفاراً منحولة (أبوكريفا) غير قانونية وملحقة بالتوراة. ولهذا فإن الترجمات التي يعتمدها الانجيليون تحتوي على الأسفار المعتبرة قانونية أولية، أي ٣٩ سفراً كما في التوراة العبرية.

٢ إن كلمة "يمنيا" الواردة في يهوديت ٢: ٢٨ لم ترد في الترجمة الكاثوليكية العربية (دار المشرق ١٩٨٦) بل في النص اليوناني من السبعينيّة. (أنظر لبنان في الكتاب المقدّس، للقس غسان إيليا خلف، دار منهل الحياة، ١٩٨٥، ص ٣٠٨). أما في ترجمة جمعيّة الكتاب المقدس في لبنان (١٩٩٣) والترجمة اليسوعيّة (دار المشرق ١٩٨٩)، فقد وردت الكلمة "يمناع". أما كلمة "مرّان" (بتشديد الراء) فقد وردت في الترجمة اليسوعيّة (١٩٨٦ و١٩٨٩)، وفي ترجمة جمعية الكتاب المقدّس في لبنان المشار إليها أعلاه فقد وردت "مديان" مع إشارة في الهامش إلى أن كلمة "مديان" ترجمة معقولة، أما في اليونانية فالكلمة هي "مران" وهو مكان غير معروف (أنظر ص ١٤٤ من الكتب اليونانيّة).

الجديد[٣].

وفي حين يرى قاموس الكتاب المقدّس أن الكلمة العبريّة "تيمن" تعني جهة اليمين أو الجنوب، وأنها تشير عموماً إلى الصحراء الجنوبيّة الواقعة جنوب أرض إسرائيل في فلسطين، يرى معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدّس[٤] أنّ الكلمة تعني أولاً الجنوب وجهة اليمين، وتعني ثانياً بلاد اليمن قديماً، كما في خروج ٢٦: ١٨ و٢٧: ٩ حيث يرد إلى جهة الجنوب نحو التيمن. فالكلمة العبريّة "نجب" تعني الجنوب، وتيمن أيضاً تعني الجنوب، لذلك فإن ترجمتها إلى جهة الجنوب نحو الجنوب لا معنى لها وغير مؤاتية.

وفي اللغة العربيّة نجد أن كلمة تيمن لها المعنى نفسه، فهي من الجذر يمن. ويرد في لسان العرب: "أيمن الرجل ويمن ويامن إذا أتى اليمن، وكذلك إذا أخذ في سيره يميناً. يقال: يا مِنْ يا فلان باصحابك أي خذ بهم يمنةً، ولا تقل تيامن بهم، والعامة تقوله. وتيمن تنسب إلى اليمن. ويامن القوم وأيمنوا إذا أتوا اليمن. قال الانباري: العامة تغلط في معنى

---

[٣] متى ١٢: ٤٢ ولوقا ١١: ٣١. والإشارة إلى ملكة سبأ في التيمن التي جاءت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان. وقد أشرنا إلى ورودها في العهد الجديد على سبيل الألماح مع أنه يخرج عن نطاق هذا البحث.

[٤] معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدّس، تأليف موريس حدعون حنا الحلو وغسان خلف، ص ٣٥.

تيامن فتظن أنه أخذ عن يمينه، وليس كذلك معناه عند العرب، إنما يقولون تيامن إذا أخذ ناحية اليمن، وتشاءم إذا أخذنا ناحية الشأم، ويامن إذا أخذ عن يمينه، وشاءم إذا أخذ عن شماله... والتيمني أبو اليمن، وإذا نسبوا إلى التيمن قالوا تيمني°.

وعليه فإن كلمة "تيمن" لها نفس الجذر والاشتقاق والمعنى، سواء في العبرية أم العربيّة. فهل تعني في التوراة العبريّة -وحيثما وردت- بلاد اليمن قديماً؟ من المؤكّد أنها في بعض المواضع تعني كذلك، وقد أشرنا إليها قبل قليل. ونرجح أنها تعني بلاد اليمن أيضاً في مواضع أخرى ستأتي الاشارة إليها لاحقاً. وهي تعني الجنوب كذلك في العديد من المواضع التي وردت فيها.

وترد كلمة التيمن في سفر يشوع (الاصحاح الثالث عشر) مقرونة بمعارة التي للصيدونيين وأرض الجبليين (المعتبرة جبيل -بيبلوس اللبنانية) وجميع لبنان. وهنا نتساءل: أين يقع لبنان التوراتي؟ في شمال أرض إسرائيل كما هو معتبر تقليدياً بالنسبة لفلسطين ولبنان على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، أم في جنوب أرض إسرائيل؟ سوف نحاول الإجابة عن هذا التساؤل في سياق هذا الفصل.

لسان العرب، طبعة صادر، ج١٣، ص٤٦٤ - ٤٦٥.

يعدّد الاصحاح الثاني عشر من سفر يشوع الأراضي التي استولى عليها الاسرائيليون بقيادة يشوع بن نون بعدما عبروا الأردن ودخلوا أرض كنعان التي وعدهم بها إلههم يهوه. في القسم الأول منه يعدد الأراضي التي امتلكوها في عبر الأردن شرقاً، وفي القسم الثاني الأراضي التي امتلكوها في عبر الأردن غرباً من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأقرع الممتد إلى سعير. وفي الاصحاح الثالث عشر، يقول الرب (يهوه) ليشوع بعد أن شاخ وتقدّمت به الأيام، أنه قد بقيت أراضٍ كثيرة جداً للأمتلاك، وهذه هي الأراضي الباقية: "كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالاً، تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزّي والاشدودي والأشقلوني والجتي والعقروني، وأرض العوّيين" (يشوع ١٣: ٢- ٣). ثم يتابع النص في يشوع ١٣: ٤ على النحو التالي: "من التيمن كل أرض الكنعانيين ومعارة التي للصيدونيين إلى افيق إلى تخم الاموريين. وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس، من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماه. جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم، جميع الصيدونيين سأطردهم من وجه بني اسرائيل" (١٣: ٤ - ٦) إن قراءة النص وفق المعطيات الجغرافية التي يقدّمها، لا بدّ وأن يفضي إلى الاستنتاج التالي:

١ - إن النص يعدّد الأراضي الباقية للامتلاك وذلك بعد أن سيطر الاسرائيليون على قسم كبير من أراضي الكنعانيين في شرق الأردن وغربه.

٢ - إن الأراضي الباقية تقسم إلى قسمين: "الأول يقع إلى الشمال من الأراضي التي استولى عليها يشوع، أي يقع شمالي أرض الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحوّيين واليبوسيين. والقسم الثاني يقع إلى الجنوب منها.

٣ - وبما أن المدن التي استولى عليها يشوع في عبر الأردن غرباً هي إحدى وثلاثون مدينة ومنها أريحا وأورشليم وحبرون وشمرون مرأون على سبيل المثال لا الحصر، فإن الأراضي الباقية للامتلاك تقع إلى الشمال من هذه المدن وإلى الجنوب منها كذلك.

٤ - إن القسم الأول من الأراضي الواقع إلى الشمال هو: كلّ دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون. والقسم الثاني الواقع إلى الجنوب، أي من التيمن، هو أرض الكنعانيين والصيدونيين وأفيق، إلى تخوم الأموريين، وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس. جميع سكان الجبل من لبنان إلى مياه مسرفوت (عين مسرفوت) وجميع الصيدونيين هم إلى الجنوب من أرض إسرائيل.

٥ - وانطلاقاً مما تقدم، فإننا نرى أن قراءة هذا النص وفق جغرافية الشرق الأدنى من وادي النيل إلى حماه في وادي العاصي، هي قراءة مقلوبة رأساً على عقب. أي أن القسم الأول من الأراضي الممتد من الشيحور الجاري في مصر، والمعتبر تقليدياً نهر النيل[٦]، إلى مدينة عقرون الواقعة جنوب يافا باثني عشر ميلاً[٧]، هو في الواقع جنوب فلسطين وليس شمالها. والقسم الثاني من الأراضي التي يحددها النص من جهة التيمن (الجنوب)، يقع إلى الشمال من فلسطين، وهو يمتدّ من صيدون وحرمون إلى حماه في وادي العاصي.

وهنا نتساءل: أيٌّ القراءتين هي الصحيحة؟ قد يُقال بأن المقصود بتعبير شمالاً الوارد في يشوع ١٣: ٣، ليس كما نعتقد نحن شمال أرض إسرائيل، بل شمال مصر. وبالتالي، فالفقرة التي تقول: "من الشيحور الجاري قبالة مصر إلى تخم عقرون شمالاً" يقصد بها الأراضي الممتدّة من مصر جنوباً إلى عقرون شمالاً. فإننا نقول بأن هذا التصور يثير إشكالين أساسيين:

---

[٦] في الترجمة اليسوعية (دار المشرق) يرد الشيحور الجاري في مصر، أي نهر النيل (أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٩٩٠).

[٧] أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٦٣٣.

الأول: بناءً على هذا التصوّر، أي فهم عبارة يشوع ١٣: ٣ بأنها تعني أرض الفلسطينيين والجشوريين والعويين في الجنوب[٨]، فأين يفترض أن تكون أرض الكنعانيين والصيدونيين والجبليين ولبنان التي يقول نص يشوع ١٣: ٤ بأنها من التيمن، أي من الجنوب. فهل هي جنوبي المنطقة المشار إليها في ١٣: ٣؟ إذا كان الأمر كذلك فإن لبنان وأرض الصيدونيين يجب أن يكونا إلى الجنوب من الشيحور الجاري في مصر أو قبالة مصر. ولا يعقل أن يكونا في الشمال كما تقول الترجمة اليسوعيّة (ط١٩٨٩) في شرحها لهذه الفقرة[٩] إلاّ إذا اعتبرنا أن فهم الجغرافية التوراتيّة في ضوء منطقة الشرق الأدنى أمر مسلّم به ولا يقبل الجدل. وعليه فإن لبنان وصيدون يجب أن يكونا إما إلى الجنوب من مصر الفرعونية أو إلى الجنوب من خليج العقبة باتجاه غرب شبه الجزيرة العربيّة.

والإشكال الثاني يتحدّد على النحو التالي: إذا فهمت عبارة يشوع ١٣: ٤، "من التيمن كل أرض الكنعانيين ومعارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين"، على أنها أرض الصيدونيين (أي فينيقيا) الواقعة شمال أرض إسرائيل، والتي تمتدّ من معارة صيدون (المعتبرة جزين

---

[٨] أنظر الترجمة اليسوعية (دار المشرق، ١٩٨٩)، ص ٤٤٢، هامش رقم١. كذلك ترجمة جمعيّة الكتاب المقدّس في لبنان (سبق الإشارة إليها).

[٩] المرجع نفسه.

شرقي صيدا) إلى أفيق (المعتبرة أفقا في جبيل[10](إلى تخم الأموريين. نقول إذا فهمت هذه المنطقة على أنها في الشمال، وامتدادها شمالي كذلك من صيدا وجزين جنوباً إلى بلاد جبيل شمالاً، فلماذا يقول النص على أنها من "التيمن" التي تعني دون أدنى شك من الجنوب؟ ولماذا لم يقل كاتب هذا النص "من الشمال كل أرض الكنعانيين ومعارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين" إذا كان يُقصد حقاً أن هذه المنطقة تمتدّ شمال أرض اسرائيل في فلسطين؟ هل أشكل على كاتب هذا السفر الاتجاه شمالاً أم جنوباً، فأخطأ في التحديد؟

وإذا كانت التوراة (أو الشريعة) قد جُمعت وكتبت في زمن عزرا في القرن الرابع قبل الميلاد وبعد العودة من السبي إلى فلسطين[11]، فإن كاتب هذا السفر لا بدّ أنه يعرف جيداً الحدود الشمالية والجنوبية للأرض التي عادوا إليها. وإذا كان النص المسّوري قد أخذ صياغته النهائية في القرن العاشر الميلادي في طبرية، فإن جغرافية لبنان وفلسطين كانت معروفة جيداً لدى المسّوريين. وبالرغم من كثرة الأخطاء والتشويهات التي لحقت بالنص الأصلي على أيدي هؤلاء من جراء

---

[10] أنظر لبنان في الكتاب المقدّس، لغسان خلف، ص ١٦١، ١٦٢. كذلك قاموس الكتاب المقدّس، ص ٦٦.

[11] راجع نحميا٨. كذلك مدخل إلى العهد القديم، الترجمة اليسوعية (ط ١٩٨٩).

تحريكه وتصويته[١٢]، فإنهم قد حافظوا على حرفيّة النص نظراً لما يتمتع به من قدسية في نظرهم.

وإذا كان نص يشوع ١٣: ٢-٤ لا يثير أية مشكلة بالنسبة لجغرافية فلسطين ولبنان، فلماذا يجري تحوير النص وتحريفه في إحدى الترجمات الحديثة للعهد القديم[١٣]، بحيث أخرجت هذه الترجمة بشكل أدّى إلى إخضاع النص لأحداثيات المنطقة الممتدّة على الساحل الشرقيّ للمتوسط.

لقد أصبح النص وفق هذه الترجمة على الشكل التالي: "وهذه هي الأراضي الباقية: كل بقاع الفلسطينيين وكل أرض الجشوريين جنوباً من شيحور الصحاري في مصر إلى أرض عقرون شمالاً وهي للكنعانيين وفيها أقطاب الفلسطينيين الخمسة في غزة وأشدود وأشقلون وجت وعقرون وأرض العويين في الجنوب". إلى هنا تنتهي الفقرتان الثانية والثالثة من يشوع ١٣، أما الفقرة الرابعة فتبدأ على النحو التالي: "كل أرض الكنعانيين ومن عمارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى حدود

١٢ هذا ما أشار إليه القرآن في سورة النساء، آية ٤٦، بقوله: "من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه... ليّاً بألسنتهم، وطعناً في الدين".

١٣ نشرة جمعية الكتاب المقدس في لبنان وإصدار دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، ط١، ١٩٩٣.

الأموريين". وهنا لا بدّ من إيراد الملاحظات التالية على نص هذه الترجمة:

أولاً: لماذا أضيفت كلمة "جنوباً" بعد عبارة "أرض الجشوريين" مع العلم أن كل الترجمات القديمة والحديثة تخلو من هذه العبارة[١٤]، وفي النص العبريّ لا ترد كلمة "نجب" بعد عبارة أرض الجشوريين.

ثانياً: لماذا سُلخت عبارة "م - تيمن" (من الجنوب) من أول الفقرة الرابعة وأضيفت إلى نهاية الفقرة الثالثة؟ بحيث تصبح أراضي القسم الأول (١٣: ٢- ٤) في الجنوب.

ثالثاً: بعد سلخ عبارة "من التيمن" من أول الفقرة الرابعة، أصبحت هذه الفقرة شمالاً وفق التأويل الذي ستخضع له ربطاً بالفقرة

[١٤] أنظر الترجمة المسكونية للكتاب المقدّس (TOB) بالفرنسيّة، باريس ١٩٧٥. ثم لماذا يُفترض أن الجشوريين في الجنوب، في حين أن النصوص التوراتيّة تشمّ إليهم ربطاً بجلعاد وكورة أرجوب وباشان وجبل حرمون وسلخة والمعكيين. (تثنية ٣: ١٤، يشوع ١٢: ٥، ١٣: ١١، ١٣). ثم أن الترجمة ذاتها التي أضافت عبارة "جنوباً" بعد أرض الجشوريين في يشوع ١٣: ٢، تذكر في شرحها على الفقرة الواردة في صموئيل الثاني ١٣: ٣٧ أن جشور مملكة آرامية شرقي بحيرة جنّاشر (أو جنّسرت) المعتبرة تقليدياً بحيرة طبرية. فكيف تكون أرض الجشوريين مرة في الجنوب ومرة في الشمال؟ أم أن هناك مملكتين جشوريتين؟!

الخامسة: "وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جـــاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماه". وهكذا يتم إخضاع النص وتطويعه وفقاً لجغرافية فلسطين ومصر ولبنان وسوريا. فبما أن الأراضي الباقيـــة للامتلاك هي في القسم الأول منهـــا في الجنوب، فإن القسم الثاني سوف يكون حتماً في الشمال طالما أن الأراضي التي أخذتها أســـباط شـــرقي الأردن قد حُدِّدت في يشوع ١٢: ١- ٦، والحدّ الغربي هو البحر الكبير. فالأراضي الباقية للامتلاك والكثيرة جداً، هي من جهة الجنوب تمتدّ مـــن أرض الجشوريين جنوباً وشيحور مصر وادي النيل إلى عقرون الواقعة بين غزة ويافا. وهي من جهة الشمال تمتدّ من صيدون وجزين إلى الشـــرق منها حتى تصل إلى أفيق في بلاد جبيل وإلى تخوم الأموريين المفـــترض أن يكونوا إلى الشمال من أفيق (أفقا التي ينبع منها نهر ابراهيم)، أو انهـــا تمتدّ من سفح جبل حرمون (جبل الشيخ) عند حاصبيا (بعل جـــاد) إلى مدخل حماه في وادي العاصي شمالي حمص[١٥].

رابعاً: إذا كانت الأراضي الممتدّة من معارة صيدون إل أفيـــق هي في شمال أرض إسرائيل، فإن عبارة "إلى تخم الأموريين" الواردة بعـــد عبارة "إلى أفيق"، يجب أن تعني حتماً إلى الشمال من أفيـــق، ويجـــب أن

١٥ أنظر بشأن اعتبار بعل جاد هي حاصبيا في سفح جبل الشيخ، لبنان في الكتاب المقدّس، لغسان خلف، ص ١٦١، وقاموس الكتاب المقدس، ص ١٨٣ حيث يرجح إما حاصبيا أو بعلبك.

تكون بالتالي وفق تأويل أفيق بأفقا وأرض الجبليين ببلاد جبيل[١٦]، إلى الشمال من بلاد جبيل في شمال لبنان. فهل كانت هناك حقاً مملكة أمورية في شمال لبنان؟ ثم هل كانت هناك مملكة أمورية في شمال أرض إسرائيل؟ وأين كان أموريو التوراة وفق ما تقوله النصوص التوراتية بالذات، وليس وفق التأويلات المعتمدة عند العديد من الباحثين التوراتيين استناداً إلى النصوص الأشورية التي تتحدّث عن "أمورو" في "الأرض الغربية" بين تدمر والبحر المتوسط[١٧]. بعد قيامنا بإجراء مراجعة شاملة لكل النصوص التوراتية التي تتحدّث عن الأموريين، تبيّن لنا بما لا يقبل الشك أن أموريّ التوراة كانوا في عبر الأردن شرقاً وغرباً[١٨]، وليس

---

١٦ أنظر لبنان في الكتاب المقدّس، لغسان خلف، ص ٢٢١، حيث يرى أن مملكة الأموريين "تبدأ من حدود بلاد جبيل وتمتدّ شمالاً حتى عاصمتهم "ماري" عند نهر الفرات". وهكذا يتمّ إسقاط النصوص التوراتيّة على جغرافية الشرق الأدنى بكامله، فقط لأن القرينة الواردة في يشوع ١٣: ٤ و٥ تظهر أن أرض الأموريين كانت من تخم الجبليين شمالاً، وليس هناك أي تفسير آخر لكلمة الجبليين إلا ببلاد جبيل. لكن ماذا لو كانت أرض الجبليين الواردة في هذه القرينة لا تعني الجبيليين؟ سوف نعود إلى هذه المسألة لاحقاً.

١٧ أنظر لبنان في الكتاب المقدّس، لغسان خلف، ص ٢٢١.

١٨ أنظر الفصل الثاني عشر من سفر يشوع.

هناك أية فقرة يمكن تأويلها بأنها إشارة إلى "أموريي" الشمال إلاّ الفقـــرة الواردة في يشوع ١٣: ٤ والتي نحن بصددها[١٩].

وفي وعد الرب (يهوه) لأبرام الكنعاني (تكويـــن ١٥: ١٨-٢١) يحدد له امتداد الأرض التي سيعطيه إياها من نهر مصر إلى فـــرت، كما يحدد له أسماء القبائل التي تقطن هذه الأرض. فالأموريون التوراتيون هم قبيلة من القبائل الإحدى عشرة التي كانت تقيم في هذه الأرض منذ عصر ابراهيم وحتى زمن الخروج من مصر ودخول أرض كنعـــان. وفي سفر العدد ١٣: ٢٩ نرى أن العمالقـــة ســاكنون في أرض الجنـــوب، والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر. فأين هو هذا الجبل الذي يسكن فيه أموريو التوراة؟ في الدليل الوارد في عدد ٢١: ٢٠ وما بعدها نجد أن موسى أرسل لملك الأموريين سائلاً إياه السماح لبني إسرائيل بالمرور في أرضـــه، فرفـض ســيحون الأموري وحاربهم في "ياهص". كان موسى وقتئذ عند رأس الفسجة في صحراء موآب. ثم ضرب الاسرائيليون عوج الأموري الساكن في باشان، فأخذوا في ذلك الوقت من يد ملكي الأموريين الأرض التي في عبر الأردن من وادي أرنون إلى جبل حرمون (تثنية ٣: ٨ و٤: ٤٦،٤٧).

وفي يشوع ٩: ١ وما بعدها نرى أن الملوك القاطنين في عـبر الأردن غرباً في الجبل والسهل وساحل البحر الكبير إلى جهة لبنان، هـــم

---

[١٩] المرجع السابق، ص ٢٢١ كذلك.

الحثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيـــون والحوّيـــون واليبوســـيون. وهؤلاء كما يفهم من سياق النص التوراتي كانوا مجموعة قبائل، وكـــل قبيلة تتوزّع في عدّة قرى ومدن حيث نرى على رأس كـل مدينـــة أو قرية شيخ العشيرة التي تطلق عليه التوراة لقب ملك. فملوك الأموريـــين الخمسة الذين اجتمعوا معاً لمحاربة الحويّين المقيمين في أربع قرى أو مدن[20] بسبب مصالحتهم لبني اسرائيل، هم ملوك على خمسِ مدن هي أورشـــليم وحبرون وبرموت ولخيش وعجلـــون (يشـوع ١٠: ٥). إذن خمـــسُ عشائـــر اجتمعت لمحاربة سكان جبعون المدينة الـــتي تعتبرهـــا التـــوراة "عظيمة كإحدى المدن الملكية" وهي أعظم من عاي وكل رجالها جبابرة (يشوع ١٠: ١). فصعد يشوع برجال بني اسرائيل من الجلجال وضرب الملوك الخمسة وأنقذ أهل جبعون. ثم حارب يشوع الملـــوك البـــاقين في غرب الأردن الذين تجمّعوا عند عين أو مياه ميروم، فضربهم وطردهم إلى صيدون العظيمة ومسرفوت مايم وبقعة المصفاة شرقاً (يشـــوع ١١: ١-٩). إن كل الملوك الذين ضربهم يشوع في غرب الأردن، هم كمـــــا نرى شيوخ أو رؤساء قبائل[21]، كل واحد منهم في مدينة بعينها. ومجموع

---

[20] مدنهم هي جبعون المقر الرئيـسي لرأس العشيرة، والكفيره وبئـــيروت وقريـــة يعاريم (يشوع ٩: ١٧).

[21] من الأهمية هنا أن نشير إلى تمييز ابن خلدون بين مفهومي الرئاسة والملـــك أو الدولة. حيث يقول أن الرئاسة هي سلطة طوعية في المرحلة القبليـــة، أمـــا الملك فهو التغلب والحكم بالقهر. الرئاسة سلطة محدودة في نطاق القبيلة أو-

مدنهم إحدى وثلاثون مدينة. فأخذ يشوع كل تلك الأرض، الجبل وكل الجنوب وكل أرض جوشن والسهل والعربة وجبل اسرائيل وسهله من الجبل الأقرع الصاعد إلى سعير إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون (يشوع ١١: ١٦ - ١٧).

واستناداً إلى ما تقدّم، نجد أن أموريّ التوراة سواء في شرقي الأردن أم غربيه، كانوا مقيمين في بقعة جغرافية تمتدّ من جبل سعير إلى بقعة لبنان تحت جبل حرمون. فلو سلّمنا جدلاً أن حرمون هذا هو جبل الشيخ في سلسلة جبال لبنان الشرقيّة، فإن أموريي التوراة لم يتجاوزوا صيدون وحرمون نحو الشمال. فإين هي أفيق وأرض الجبليين وأين هم الأموريون الذين على تخمهم؟ وهل نجد في كل الممالك الأمورية التي ضربها يشوع -إذا سلّمنا أنها ممالك بكل معنى الكلمة- حيث كل واحدة مملكة صغيرة في مدينة بعينها. نقول هل نجد مملكة أمورية تمتدّ من حدود بلاد جبيل في لبنان إلى نهر الفرات؟ إن مملكة كهذه هي في مستوى الأمبراطوريات القديمة في وادي النيل وبلاد ما بين النهرين، وليست بحجم مملكة صغيرة يُدعى ملكها أدوني صادق وخاف جداً لأن جبعون المدينة العظيمة صالحت بني اسرائيل، (يشوع ١٠: ١، ٢).

=عدّة قبائل، والملك قد يكون دولة صغيرة أو متراميـة الأطراف. (أنظر مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٠٤، ١٢١).

أما فيما يتعلّق بالفقرة الواردة عند يشوع ١٣: ٤ "من التيمن كل أرض الكنعانيين ومعارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس"، فإن أحد الباحثين التوراتيين يرى أن هذه القرينة هي الوحيدة في التوراة التي تدل -بنظره- على أموريي الشمال[٢٢]. ولكن هذا الرأي يشكل تأويلاً تعسفياً لنص يشير إلى أموريي الجنوب. وإذا كانت القرينة الوحيدة في التوراة التي فسّرت أنها تدلّ على أموريي الشمال، تبدأ بعبارة "من التيمن"، فلست أدري كيف يتحول هذا التيمن إلى المنطقة الممتدّة من بلاد جبيل في لبنان حتى مصب نهر الخابور على الفرات؟!

ثم إن هناك عدّة مقاطع توراتية تدلّ على أن "لبنان التوراتي" هو في جنوب أرض إسرائيل وليس في شمالها، مِمّا يؤكّد صحة ما ورد في سفر يشوع، الاصحاح الثالث عشر.

بعد موت موسى في جبل نبو عند رأس الفسجة في برية موآب، تسلّم قيادة بني إسرائيل يشوع بن نون، فكلّمه الرب قائلاً: "قُم أعبر هذا الأردن (هـ-يردن هزه) أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض

٢١ أنظر لبنان في الكتاب المقدّس، لغسان خلف، ص ٢٢١ حيث ينقل هذا الرأي عن رولان دي فو.

التي أنا معطيها لهم، كل مكان تدوسه بطون أقدامكم... من البرية ولبنان هذا (هـــ - لبنون هزه) إلى النهر الكبير نهر فرت.[٢٣]"

يستنتج من هذا النص أن لبنان هذا (مع إسم الإشارة هـــزه بالعبرية) يقع في جوار المكان الذي كان فيه مـوسى عند جبـــل نبــو وخلفه بعد موته يشوع بن نون. لأن النص في سفر يشوع، الاصحـــاح الأول، يقول بأن الرب كلّم يشوع بعد أن انتهت أيام مناحـــة موســى الثلاثون، (تثنية ٣٤: ٦-٨). فإذا كان يشوع ما يزال في أرض مـــوآب قرب جبل نبو، فلماذا يقول النص "لبنان هذا" (هـــ-لبنون هزه) إذا كان لبنان بعيداً مئات الأميال. إن اسم الإشارة يدلّ هنا على أن لبنان المقصود في هذه الفقرة هو في مكانٍ قريبٍ من الموضع الذي كان فيه يشوع.

وفي سفر التثنية ٣: ٢٥ يقول موسى لربه: "دعني أجوز فأرى الأرض الصالحة التي في عبر الأردن، هذا الجبل الحسن ولبنان". نســـتنتج من هذا الدليل أن موسى يمكن أن يرى لبنان إذا عـــبر الأردن؟ لكـــن أيّ لبنان يمكن أن يراه إذا عبر الأردن الفلسطيني مقـــابل أريـــحا؟. إن

---

[٢٣] يقول النص هذا الشعب وهذا الأردن وهذا الـــ لبنان، و لم يقل هـــذا النهـــر الكبير. إن تفسير عبارة "قم أعبر هذا الأردن" أمر مسلّم به لأن الأردن الذي سيعبره يشوع يقع أمامه مباشرة. أما عبارة "لبنان هذا" فلا نعتقد أن أحداً من الباحثين التوراتيين قد تناولها على أساس أنها قد تعني "لبنان آخر" غير لبنـــان المتوسطي.

جبل نبو الذي جرى عنده كلام الرب (يهوه) لموسى وبعده ليشوع، هو كما يقول قاموس الكتاب المقدّس من جبال عباريم في موآب، وربما كان جبل "النبا" شرقي الأردن بثمانية أميال، حيث يُرى مكان واسع من شرقي الأردن وغربيه عند صحو الجوّ[24]. وكما نرى فإن مرجعاً يُعتمد عليه في الدراسات التوراتية يقول فقط بإمكانية رؤية مناطق في غربي الأردن، لكننا نجزم بعدم إمكانية رؤية لبنان من هذا المكان شرقي البحر الميت الفلسطيني. فإذا كان جبل الشيخ (حرمون) القريب من فلسطين، يعلو عن سطح البحر ٩١٦٦ قدماً، ومع هذا فإن الناظر من أعلى قمته يستطيع أن يرى لبنان والسهل حول دمشق وصور والكرمل، والجليل الأعلى والأدنى، وبحيرة حولة وطبرية[25]. ولا يستطيع رؤية البحر الميت الفلسطيني من أعلى حرمون.

ثم إن عبارة "كل مكان تدوسه بطون أقدامكم... من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر فرت"، يليها مباشرة: "جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم". وهنا نتساءل كيف يمكن قراءة هذا النص جغرافياً؟ وأين هو لبنان وفق هذا الدليل؟

---

[24] قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٥٣.

[25] المرجع السابق، ص ٣٠٠.

أولاً، إن النص يقول بأن الرب (يهوه) يأمر يشوع بالعبور إلى أرض الوعد، وأن كل مكان تدوسه بطون أقدام الاسرائيليين، سيعطيه لهم كما كلّم موسى من قبل (تثنية ١: ٧-٨).

ثانياً، إن النص يعيّن حدود الأرض التي وعد بها يهوه موسى وابراهيم من قبل. فيذكر دون تفصيل -كما في سفر العدد ٣٤- من أين يبدأ الحدّ الجنوبي وأين ينتهي الحدّ الشمالي، ويشير إلى البحر الكبير كحدّ غربي. و لم يذكر الحدّ الشرقي لأن سياق النص يركز على الأراضي التي سوف تفتتح في غربي الأردن، وذلك بعد فتح أراضي شرقي الأردن وتوزيعها على بني جاد ورأوبين ونصف منسى.

ثالثاً، إن النص يقول بأن الأراضي تمتد من البرية ولبنان هذا إلى نهر فرت، وتصل إلى البحر الكبير غرباً. فهو يذكر الجنوب والشمال والغرب دونما حاجة لذكر الأراضي لجهة الشرق كما أسلفنا. وبناءً على ما سبق تحليله بأن نهر الفرات هو في الشمال فإن البرية ولبنان هذا هما في الجنوب. إن البرية المقصودة هنا هي برية موآب دون أدنى شك، ولبنان هذا يقترن ببرية موآب، فتبدأ حدود الأرض منهما لتنتهي عند نهر فرت في الشمال. ولبنان التوراتي هذا هو في جنوب أرض إسرائيل (أي من التيمن).

أما أن يُقال بأن الحدود المعينة للأرض التي ستفتتح هي الحدود المثالية لأرض الميعاد، وهي تفوق كثيراً حدود الأرض التي ستوزع في

الفصول (١٣-١٩) من سفر يشوع[٢٦]. فإننا نرى مبالغة مبنيّة على قراءة النص وفق جغرافية الشرق الأدنى. فبناءً على هذا الرأي تمتدّ الأرض من برية موآب جنوبي البحر الميت إلى لبنان شمالاً إلى نهر الفرات العراقي شرقاً إلى البحر الكبير (البحر المتوسط) غرباً[٢٧]. طبعاً هذه المنطقة الواسعة تفوق الأراضي التي سيفتحها بنو إسرائيل بقيادة يشوع، ليس فقط كثيراً بل كثيراً جداً، إذ تفوقها بمئات الأضعاف. ثم إذا سلّمنا بصحة هذا التفسير للأراضي المقصودة في سفر يشوع، الإصحاح الأول، فإن هذا يثير إشكالاً اساسياً: فلماذا يقول الرب (يهوه) ليشوع قم واعبر هذا الأردن طالما أن الأراضي في شرقي الأردن لم يستكمل فتحها بعد وهي تفوق بكثير الأراضي الواقعة بين الأردن وساحل البحر. أو لم يقل بنو جاد ورأوبين ونصف منسى، لموسى: "إننا لا نملك معهم في عبر الأردن

---

[٢٦] أنظر الترجمة اليسوعية (دار المشرق، ط ١٩٨٩)، ص ٤٢١، هامش رقم ٣. ويضيف الهامش بأن عبارة "وكل أرض الحثيين" هي ولا شك تعليق من أصل كهنوتي. هذا لأن أرض الحثيين قد اعتبرت بدون أي مسوّغ "كل أرض بلاد الرافدين". لكن أراضي الحثيين التوراتيين المقصودين في هذا النص -وفي نصوص أخرى مشابهة- هي في عبر الأردن غرباً من ساحل البحر الكبير إلى جهة لبنان وفق ما يحدده سفر يشوع الاصحاح التاسع.

[٢٧] إن قراءة نص يشوع ١: ٤ وفق هذا الإطار الجغرافي الواسع، مبنية أيضاً على قراءة نص التكوين ١٥: ١٨ "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات". فأرض الميعاد تمتدّ من وادي النيل إلى وادي الرافدين.

وما وراءه (غرباً) لأن نصيبنا قد جعل لنا في عبر الأردن إلى الشرق" (عدد ٣٢: ١٩). ثم أليس الحدّ الشرقي لأسباط شرقي الأردن هو نفسه الحدّ الشرقي لأرض الوعد[٢٨]؟، وعندما لم تعد أرض جلعاد تتسع لبني رأوبين توسعوا شرقاً من نهر فرت إلى مدخل البرية، وفي زمن لاحق طردوا الهاجريين من شرقي جلعاد وسكنوا مكانهم[٢٩]. فلماذا يفترض إذن أن هناك أراضياً بين الأردن غرباً ونهر الفرات العراقي شرقاً لم يتم فتحها، وهي تدخل ضمن الحدود المثالية لأرض الوعد؟ أما إذا قرأنا النص انطلاقاً من كون لبنان في جنوب أرض إسرائيل، فإن الأراضي التي ستفتح، تمتدّ من لبنان هذا جنوباً إلى نهر فرت في "أرض الشمال"، وتصل إلى ساحل البحر الكبير غرباً، ويكون الأردن شرقاً حداً فاصلاً بين أسباط شرقي الأردن وغربيّه[٣٠]. ووفق هذا التحديد للأراضي التي ستفتح، فإننا نرى أن الأراضي التي تمّ فتحها وتوزيعها حسبما ورد في يشوع (فصول ١٣ - ١٩) تتوافق والتحديد الجغرافي الوارد في الاصحاح الأول.

---

[٢٨] قارن عدد ٣٤: ٣، ١١ وتثنية ٣: ١٧ ويشوع ١٢: ٣. فالحدّ الجنوبيّ لأرض الوعد يبدأ من طرف بحر الملح (يم هـ - ملح) شرقاً إلى وادي مصر (نحل مصريم) والبحر الكبير غرباً. والحدّ الشرقي يبدأ من حصر عينان شمالاً إلى طرف بحر الملح جنوباً. والحدّ الشرقي لاسباط شرقي ال - يردن ينتهي إلى بحر عربة بحر الملح نحو الشرق.

[٢٩] أنظر ما سبق تحليله ص ١٤٠.

[٣٠] قارن عدد ٣٢: ١٩ ويشوع ٢٢: ٢٥.

ومن القبائل التي هزمها بنو إسرائيل وامتلكوا أرضها في عبر الأردن غرباً، الحوّيون الساكنون تحت جبل حرمون في أرض المصفاة (يشوع ١١: ٣) أو المقيمون في جبل لبنان (قضاة ٣: ٣) المقترن بجبل بعل حرمون. "فلما سمع يا بين ملك حاصور أرسل إلى يوباب ملك مادون وإلى ملك شمرون وإلى ملك أكشاف وإلى الملوك الذين إلى الشمال في الجبل وفي العربة جنوبي كنّروت وفي السهل وفي مرتفعات دور غرباً، الكنعانيين في الشرق والغرب، والأموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين في الجبل، والحويّين تحت حرمون في أرض المصفاة... فاجتمعوا وجاءوا ونزلوا معاً على مياه ميروم لكي يحاربوا إسرائيل. فقال الرب ليشوع لا تخفهم لأني غداً في مثل هذا الوقت أدفعهم جميعاً قتلى أمام إسرائيل ... فجاء يشوع وجميع رجال الحرب معه عليهم عند مياه ميروم بغتة... فضربوهم وطردوهم إلى صيدون العظيمة وإلى مسرفوت مايم وإلى بقعة مصفاة شرقاً" (يشوع ١١: ١ – ٩). فأين هي بقعة المصفاة أو أرض المصفاة تحت جبل حرمون؟ وأين هو جبل لبنان موطن الحويين؟ وأين هي مياه ميروم التي جرت عندها المعركة؟ سوف نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة في الصفحات التالية.

ينبغي التذكير أولاً أن الحويّين الذين ذُكروا من جملة الشعوب والقبائل التي في عبر الأردن غرباً، وهي ست مجموعات قبليّة على ما جاء في يشوع ٩: ١ و١٢: ٨. نقول أن هؤلاء الحويّين انقسموا إلى فئتين:

فئة صالحت بني إسرائيل -وإن كان عن طريق الحيلة- وهـم سـكان جبعون والكفيرة وبئيروت وقرية يعاريم، وهذه المواضع كانت قريبة جداً من موقع الاسرائيليين في الجلجال، بل في وسطهم على ما يقولـه سـفر يشوع ٩: ٧ و١٦. أما الفئة الثانية، فهي التي على ما يبـدو رفضـت مصالحة بني إسرائيل واستعدّت للحرب مع جيرانها الخمسة المشار إليهم قبل قليل. وهذه الفئة من الحوّيين هي التي تسكن تحت جبل حرمـون في أرض المصفاة أو في جبل لبنان كما أشرنا. ولأن حرمون اعتبر تقليديـاً جبل الشيخ اللبناني، وجبل لبنان المذكور في قضاة ٣: ٣ ويشوع ١٣: ٦ إما هو حرمون أو أجزاء من السلسلة الشرقية، وأرض المصفاة أو بقعـة مصفاة الواردة في يشوع ١١: ٣ و٨ و١٧، هي وادي نهر الحاصبـاني عند سفح حرمون، وهي ذاتها بقعة لبنان الواردة في يشـوع ١١: ١٧ و١٢: ٧[٣١]، نقول بناءً على هذه المسلّمات، يرى الباحثون التوراتيون أن الفئة الثانية من الحويين كانت تقيم حتماً في المنـاطق الشـمالية تحـت حرمون بعيداً عن أنسبائهم سكان جبعون والقرى الثلاث التي بجوارهـا. "وربما كان لهم مقر واسع يمتدّ من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة"[٣٢].

---

٣١ أنظر لبنان في الكتاب المقدّس، لغسان خلف، م. س. ص ١٩٠، ١٩٢.

٣٢ أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٣٢٩.

أما مياه ميروم التي جرت عندها المعركة بين الاسرائيليين والقبائل الست، فقد اعتبرت حتى وقت قريب مياه بحيرة الحولة في شمال فلسطين. لكنّ الدراسات الحديثة في الجغرافية التوراتية ترى أن الأصح هو اعتبار موقع ميروم، ليس الحولة بالذات بل الينابيع التي تغذي البحيرة، ويقترح أحد الباحثين بلدة مارون الرأس في جنوب لبنان موقعاً محتملاً لميروم[٣٣]. فهل صحيح أن تحالف القبائل الست ضدّ بني اسرائيل هو تحالف الشعوب الشمالية؟ وهل صحيح كذلك أن ميروم حيث جرت المعركة هي شمالية أيضاً؟ نحن نرى خلاف ذلك.

فإذا سلّمنا جدلاً بأن ميروم هي ينابيع بحيرة الحولة، فإن موقعها المقترح يصبح في جنوب لبنان أو في شمال فلسطين. فأين كان يشوع والاسرائيليون قبل المعركة؟ ومن أين جاء عليهم بغتة؟ إن سياق النص في يشوع ١٠: ٤٠ – ٤٣، يفيد بأن يشوع بعد ضربه الملوك الخمسة في مغارة مقيدة، عاد ومعه جميع اسرائيل إلى الجلجال. وبعد أن تجمع أعداؤه عند مياه ميروم كلّمه الرب (يهوه) قائلاً: "لاتخفهم لأني غداً في مثل هذا الوقت أدفعهم جميعاً قتلى أمام إسرائيل... فجاء يشوع وجميع رجال الحرب عليهم... بغتةً". وهنا لا بدّ من تسجيل الملاحظات التالية:

---

[٣٣] أنظر لبنان في الكتاب المقدّس، م. س. ص ١٨٥.

أولاً: إن النص في يشوع ١١: ٦ يحدّد بكل دقة أنه "غداً في مثل هذا الوقت" سوف يتمّ سحق أعداء إسرائيل.

ثانياً: إن النص في يشوع ١١: ٧ يحدّد بأن يشوع ضربهم ضربة مباغتة، فسحقهم وطردهم إلى صيدون العظيمة ومسرفوت مايم وبقعة مصفاة شرقاً.

ثالثاً: هل يستطيع يشوع وجيش إسرائيل تنفيذ ضربة مباغتة إذا كان عليهم التحرك من الجلجال، المعتبرة عند نهر الأردن على الطرف الشمالي للبحر الميت، إلى مياه ميروم شمال بحيرة الحولة على مسافة لا تقل عن مئة ميل؟

رابعاً: هل يستطيع يشوع وكل رجال الحرب الذين معه قطع هذه المسافة بيوم واحد؟ هذا إذا فرضنا أن الاسرائيليين لم يتأخروا في التحرك، بل انطلقوا منذ اللحظة التي كلّم فيها الرب يشوع، وساروا دون إبطاء كل النهار والليل. مع أن النص لم يقل ذلك، و لم يشر إلى تحرّكهم ليلاً كما أشار في يشوع ١٠: ٩ حيث صعد يشوع الليل كلّه من الجلجال إلى جبعون لضرب المتحالفين ضدّها.

خامساً: وبالمقارنة بين نصّي يشوع ١١: ٦، ٧ و١٠: ٩، نرى أن عنصر المفاجأة والمباغتة يمكن أن يتوفر في نص ١٠: ٩ حيث

سار كل الليل ليقطع المسافة بين الجلجال وجبعون الواقعة غربي الـــيردن والقرية من محلّة اسرائيل وفق الدليل الوارد في يشوع ٩: ١٦.

سادساً: إن عنصر المباغتة لا يمكن أن يتوفر في نـــص يشـــوع ١١: ٦ طالما أن التحرك سوف يكون، وفق جغرافية فلسطين، من مكان ما شمالي البحر الميت باتجاه شمال فلسطين، مع ضرورة قطـــع مســـافة لا يمكن قطعها بأقل من أربعة أو خمسة أيام بمعـــدّل ٣٠ كلـــم في اليـــوم الواحد[٣٤].

سابعاً: إن إمكانية قطع هذه المسافة في يـــوم واحـــد تبـــدو مستحيلة، طالما أن النص يقول "غداً في مثل هذا الوقت"، وعليـــه فـــإن

---

[٣٤] يتحدّث الجغرافي اليوناني سترابون عن حملة القائد الروماني إيليوس غالوس في شبه الجزيرة العربية سنة ٢٤ ق. م. فيصف بدقّة فائقة المراحل الـــتي قطعهـــا غالوس في طريق عودته من "نيغرانا" (وهي نجران في شمال شرقي اليمـــن) إلى نيغرا (وهي النجيرة قرب ميناء أم لجّ) على ساحل البحر الأحمر. فبعد أحـــد عشر يوماً من مغادرته نجران وصل إلى مكان يسمى "الآبار السبعة". ويقـــول الرحالة البريطاني فيلبي أن الآبار السبعة لا بدّ أن تكون خميس مشيط التي تبعد عن نجران مسافة ٢٦٠ كلم، وهي مسافة يمكن قطعها خلال ١١ يوماً بمعدّل ٢٤ كلم في اليوم الواحد. واستغرقت الرحلة من الآبار السبعة إلى النجـــيرة، حيث ركب غالوس وجنوده السفن التي أقلّتهم إلى مصـــر، أربعـــين يومـــاً. والمسافة بين خميس مشيط وأم لجّ على البحر تقدّر بحـــوالي ١١٠٠ كـــلم، وهي مسافة يمكن قطعها بأربعين يوماً بمعدّل ٢٧ كلم في اليوم.

المعركة قد جرت في اليوم التالي لكلام الرب ليشوع وهو في محلّة الجلجال.

ثامناً: إن الملاحظات التي أوردناها في ما سبق، تجعل من موقع ميروم عند بحيرة الحولة أو شمالها أمراً مشكوكاً في صحته، فكيف إذا فرضت ميروم بقرية مارون الرأس في جنوب لبنان؟!

تاسعاً: إن الافتراضات التي تضع ميروم إما عند بحيرة الحولة أو في جنوب لبنان، ترتكز إلى قناعة مسبقة، لا تقبل الجدل، بأن الاحداثيات الواردة في معركة ميروم تشير كلها إلى حرمون وجبل لبنان وصيدون العظيمة ومسرفوت ما يم (قرب صيدا) وغيرها من مواقع توراتية مفترضة في جنوبي لبنان[٣٥].

عاشراً: لكن ماذا لو وجدنا في النصوص التوراتية دلائل وقرائن تشير إلى أن أرض المصفاة تحت حرمون ليست بعيدة عن قرى جبعون ويعاريم وكفيرة وبئيروت. فالحويّون الذين لم يصالحوا بني إسرائيل لم يكونوا بعيدين جداً عن أهل عشيرتهم الساكنين في جبعون. وبالتالي ليس لهم هذا المقرّ الواسع الممتد من حرمون حتى حماه في وادي العاصي بسوريا.

---

٣٥ أنظر بشأن مسرفوت مايم (عين مشرفة)، لبنان في الكتاب، م. س.، ص ١٨٣. أو عين المشيرفة، قاموس الكتاب المقدّس، ص ٨٨٩.

وفي بحثنا عن مصفاة التوراتية هذه، يجب أن نشدّد بداية على أن التحالف الذي حارب بني إسرائيل عند ميروم، ليس بالضرورة كما يعتقد، تحالف بين ممالك شمالية واقعة كلها في شمال أرض إسرائيل[٣٦]. وفق الاصحاح الحادي عشر من سفر يشوع، التحالف قام بين ملك حاصور، الذي تزعم هذا التحالف، وملوك مادون وشمرون وأكشاف، والذين في الجبل وفي العربة جنوبي كنّروت وفي السهل ومرتفعات دور غرباً، والكنعانيين في الشرق والغرب، والاموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين في الجبل، والحوّيين تحت حرمون في أرض المصفاة.

فاليبوسيون الذين شاركوا في هذا التحالف لم يكونوا في الشمال، بل كانوا في مكان قريب من موضع الاسرائيليين عند الجلجال. إن كل النصوص التوراتية التي تتحدّث عن يبوس، التي هي أورشليم (يشوع ١٥: ٨، ٦٣) واليبوسيين المقيمين فيها، لا تشير إلى أيّ مكان آخر لهؤلاء اليبوسيين. وقد بقيوا في موطنهم ضمن عشيرة يهوذا (أيضاً قضاة ١: ٨). أما في قضاة ١: ٢١ نجد اليبوسيين ضمن عشيرة بنيامين. وعليه فالقرائن الواردة في يشوع ١٥ وقضاة ١ ليست متناقضة لأن عشيرة بنيامين كانت بجوار عشيرة يهوذا تقيم بينها وبين عشيرة يوسف (يشوع ١٨: ١١).

[٣٦] قاموس الكتاب المقدّس، ص ٩٣٩.

وإذا كانت عشيرة يهوذا تقيم على التخم الجنوبي لأرض إسرائيل (يشوع ١٨: ٥ و١٥: ٣ - ٤)، فلست أرى كيف يكون اليبوسيون المقيمون بينهم في مواطنهم الأساسية، من الممالك الشمالية؟ ومن القبائل المشاركة في هذا التحالف، الكنعانيون المقيمون في الجبل والجنوب والسهل[٣٧]، ومن مدنهم حبرون ودبير (قضاة ١: ١٠ - ١١) التي ترد في يشوع ١١: ٢١ على أنها في جبل يهوذا. فهل هؤلاء من الممالك والمدن الشمالية؟

وفي مواضع أخرى يرد الكنعانيون والفرزيون معاً، وهم مقيمون في مدينة تُدعى "بازق" وملكها يُدعى أدوني بازق. وهؤلاء حاربهم بنو يهوذا واستولوا على أرضهم. أما أدوني زعيمهم فقطعوا أباهم يديه ورجليه وجاءوا به إلى أورشليم فمات فيها (قضاة ١: ٤ - ٧). ولا أتصور أن بازق هذه، هي في أقصى الشمال، وإلاّ لما كان بنو يهوذا قد حملوا ملكها مقطوع الأباهم إلى أورشليم. ويرى قاموس الكتاب المقدس أنها ربما كانت قرية من جازر ولخيش[٣٨]، أو ربما هي نفس الموضع المذكور في صموئيل الأول ١١: ٨ - ٩ والقريب من يابيش جلعاد وبني عمّون، وجبعة التي اتخذها شاول مقراً له. إن جبعة هذه من قرى عشيرة بنيامين التي ينتسب إليها شاول، وهي ترد في يشوع ١٨:

---

٣٧ قارن ما ورد في يشوع ١١: ٢ بما ورد في قضاة ١: ٩.

٣٨ أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ١٥٩، كذلك يشوع ١٠: ٢٣.

٢٥ - ٢٨، مترافقة مع جبعون والرامة وبئيروت والمصفاة والكفيرة ويبوس (وهي أورشليم).

لقد انطلقنا إذن، في بحثنا عن مصفاة التوراتية، من مسألة ما إذا كان التحالف الذي قام عند ميروم، وكسره يشوع وتبعه حتى أرض المصفاة شرقاً، هو تحالف الممالك الشمالية أم لا. فوجدنا أن ثلاث قبائل أو أربعاً من هذا التحالف -على الأقل- تقيم في المحيط الجغرافي الذي تتواجد فيه قرى الحويّين الذين صالحوا الاسرائيليين. ورأينا كذلك موضعاً يُدعى مصفاة لسبط بنيامين، لا بد وأن يكون قريباً من قرية يعاريم وجبعون وكفيرة وبئيروت (وهذه ترد في قرى بنيامين)[٣٩]. (فهل مصفاة هذه الواردة في قرى عشيرة بنيامين هي نفسها المصفاة الواردة في قرى يهوذا والمترافقة مع لخيش؟

من الممكن جداً أن تكون مصفاة يهوذا ومصفاة بنيامين هي نفسها، وذلك لاعتبارين أساسيين: الأول، هو أن قرى وأراضي السبطين متداخلة ومتجاورة، والثاني، أن هناك حالة مشابهة لهذه، وهي ورود يبوس (أو أورشليم) في قضاة ١: ٨ في نصيب يهوذا، وفي ١: ٢١ في نصيب بنيامين. ولكن السؤال الأساسي الذي يتبادر إلى الذهن، هو عمّا إذا كانت المصفاة هذه القريبة من حويّي جبعون، هي نفسها المصفاة التي

---

٣٩ أنظر يشوع ١٨: ١٥، ٢٥، قارن كذلك مع يشوع ١٥: ٣٨ حيث ترد المصفاة مترافقة مع لخيش.

يسكنها الحويّون تحت حرمون والقرية من مياه مسرفوت وصيدون العظيمة. لننظر في هذه المسألة الشائكة استناداً إلى النصوص التوراتية.

أولاً: إن المصفاة الواردة في يشوع ١٥: ٣٨، تترافق مع لخيش[٤٠]. ولخيش هذه تترافق مع حازر في يشوع ١٠: ٢٣، وهي من قرى سبط يهوذا، كما هي بازق أيضاً. وفي هذه الأخيرة هزم بنو يهوذا وبنو شمعون الكنعانيين والفرزي.

ثانياً: ومن مقارنة النصوص في يشوع ١٠: ٣٦ - ٣٨ و١١: ٢ وقضاة ١: ٨، نستنتج أن الكنعانيين المقيمين في الجبل والجنوب والسهل، والمقيمين في حبرون ودبير، والذين حاربهم يشوع، لم ينقرضوا عن بكرة أبيهم، بدليل ما ورد في الاصحاح الأول من سفرالقضاة، من أن بني يهوذا وشمعون حاربوا الكنعانيين والفرزيين سكان بازق وحبرون ودبير بعد موت يشوع وفق ما ورد في قضاة١: ١. فبناءً على ما تقدم نتساءل: أليس هؤلاء هم أنفسهم الذينطاردهم يشوع من ميروم إلى صيدون العظيمة ومسرفوت ما يم وأرض المصفاة؟، ثم عادوا إلى

---

[٤٠] يُرجح أن تكون لخيش إلى الشمال الشرقي من غزه (عزه بالعبرية) على مسافة ١٦ ميلاً. وعزه ترد في قرى سبط يهوذا (يشوع ١٥: ٤٧).

مواطنهم بعد حين[41]. أما إذا كانوا قد انقرضوا كما يذكر سفر يشوع ١١: ٨، فلماذا يعود بنو يهوذا لمحاربتهم بعد موت يشوع؟.

ثالثاً: إن مصفاة بنيامين ويهوذا تترافق في يشوع ١٨ مع جبعون والرامة وبئيروت والكفيرة وأورشليم (يبوس). وفي صموئيل الأول هي في مكان قريب من قرية يعاريم وبيت إيل والجلجال (٧: ٥، ٧، ١٦)، حيث كان صموئيل يقضي لاسرائيل ويتنقل بين هذه الأماكن. وفي سفر نحميا ٣: ٧، تترافق مع جبعون، واشترك أهلها في ترميم سور أورشليم بعد العودة من السبي (٣: ١٥، ١٩).

رابعاً: بناءً على ما تقدّم، نرجح أن تكون المصفاة الواردة في يشوع ١١: ٣ و٨ هي نفسها مصفاة بنيامين الكائنة في محيط قرى الحويّين الأربع الذين صالحوا بني اسرائيل. وعليه فإن الفئة الثانية من الحويّين لم تكن بعيدة، عن أهل عشيرتها الجبعونيين، في موضع يبعد مئات الأميال.

خامساً: من البديهي القول بأن القبائل تنزل في مواضع متقاربة، حيث تتقاسم العشائر والبطون والأفخاذ منطقة بعينها. فإذا

---

[41] لقد بقي الحوّيون والكنعانيون إلى عصر الملك داود في القرن العاشر قبل الميلاد، وبقيت مدنهم. وقد شملهم الاحصاء الذي قام به داود (٢ص٢٤: ٧). ثم أن كل القبائل التي وردت في يشوع ١١: ٣ وتحالفت ضدّ بني اسرائيل، قد بقيت أيضاً إلى عصر سليمان (ملوك أول ٩: ٢٠-٢١، و٢ أخبار ٨: ٧-٨).

كان فريق من الحويين قد صالح بني اسرائيل رغم أن مدينتهم جبعون مدينة عظيمة كالمدن الملكية، فلماذا يفترض أن الفريق الثاني من هؤلاء الحويين، ينزل في مكان بعيد إلى أقصى الشمال، ولا يفترض أنه في الجوار العام للقبيلة.

سادساً: إن ترجيحنا بأن تكون مصفاة الحويين المقيمين بجبل لبنان تحت حرمون، هي عينها المصفاة القريبة من جبعون، يبدو أكثر معقولية وانسجاماً مع منطق النص التوراتي. ولا بد أن تكون مياه ميروم في نفس الإطار الجغرافي، بحيث يستقيم النص التوراتي الوارد في يشوع ١١: ٦ - ٧. فكما صعد يشوع من الجلجال في ليلة واحدة ليضرب الملوك الذين تحالفوا ضدّ جبعون، كذلك يستطيع بيوم واحد الانتقال من الجلجال وضرب المتحالفين عند ميروم تماماً كما يحدد النص التوراتي "غداً في مثل هذا الوقت". أما أن تكون ميروم في شمال فلسطين قريباً من بحيرة الحولة أو في جنوبي لبنان قريباً من صيدون ومرجعيون، فهذا جائز فقط في حالتين: الأولى أن يكون لبنان في شمال أرض اسرائيل، وهذا ما لا تقوله النصوص التوراتية، بل ما تقوله هو العكس تماماً. والثانية أن تكون محلة الجلجال في مكان آخر قريب من شمال فلسطين، وليس في جنوبي نهر الأردن عند الطرف الشمالي للبحر الميت مقابل أريحا وأورشليم.

لكن ما نعتقده، وما نسعى إلى إثباته في هذه الدراسة، من خلال تحليل النصوص التوراتية، يفضي بنا إلى تصوّر آخر مختلف تماماً. فلبنان التوراتي الذي في جنوب أرض إسرائيل، ليس هو لبنان الموجود على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، ومحلة الجلجال التي انطلق منها يشوع مطارداً أعداءه إلى صيدون العظيمة ومياه مسرفوت وبقعة المصفاة تحت حرمون، ليست في غور الأردن الفلسطيني[٤٢]. فأين هو لبنان التوراتي إذن؟

خلاصة مقارنة:

وفق الأهداف المرسومة لهذه الدراسة، ووفق المنهجيّة المتبعة، فإن اعتماد المنهج الفيلولوجي أو المنهج اللغوي المقارن، لا يشكل الأساس الذي يرتكز عليه هذا البحث. فالأساس المنهجيّ كما أوضحنا في مقدّمتنا لهذه الدراسة، هو منهج تحليل النصوص التوراتية، أو منطق النص التوراتي. أما المنهج الفيلولوجي فيأتي رديفاً ومساعداً للمنهج الأساسي، وهنا بالذات يوضع هذا المنهج (الفيلولوجي) على محك التجربة والاختبار. فإذا قدّم المنهج التحليلي معطيات وأدلّة جغرافية

---

[٤٢] يذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب موضعاً في شمال اليمن يُدعى "جلاجل" قرب لبنان، وهو إلى الغرب من جبل قاضي دينه (سيأتي ذكره لاحقاً) في بلد وادعة. وهذا الموقع لجلاجل يتلاءم مع الأحداثيات الواردة في نص يشوع ١: ٣ الذي سبق تحليله. (أنظر الصفة، ص ٢٥٠).

تناقض الشائع والتقليدي في الدراسات المتعلّقة بأرض التوراة، وتخالف المسلّمات المتعلّقة بالجغرافيا التوراتية، فإن على المنهج الفيلولوجي أن يقدّم البدائل التي تتلاءم والأحداثيات الواردة في النصوص. هذا التزاوج بين المنهج التحليلي والمنهج الفيلولوجي يطبقه العديد من الباحثين والمشتغلين بالدراسات التوراتية. يبقى أن تكون المواقع المقترحة كبدائل للأمكنة والأسماء الواردة في النصوص، متلائمة من حيث ميزاتها وخصائصها الجغرافية والمناخية والنباتية والمائية والحيوانية وطبيعة الأرض والتربة، مع تلك الواردة في التوراة ربطاً بكل موقع جغرافي، إما منفرداً، أو مترافقاً ومتداخلاً مع مواقع أخرى.

إن لبنان التوراتي هو منطقة تُدعى "لبينان" في شمال اليمن من بلد همدان بمخلاف خولان العالية[٤٣]. ولسنا أول مَن قال ذلك، فالباحث كمال الصليبي في كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب [٤٤]"يعيد قراءة النص الوارد في سفر زكريا ١١: ١-٣، وفي نشيد الأنشاد ٤: ٨ و٧: ٤ في ضوء جغرافية شمال اليمن. وهو يرى أن لبنان الوارد في هذين الموضعين هو لبينان اليمن وليس لبنان الشام. وإن كان الصليبي قد اعتبر في كتابه هذا وفي كتابيه الآخرين[٤٥] أن أرض إسرائيل الاساسية حيث

[٤٣] أنظر صفة جزيرة العرب للهمداني، م. س. ص ٣١٨.

[٤٤] مرجع سابق، أنظر ص ١٥٢، ٢٨٦.

[٤٥] خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، م. س. وحروب داود م. س.

مسرح الأحداث والقصص الواردة في التوراة، هي في عسير وتهامة حتى مشارف اليمن بين نجران شرقاً وجيزان غرباً. فإن ما يهمنا بالدرجة الأولى من هذه الأطروحة هو أن لبنان اليمن يقع في جنوب أرض إسرائيل. وهذا ما يتوافق، في اعتقادنا، مع منطق النص التوراتي والاحداثيات الواردة في النصوص التي تتكلّم عن لبنان.

لكن يبقى السؤال الأهم: هل أن لبنان اليمن تنطبق عليه المواصفات والميزات الجغرافية والنباتية والمناخية المعطاة للبنان التوراتي؟ هذا ما سيأتي الكلام عليه في الفصول اللاحقة، وبخاصة تلك التي تتناول وجود المرّ واللبان والصندل والأرز والثلج والأنهر وحرمون في لبنان التوراة، بالإضافة إلى المدن والقرى والمواقع المرتبطة به.

أما هنا في خاتمة هذا الفصل، فسوف نتوقف عند بعض الأسماء والمواقع التي وردت فيه، والموجودة في بلد همدان باليمن ومخلاف خولان ومحيطهما العام، بصيغتها التوراتية دون أي تعديل أو اجتهاد أو إبدال لغوي من قبلنا، مهملين بالتالي الأسماء التي طرأ عليها تبديل جزئي أو كلّي.

١ - أرض جوشن (جشن بدون تصويت) الواردة في يشوع ١٠: ٤١ و١١: ١٦. وهذا المكان يأتي مترافقاً مع "قادش برنيع إلى غزة"، كما يترافق مع أرض الجنوب. وقادش برنيع في التخم الجنوبي لأرض الوعد وفق سفر العدد ٣٤: ٤. إن أرض جوشن هذه هي مخلاف

جيشان (حيشن) باليمن. ومدينته تُدعى جيشان، وقد اختفى المخلاف لاختفاء مدينته التي كانت زاخرة بالمعارف والتجارة، كما اختفت قبائله[٤٦]. ومن جيشان ابن جيران وهو من شعراء الرافضة وصاحب الكلمة المحرضة على المسلمين. ونسب إلى جيشان الخُمُرُ السود الجيشانية. وكان في هذا المخلاف الصراريون "بنو صرار"، ومن حواضره صور وحجر وبدر.

وربطاً ببني "صرار" وهم قبيلة كبيرة باليمن[٤٧]، فإن التوراة تذكر أن شاول أول ملك على إسرائيل (من سبط بنيامين أو ابن يامن) هو ابن قيس بن صرور (١ص ٩: ١). وفي الراجح أن عشيرة بنيامين تنتسب إلى اليمن ومخلاف جيشان قديماً حيث بني "صرر" (بدون تصويت). كما أن بني قيس هم قبيلة باليمن[٤٨]. وفي سفر أستير ٢: ٥ يرد ذكر رجل يهودي في بابل من سبي أورشليم، وهو رجل يميني من بني قيس.

وعندما كان داود هارباً من وجه شاول الملك، صعد الزيفيّون (وهم بنو زيف) إلى شاول في جبعة ليخبروه بأن داود مختبئ عندهم. ويستنتج من سياق القصة أن "الزيفيين" على علاقة طيّبة بشاول

---

[٤٦] الصفة، للهمداني، م. س، ص ٢١٩.

[٤٧] المرجع السابق، ص ٧٩.

[٤٨] المرجع السابق، ص ٧٩.

الصراري. وزوف (نفس الكلمة العبرية) أرض باليمن، وهـــي موطـــن "الزوفيين"، وفيها كذلك بني سَلَمة (شلمه بالعبرية). وزوف هو الاســـم القديم لما يسمّى اليوم بالسوادية[٤٩].

٢ - أفيق: وهي التي ترد في يشوع ١٣: ٤، وقد سبق تحليل هذا النص. فمن وجهة نظرنـــا أفيـــق والجبليـــين (وليـــس الجبيليـــين) والصيدونيين هم في التيمن، أي في بلاد اليمن. وفي حين تؤخذ أفيق على أنها أفقا عند منبع نهر ابراهيم، فإن هناك أفيق أخرى من قرى سبط أشير تترافق مع رحوب والرامة وصيدون العظيمة والمدينة المحصنة صور ترد في يشوع ١٩: ٣٠. ويرى الباحثون التوراتيون أن هناك أفيق ثالثة، وهي من بين المدن والممالك التي سيطر عليها يشوع وقتـــل ملكهـــا (١٢: ١٨)، لكنها كانت مسرحاً لحرب بين الفلسطينيين والاسرائيليين فيما بعـــد، في زمن عالي الكاهن (١ ص ٤: ١)، وفي زمن شـــاول (١ ص: ٢٩: ١). وهناك أفيق رابعة[٥٠] جرت عندها الحرب بين الآراميـــين والاســـرائيليين (ملوك أول ٢٠: ٢٦ - ٣٠).

---

٤٩ الصفة، م. س. ص ١٩١ - ١٩٥. والصليـــي يرجح أن تكون زيف قريـــة الصيفا في منطقة القنفذة أو صيافة في منطقة النماص، وكلاهمـــا في عســـير. (التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٢٠٢ - ٢٠٣).

٥٠ قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٦ - ٩٧.

ولست أدري لماذا يفترض أن هذا الاسم أفيق هو لأربعة أمكنة مختلفة. فأفيق الواردة على تخم الأموريين في يشوع ١٣: ٤، هي نفسها في نظرنا أفيق الواردة في يشوع ١٩: ٣٠، بالترافق مع صيدون وصور ورحوب. لكن لماذا يُعتبر أنهما مكانان مختلفان؟ ألأنها في يشوع ١٣ معتبرة أفقا في بلاد جبيل والاسرائيليون لم يصلوا في فتوحاتهم إلى أبعد من صيدون شمالاً؟ إذن أفيق الواردة في يشوع ١٣، هي في لبنان، بينما تلك الواردة في يشوع ١٩، أو ملوك أول ٢٠، أو صموئيل أول ٤، هي في فلسطين وشرقي الاردن، ولا ترتبط البتة بلبنان، هكذا يرى معظم الباحثين التوراتيين[٥١]. لكن التحليل الذي أوردناه في هذا الفصل أعلاه، يُظهر أن أفيق ليست في بلاد جبيل، بل هي في التيمن، وبالتالي فحدود إسرائيل وصلت إليها. وهي نفسها الواردة في قرى سبط أشير والمترافقة مع صيدون ورحوب كما في يشوع ١٣: ٤. وفي قضاة ١: ٣١ لم يستطع الأشيريون طرد سكان صيدون وأفيق ورحوب، فسكن الأشيريون في وسط الكنعانيين سكان الأرض.

أما أفيق الواردة في صموئيل أول ٤، فهي قرية من محلّة "شيلو" أو "شيلوه" حيث أقام عالي الكاهن وصموئيل النبي، بدليل أن رجلاً ركض من ساحة المعركة في أفيق إلى شيلو ليخبر "عالي" بمقتل

---

[٥١] المرجع السابق، ص ٩٦ – ٩٧، كذلك لبنان في الكتاب المقدّس، لغسان خلف، م. س، ص ٢٢١، ١٦٣.

ولديه ووقوع تابوت العهد في أيدي الفلسطينيين. وفي شيلو أيضاً أقام يشوع بعد احتلال أرض كنعان وقسم الأرض على الأسباط السبعة الباقين. وحيث لم يرد إلاّ أفيق واحدة احتلّها يشوع (١٢: ١٨) قبل توزيعه الأرض على الأسباط في "شيلو" ونقل خيمة الاجتماع من الجلجال إليها، فلماذا يفترض إذن أن أفيق القرية من شيلو هي غيرها التي أعطيت لسبط أشير والمترافقة مع صيدون ورحوب والرامة وصور؟

وما يهمنا من هذه القراءة التحليلية المقارنة للنصوص، ليس إثبات أن "أفيق" هي اسم لمكان واحد، بقدر ما نريد إثبات كونها في جنوب أرض اسرائيل وليس في الشمال عند بلاد جبيل. وحتى لو كان هناك أكثر من "أفيق"، فإن هذه الواردة في يشوع ١٣: ٤ و١٩: ٣٠ و١٢: ١٨ هي في الجنوب استناداً إلى الأدلّة والقرائن التي سبق عرضها في هذا الفصل.

المهم أن "أفيق" ما زالت في اليمن باسمها التوراتي منذ الألف الثاني قبل الميلاد وحتى اليوم، وهي لاتزال قرية عامرة في الشمال الغربي من ذمار جنوبي صنعاء. وإلى الشرق من ذمار أيضاً أفيق أخرى وهي بلدة من عنس[٥٢]. ورحوب التي تترافق مع أفيق وصيدون وصور، ما زالت تحتفظ باسمها التوراتي دون أيّ تعديل. فمن أودية وائلة: "أملح ورحوب مسيلها إلى رباق ومرن واديان ينتهيان في الغائط، وكتاف يسيل إلى

---

٥٢ الصفة، للهمداني، م. س.، ص ٢٢٦.

الغائط. وحلف يفيض إلى التكيم ثم الغائط بنجران، وهراب وعراد"[٥٣]. وقد ورد في هذا النص عدّة أسماء توراتية هي:

أ - رحوب الواردة هنا قرية جغرافياً من أفيق التي شرقي ذمار.

ب - أملح الوارد هنا، نقارنه على سبيل الاجتهاد - وبدون أيّ إبدال لغويّ- بوادي الملح الوارد في الأخبار الثاني ٢٥: ١١ والأخبار الأول ١٨: ١٢ وصموئيل الثاني ٨: ١٣[٥٤]. وإذا كان نص صموئيل الثاني يقول بأن داود ضرب آرام في وادي الملح، وآرام تترافق مع رحوب في أكثر من موضع توراتي. فإن وادي أملح اليمني يترافق مع وادي رحوب[٥٥].

---

٥٣ المرجع السابق، ص ٣١٦، ١٦٥. مع الإشارة إلى أن أملح ورحوب من أودية وائلة شرقي صعدة وهي تقابل عراد التي في منطقة الجوف باليمن.

٥٤ تجدر الإشارة إلى أن نص الأخبار الأول ١٨: ١٢ يذكر أن داود ضرب أدوم في وادي الملح، ونص صموئيل الثاني ٨: ١٣ يذكر أنه (أي داود) ضرب آرام وفق بعض الترجمات. سوف نعود إلى هذه المسألة لاحقاً.

٥٥ قارن ما ورد في صموئيل الثاني ١٠: ٦ حيث آرام بيت رحوب قرية من بني عمون، بما ورد في قضاة ١٨: ٢٧ - ٢٨. ثم قارن هذين النصين بما ذكر هنا وما سبق ذكره (ص ٨٣ ، هامش رقم ٩٠).

ج - ويعدّد سفر الأخبار الأول ١: ٤٣ وما بعدها، ملوك أدوم، وذلك قبل قيام مملكة إسرائيل. ومنهم جوشام من أرض التيماني، وشاول من رحوبوت النهر. إن التيماني هنا منسوب إلى اليمن وهذا أمر مسلّم به حتى من الباحثين التوراتيين. أما شاول الذي من "رحوبوت النهر" فلست أدري لماذا يعتبر أنه من بلاد ما بين النهرين ومدينته تقع على نهر الفرات[٥٦]، فكيف يكون هذا ملكاً على أدوم التي تمتدّ بين البحر الميت وخليج العقبة. فهل عجزت قبيلة الأدوميين التوراتيين عن إيجاد أحد من شيوخها ليكون رئيساً عليها، حتى يستعينوا بشاول من مدينة على نهر الفرات. لكن "رحوبوت النهر" هذه الواردة أيضاً في تكوين ٣٦: ٣٧ ليست على نهر الفرات العراقي، ولا حتى على نهر فرت التوراتي، لأن الموضعين اللذين وردت فيهما يذكران النهر فقط وليس "نهر فرت". ونرجح أن تكون "رحوبوت النهر" هذه قرية "رحابة" الواقعة في أسفل وادي ضهر في الشمال الغربي من صنعاء.

د - عراد، موضع سبق ذكره في القسم الأول من هذه الدراسة[٥٧]. وهو في أسفل منطقة الجوف شرقيّ اليمن مقابل "معين". وعراد هذا ذكر في سفر العدد ٢١: ١ حيث يرد "ملك عراد الكنعاني الساكن في الجنوب" الذي حارب الاسرائيليين وسبى منهم

---

[٥٦] قاموس الكتاب المقدّس، ص ٤٠١.

[٥٧] راجع ص ٥١، هامش رقم ٣٦.

سبياً. لكن الاسرائيليين عادوا وهزموه وسموا موطنه "حرمة"، ثم تحولـوا في طريق "يم سوف" ليدوروا بأرض أدوم[58]. أما "معين" التي بـالجوف فقد كانت عاصمة الدولة المعينية، ونرجح أنها الموضـع عينُـه الـوارد ذكره في يشوع ١٥: ٥٥ ربطاً بكرمل وزيـف. وقـد مـرّ معنـا في خلاصـة هذا الفصل أن الزيفيين صعدوا إلى شـاول ليخـبروه أن داود مختبئٌ عندهم. وعندما سعى شاول في أثره هرب إلى برية معون (صموئيل أول ٢٣: ١٩ - ٢٥)[59].

و - مرن: مرن هو الاسم التوراتي عينـه الـوارد في باروك ٣: ٢٢ - ٢٣، مترافقاً مع تيمان. وقد استبدلت الترجمـة الـتي

---

[58] بشأن "يم سوف"، قدم الباحث كمال الصليبي في كتابه "التوراة جاءت مـن جزيرة العرب" (ص ٧٠، هامش) اجتهاداً، حيث رجح أن تكون قرية الصفا بوادي غرابة الذي يفصل بين بلاد غامد وبلاد زهران في عسير. ثم عاد عـن هذا الاجتهاد في كتابه "خفايا التوراة وأسرار شـعب إسـرائيل (ص ٢٣٠)، ليقول أن "يم سوف" هو بحر صافي أو المنطقة الشمالية الغربية مـن رمـال الربع الخالي المحاذية لداخل بلاد عسير من جهة الجنوب الشرقي بناحية نجـران ووادي حبونا. إن موقع يم سوف هذا أو بحر صافي هو تماماً إلى الشرق مـن منطقة الجوف اليمنية حيث موقع عراد. وحرمة الواردة هنا ليست بعيدة عـن عراد في الجوف (أنظر الصفة، ص ٢٤٠، حيث ترد الكلمة عينها).

[59] إن معين اليمنية، ربما كانت موضع معون التوراتية، وموطن المعونيين الذيـن أشارت إليهم التوراة في قضاة ١٠: ١٢ ربطاً بصيدون والعمالقة. ولنا عـودة إلى هذه المسألة في الفصل المتعلّق بصيدون التوراتية.

أشرفت عليها جمعية الكتاب المقدس في لبنان[٦٠] كلمة مران الواردة في النص اليوناني (السبعينية) بكلمة مديان معلقة في الهامش أن مديان ترجمة معقولة ومرّان مكان غير معروف. وإذا كانت مرّان غير معروفة ولا أين يمكن أن تكون، فلماذا يجري إبدالها بمديان؟ على كل حال إن الترجمة اليسوعية أبقت الكلمة كما هي "مرّان" (مرن بدون تصويت). إن ورودها مترافقة مع تيمان التي تعني هنا أيضاً اليمن، جعلني أبحث عنها في اليمن بالذات وليس في مكان آخر. ومرّان سفر باروك، على ما نرجح، ليست وادي مُرن الذي ينتهي في الغائط، بل هي "مران" تماماً دون أي تبديل من سراة خولان. ويقول محقق الصفة: "مران بفتح الميم آخره نون قبيلة وأرض، ويمتدّ جبل مران حتى يصالي تهامة. وكان ينسب إلى مران هذا القسيّ المرانية"[٦١].

٣ - "من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأملس الصاعد إلى سعير". هذه هي المنطقة التي احتلّها يشوع في غربي الأردن (يشوع

---

[٦٠] هذه الترجمة أصدرتها دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، وهي بإشراف جمعيّة الكتاب المقدس في لبنان. ونحن نشير إليها تحت هذا الاسم الأخير. أنظر ص ١٤٤ من كتب الأبوكريفا.

[٦١] هذا ما ذكره محقق "صفة جزيرة العرب" لنهمداني، محمد علي الاكوع الحوالي، وقد أشرنا إليه سابقاً. ويذكر المحقق أيضاً أن المؤلّف ذكر مران هذا في كتابه "الأكيل"، (الجزء الأول، ص٣٢٥). راجع الصفة، ص١١٦، ١١٧ هامش.

١٢: ٧). وفي ١١: ١٧ ترد على النحو التالي: "من الجبل الأقرع (أو الأملس في ترجمات أخرى) الصاعد إلى سعير إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون".

نستنتج من هذه القرائن أن بعل جاد هي في بقعة لبنان، وأن هذه الأخيرة هي تحت جبل حرمون. أما سعير فهي موطن عيسو أخو يعقوب، أو بلاد أدوم (تكوين ٣٢: ٣). وتشير التوراة إليها أحياناً بجبل سعير الواقع في مكان غير بعيد عن برية يم سوف (بحرصافي) (تثنية ٢: ١). حيث يقول النص أن الاسرائيليين ارتحلوا إلى البرية على طريق يم سوف وداروا بجبل سعير أياماً كثيرة، فقال لهم الرب (يهوه): كفاكم دورانٌ بهذا الجبل، تحولوا نحو الشمال ... أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير".

إن جبل سعير كما تدلّ النصوص هو مقابل يم سوف أو على الطريق المؤدّي إليه. وانطلاقاً من كوننا نؤيد الصليبي في اجتهاده الثاني بشأن يم سوف، الذي ورد في كتابه "خفايا التوراة"، وأشرنا إليه قبل قليل، فإن جبل سعير يفترض أن يكون إلى الشرق من بلدة صعدة في خولان، عند نجران شرق اليمن مقابل بلاد يام وبحر صافي[٦٢].

---

[٦٢] أنظر ص ١٩٠، هامش رقم ٥٨.

وحيث أن حرمون التوراتي هو -كما يفترض- في منطقة لا تبعد كثيراً عن لبنان، فإننا نرجح أن يكون حرمون جبال الأهنوم (أو هنوم) في بلاد همدان كذلك[٦٣].

وبناءً على ما تقدم، فإن بقعة لبنان تحت حرمون هي في موقع قريب من بلدة صعدة اليمنية[٦٤]. أما الجبل الأملس الصاعد (أو الممتد حسب الترجمة اليسوعية) إلى سعير فهو "الضيقتين" أو ما يسمّى اليوم المضيق، وهو الممر الرئيسيّ من صعدة إلى نجران. والضيقتين جبال ملس كما يقول محقق صفة جزيرة العرب[٦٥]، وهي تؤدّي إلى جبل شاهق في رأس وادي نجران[٦٦] نرجح أن يكون جبل سعير الذي دار حوله بنو إسرائيل.

وفي كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، قام الصليبي بقراءة نص سفر التثنية ١: ١، في ضوء جغرافية بلاد غامد وبلاد

---

٦٣ صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ١١٥، ٢٦٦. مع الإشارة إلى أن "هنوم" في اليمن هي الكلمة عينها الواردة في أكثر من موضع في التوراة.

٦٤ نرجح أن تكون بلدة صعدة (صيده بابدال العين) هي صيدون التوراتية، أو في جوارها حيث يرد عند الهمداني موضع صعدن، وسوف نعود إلى هذه المسألة في فصل لاحق.

٦٥ الصفة، ص ١٦٦.

٦٦ هذا الجبل الشاهق برأس وادي نجران، يسمّى قاضي دينه، وقد سمّي هكذا لأن رجلاً كثرت ديونه ألقى بنفسه من رأسه. و لم يكن هذا اسمه في القديم.

زهران[٦٧] الواقعة في شمال المنطقة التي يرجح أن تكــــون أرض إســــرائيل الأساسية. وفي "خفايا التوراة" يقول أن يم سوف هو بحر صافي. من هنا نرى أن فاران وحضيروت وذي ذهب، على مسافة أحد عشر يوماً مـــــن حوريب على طريق جبل سعير، ليست في الشمال عند بلاد زهران بل في الجنوب الشرقي عند منطقة نجران مقابل بلاد يام وبحرصافي. فـــالنص في سفر التثنية يقول: "في البرية في العربة قبالة ســـوف"، أي في برية بـــلاد يام شرقي نجران ووادي حيونا، حيث هناك حضيرة نجران (حضـــيروت) ووادي مذهب (ذي ذهب) إلى الغرب. وهذا الموضع هو علـــى مســـافة أحد عشر يوماً من حوريب، وهي ليست هنا حوريب جبل هـــادي في وسط عسير، بل حوريب اليمنية إلى الجنوب عند مأرب (حريب عنـــــد الهمداني في الصفة تماماً مثل الكلمة العبرية). وجبل سعير هو جبل قاضي دينه، جبل شاهق برأس نجران. ثم لماذا يبحث الصليبي عن آبار بني يعقان (يعقن بدون تصويت) وموسير، حيث مات هارون (تثنيـــة ١٠: ٦) في منطقة القصيم إلى الشمال الشرقي من الطائف حيث قرية الميسرية قرب مياه وجيعان (إستبدال من يعقن)؟. إن بني يعقن التوراتيين هم - في مـــا نرجح- بني يعنق (بتقديم النون) ومقامهم في الأديم من خـــولان علـــى

---

[٦٧] يقول سفر التثنية ١: ١ "هذا هو الكلام الذي كلّم به موسى جميع إسرائيل في عبر الأردن في البرية في العربة قبالة سوف بين فاران وتوفل ولابان وحضيروت وذي ذهب، أحد عشر يوماً من حوريب على طريق جبل سعير إلى قـــادش برنيع."

مسافة من "مسورة" (موسر التوراتية بتقديم السين) في بلاد نهم مما يصالي بلد خولان[٦٨].

---

[٦٨] أنظر خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص ٢٢٢، وصفة جزيرة العرب، ص ١٦٢ حيث يرد أن "مسورة" بلدتان عامرتان في بلاد نهم، وما يسمى مسورة في اليمن كثير. أنظر كذلك ص ٢٥٠، ٢٥١.

٢ - لبنان التوراتي بلد المرّ واللّبان والصندل

ورد إسم لبنان سبعين مرّة كلّها في العهد القديم[٦٩]، بصيغته العبرية (لبنون) وهي مشتقّة من هـ - لبونه التي تعني اللّبان. وفي الترجمة السبعينية[٧٠] للتوراة العبرية التي قام بها يهود الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد، ترجمت كلمة "لبنون" إلى اليونانية تحت إسم ليبانوس (LIBANOS) التي تعني دون أدنى شك اللّبان أو البخور المشتق منه. ويرجع البعض كلمة "لبنون" إلى الجذر "لبن" في العبرية، ومعناه البياض، وهذا يتلاءم برأيهم وجبال لبنان المتوسطي التي تكللها الثلوج[٧١]. لكن اللّبان كذلك صمغه أبيض اللون أو مصفرّه. ووردت كلمة ليبانوس (لبنان في السبعينية) مرتين في العهد الجديد، لا لتشير إلى لبنان البلد الحالي على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، بل لتشير إلى اللّبان تحديداً،

---

٦٩ لم يرد إسم لبنان في العهد الجديد، بل ورد بلاد فينيقيا.

٧٠ سبق وأشرنا إليها، ص ١٤٧، هامش.

٧١ أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٨١٠، ولبنان في الكتاب المقدّس، لغسان خلف، م. س.، ص ١٧. وهذا الرأي يستند إلى الإشارة اليتيمة لثلج لبنان عند إرميا ١٨: ١٤. ولنا عودة إلى هذه المسألة في فصل لاحق.

وهذا مما يؤكّد صحة الرأي القائل بأن كلمة لبنون العبرية أو ليبانوس في اليونانية تعني اللّبان[٧٢].

فهل استعمل كاتبو أسفار التوراة كلمة "لبنون" العبرية، لأن لبنان التوراتي هو بلد اللّبان؟. هذا ما ستجيب عنه النصوص بالذات، وليس أيّ مرجع آخر.

ورد في نشيد الأنشاد ٤: ٦ - ١١: "أذهبُ إلى جبل المرّ إلى تلّ اللّبان... هلمّي معي يا عروس، معي من لبنان. أنظري من رأس أمانة من رأس شنير وحرمون من خدور الأسود من جبال النمور... شفتاك يا عروس تقطران شهداً. تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان".

ومما هو جدير بالملاحظة أن الترجمة اليسوعية القديمة التي ظهرت للمرّة الأولى عام ١٨٧٦[٧٣]، ترجمت النشيد ٤: ١١ على النحو التالي: "شفتاك تقطران شهداً أيتها العروس وتحت لسانك عسل ولبن

٧٢ وردت في متى ٢: ١١ عن المجوس عندما جاءوا إلى بيت لحم ورأوا الصبي مع أمه مريم فخرّوا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً (LIBANOS) ومرّاً. وفي سفر الرؤيا ١٨: ١٣.

٧٣ نشير هنا إلى طبعة ١٩٨٦، دار المشرق. وقد اشترك في صياغة هذه الترجمة ونقحها الأديب ابراهيم اليازجي.

وعرف ثيابك كعرف اللّبان". مع العلم أن الفقرة ٤ : ٨ هي الصياغة عينها التي أوردناها أعلاه[٧٤].

إن صاحب هذا النشيد يخاطب عروسه داعياً إيّاها لترافقه إلى جبل المرّ وتلّ اللّبان، فهو يقول: إلى أن ينسم النهار وتنهزم الظلال أنطلق إلى جبل المرّ إلى تلّ اللّبان. هلمّي معي أيتها العروس من لبنان. إن جبل المرّ وتلّ اللّبان وأمانه وشنير وحرمون، هي حتماً ودون أدنى شك مواضع تخص لبنان التوراتي وليس أيِّ مكانٍ آخر.

ثم إن الفقرة ١١ من النشيد رقم ٤ تؤكّد أن رائحة لبنان التوراتي هي رائحة اللّبان، إذ يقول لعروسه: رائحة ثيابك كرائحة لبنان (أو اللّبان حسب الترجمة اليسوعية القديمة). ورائحة لبنان هذه تتكرر في سفر هوشع ١٤: ٦: "ويكون بهاؤه كالزيتون ورائحته كلبنان".

أما أن يقال أن الترجمة السبعينية قد ترجمت كلمة لبنون العبرية إلى ليبانوس (LIBANOS) لأن هذا "يتفق ورائحة أشجار الأرز والسرو والشربين والصنوبر التي كانت مصدراً مهماً للصموغ العطرية وأنواع البخور التي كانت تفوح من غابات لبنان[٧٥]"، فهذا الرأي، وإن

---

[٧٤] إن الأبدال في نشيد ٤: ١١ بين لبنان واللبان يؤكّد أن لبنان التوراتي بلد اللبان والمرّ.

[٧٥] أنظر لبنان في الكتاب المقدّس، م. س.، ص ١٧.

كان صحيحاً في ما خص لبنان المتوسطي، لكنه لا ينسجم مع منطق النص التوراتي، حيث رائحة لبنان هي رائحة اللبان، وهذا ما لا يوجد في لبنان المتوسطي على الإطلاق، لا الآن، ولا في العصور القديمة.

إن لبنان اليمني، ليس فقط بلد المرّ واللّبان، بل البلد الوحيد الذي ينتج "المر واللّبان والأقاصيا والقرفة واللاذن..." كما قال هيرودوتس[٧٦]. أما الجغرافي اليوناني سترابون، فكان يدعو جنوبي الجزيرة العربية بلاد الطيوب. وفي هذا يقول: "وبلاد السبأي بلاد مزدحمة السكان، وهي أخصب تلك الأراضي على الإطلاق، ثمارها المرّ واللّبان والقرفة... وفيها حيّات ذات لون فاقع تبلغ الشبر طولاً وبوسعها القفز إلى علو خصر الآدمي ولا ينجح في لسعتها علاج[٧٧].

ويكرّر ديدورس الصقلّي هذا الوصف قائلاً: إن الجزيرة أرض تثمر الطيوب بحيث كانت تربتها نفسها تعبق بالأريج[٧٨]. أما بلّينوس

---

٧٦ راجع تاريخ العرب لفيليب حتي، ص ٧٧.

٧٧ المرجع السابق، ص ٧٧ - ٧٨. ويخبرنا سفر العدد ٢١: ٦، عن الحيات المحرقة التي لدغت الاسرائيليين، وهم في طريق بم سوف عندما ارتحلوا من جبل هور بعدما قاتلوا ملك عراد الكنعاني. قارن ما ورد في سفر العدد بما ذكرناه سابقاً ص ١٨٩، ٥١. قارن كذلك بما ورد عند أشعيا ٣٠: ٦ عن بهائم الجنوب ومنها الأفعى والثعبان السام الطيّار.

٧٨ المرجع السابق، ص ٧٨. قارن ذلك بما ورد في الملوك الأول ١٠: ١٠ والأخبار الثاني ٩: ٩.

الذي لخص في الجزء السادس من تاريخه معرفة الرومان بأحوال البلدان الشرقية، فيؤكّد هذه الميزة ويقول أن "السبأي" هم أشهر قبائل الجزيرة لغناهم باللبان"[79].

أما المؤرخ اليمني الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، الذي عاش ما بين القرن الثالث والرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي)، فيذكر في باب "عجائب اليمن التي ليس في بلد مثلها" الورس واللّبان اللذان لا يكونان في غير اليمن ويصيران في جميع الأرض[80]. "ومن ذلك أيضاً سُكّر العشر لا يكون إلاّ بنجران، ولا يكون منها إلاّ شق بلحارث فيما بين الهجر وسرّ بني مازن، وهو سكر ينزل من الهواء على ورق العشر، فيكون بقدرة الله عزّ وجلّ، وهو ضرب من المنّ وهيئته مثل قطع اللّبان والمصطكى، وقد يحمل ويعمل منه سكر كبار مطبّع في القوالب، وقد أهديت منه إلى أخٍ لي بالعراق فأعجب منه مَن رآه"[81].

---

[79] المرجع السابق، ص ٧٨. قارن ذلك بما ورد في الملوك الأول ١٠: ١٠ والأخبار الثاني ٩: ٩.

[80] الصفة ص ٣٦٠، راجع كذلك ما سبق ذكره في ما يتعلّق بالمر، ص ٤٨ من هذه الدراسة.

[81] المرجع السابق، ص ٣٦٠. ويتكلم مؤلف الصفة هنا عن المن الذي لا يكون إلاّ في بلحارث بنجران. قارن ما ذكرناه ص١٩٤ عن تحركات بني إسرائيل قبل دخولهم أرض كنعان، وهم في البرية قبالة بحرصافي (يم سوف) وبلاد يام-

ويشير كل من أشعيا ٦٠: ٦، وإرميا ٦: ٢٠، إلى أن مصدر اللّبان الذي كان يؤتى به إلى أورشليم هو شبا. وقد ذكرنا في ما سبق من القسم الأول عن شبأ هذه أو شبام أو شبوة قاعدة حضرموت الواقعة شرقي مأرب على مسافة ثلاثة أيام، والتي كانت المركز الرئيسي لتجارة اللّبان في العصور القديمة والعصر الحضاري لليمن[٨٢].

أما عن الصندل في لبنان التوراتي، فيذكر سفر أخبار الأيام الثاني أن سليمان أرسل إلى حورام ملك صور طالباً منه "خشب أرز وسروٍ وصندل من لبنان ... لأني أعلم أن عبيدك ماهرون في قطع خشب لبنان" (٢ أخبار ٢: ٨). ويرد هذا النص في سفر الملوك الأول ٥: ٦، حيث يطلب سليمان من حيرام خشب أرز فقط، فأرسل له حيرام خشب أرز وسرو (٥: ٨، ١٠). فلا يُذكر الصندل إلاّ في الأخبار الثاني.

وقد استعمل خشب الأرز لبناء بيت الرب وبيت الملك، واستعمل السرو لفرش الأرض (١م ٦: ٩ - ١٦). أما الصندل فقد استعمل "درابزيناً لبيت الرب وبيت الملك وكناراتٍ وأعواداً للمغنين" (١م ١٠: ١٢). ويستنتج من هذه النصوص أن خشب الأرز والسرو كان متوفراً بكثرة في لبنان، أما الصندل فلم يكن بمثل هذه الكثرة،

-في منطقة نجران حيث المن، بما ورد في سفر العدد ١١: ٦ ويشوع ٥: ١١-١٢ عن انقطاع المن بعد دخولهم أرض كنعان.

٨٢ راجع، ص ٥٧ مما سبق، هامش رقم ٤٩.

فكانت استعمالاته أقل ومحصورة في جانب واحد. وبسبب ذلك على الأرجح، استورد سليمان خشب الصندل من أوفير (أي ظفار [٨٣](فأتت سفن حيرام من أوفير بخشب الصندل كثيراً جداً (١م ١٠: ١١)، فلم يأتِ ولم يُرَ مثله إلى هذا اليوم (١٠: ١٢).

ويرى البعض من الباحثين التوراتيين أن نص الأخبار الثاني ٢: ٨ الذي يتحدّث عن الصندل في لبنان، لا يعني بالضرورة وجوده فيه بل إنه مستورد إليه[٨٤]. وما مرد ذلك إلاّ لعدم وجود الصندل في لبنان المتوسطي، فهذا النوع من الأشجار لا يوجد إلاّ في المناطق المدارية في جنوب الجزيرة العربية والهند. وإذا كان الصندل غير موجود في لبنان المتوسطي فهذا لا يعني عدم وجوده في لبنان التوراتي لأن النص واضح لا لبس فيه إذ يقول: "أرسل لي خشب... صندلٍ من لبنان". ولو كان سليمان يقصد بطلبه من حيرام أن يستورد له خشب الصندل من أوفير، لما تابع النص قائلاً: "لأني أعلم أن عبيدك ماهرون في قطع خشب لبنان"، فلم يقل النص أن عبيدك ماهرون في الأبحار إلى أوفير. ثم لماذا يفترض أن سليمان يطلب من حيرام أن يستورد له الصندل من أوفير؟. إذا كان سليمان يقصد ذلك، لكان أرسل له قائلاً: "ليأتِ عبيدك مع عبيدي في

---

٨٣ أنظر بشأن أوفير ما سبق من هذا البحث، ص ٥٦.

٨٤ قاموس الكتاب المقدّس، ص ٥٥٥، ولبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص ٢٦٢، هامش رقم ٣.

السفن إلى أوفير، لأني أحتاج إلى خشب الصندل"، فقد كان لسليمان أسطول يذهب إلى أوفير وترشيش باستمرار[٨٥].

وإذا كنا نؤكّد أن نص الأخبار الثاني يتحدّث عن صندل لبنان، فما ذلك إلاّ لأن لبنان التوراتي الموجود في اليمن، موجود فيه الصندل. فالهمداني يذكر في الصفة أن جبال هنوم التي سبق الإشارة إليها[٨٦] فيها نبات شبيه بالصندل الأبيض يقاربه في الرائحة، وقد يداخل الصندل الهندي. ويعلق محقق الصفة على ذلك قائلاً: هكذا أخبرنا أهل الأهنوم أنه يوجد فيه هذا النبات[٨٧]. ويقول يوسيفوس أن خشب الصندل يشبه خشب التين، ولكنه أكثر منه بياضاً وأبهى[٨٨].

وإذا كان لبنان التوراتي بلد اللّبان والطيوب، وتغنّى واضعو نشيد الأنشاد برائحته، فهذا يمكن أن يكون تفسيراً منطقياً للترافق الوارد أكثر من مرّة في التوراة بينه وبين جلعاد التي هي أيضاً تنتج الكثيراء والبلسان واللاذن[٨٩]، حتى أن بعض النصوص توحي بأن جلعاد تخصّ

---

٨٥ أنظر ملوك أول ٩: ٢٦، ١٠: ٢٢، وأخبار الثاني ٨: ١٧، ٩: ٢١.

٨٦ أنظر ص ١٩٣.

٨٧ الصفة، م. س.، ص ٣٥٠.

٨٨ قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٥٥.

٨٩ راجع ما سبق تحليله بشأن جلعاد، ص ٤٧، ٧٣.

لبنان، أو هي على الأقل، في جواره. وهذا ما لا ينسجم مع اعتبار جلعاد التوراتيّة في شرقيّ الأردن.

ففي الإصحاح الثاني والعشرين، يخاطب إرميا ملك يهوذا قائلاً: جلعاد أنت لي، رأس من لبنان (٢٢: ٦). وفي زكريا ١٠: ١٠، يتكرر هذا الترافق بين جلعاد ولبنان عندما يقول: وارجعهم من أرض مصر وأجمعهم من أشور وآتي بهم إلى أرض جلعاد ولبنان. وفي صموئيل الثاني ٢٤: ٦ - ٧ يرد عن البعثة التي أرسلها داود الملك لاحصاء شعب إسرائيل: "وأتوا إلى جلعاد وإلى أرض تحتِم، إلى حدشي، ثم أتوا إلى دان يعن واستداروا إلى صيدون، ثم أتوا إلى حصن صور".

في هذا النص تترافق جلعاد مع أرض تحتِم التي ترتبط بجنة عدن ولبنان في حزقيال ٣١: ١٦: "فتتعزى في أرض تحتِم (المترجمة الأرض السُفلى[٩٠] (كل أشجار عدن مختار (أو نخبة) لبنان وخياره". وفي حين أن بعض الباحثين التوراتيين لا يرى في هذا النص أية علاقة بين لبنان وعدن، أو بين جنة الله وأرز لبنان (حزقيال ٣١: ٢-٩)[٩١]، فإننا نرى أن

---

٩٠ أرض تحتِم ترد في النص العبري، وفي معظم الترجمات ترد الأرض السُفلى. وسوف نعود إلى هذه المسألة في فصل لاحق.

٩١ أنظر لبنان في الكتاب المقدس، لغسان خلف، م. س.، ص ٥٣.

الترابط بين أرض تخِتم ولبنان وجنة عدن يصبح منطقياً جداً إذا قرئ النص في ضوء جغرافية اليمن[٩٢].

٩٢ سوف نعود إلى هذه المسألة في فصل لاحق، أنظر ص ٢١١.

٣- أرز لبنان وثلجه وأنهاره

وردت كلمة الأرز خمساً وسبعين مرّة في الكتاب المقدّس كلها في العهد القديم[٩٣]، ويرى الباحثون التوراتيون أنها تشير إلى أرز لبنان المتوسطي دون أدنى شك. وعندما طرح الباحث كمال الصليبي في كتابه التوراة جاءت من جزيرة العرب رأياً مخالفاً في موضوع أرز التوراة، فقال أن الأرز المقصود في سفر زكريا ١١: ١ - ٣ يمكن أن يكون العرعر وليس أرز لبنان المتوسطي[٩٤]، قامت القيامة ضدّه و لم تهدأ إلاّ بمرور الزمن. ويقول أحد الباحثين في رده على الصليبي: "الأرز هو الدليل الذي لا نحتاج سواه لربط جغرافية التوراة بارضنا. غير أن الأرز صار عند المؤلف العرعر النابت في جرود عسير"[٩٥].

---

[٩٣] لم ترد كلمة الأرز في العهد الجديد، مثلما لم ترد كلمة لبنان، وهذا الأمر ملفت للنظر طالما أن بلاد فينيقيا التي وردت في العهد الجديد هي لبنان الحالي المتوسطي بلد الأرز.

[٩٤] التوراة جاءت، ص ١٥٢.

[٩٥] من محاضرة القس غسان خلف في ردّه على الصليبي، وقد أشرنا إليها في المقدمة، ويبدو من ردّ القس خلف أن مسألة ربط التوراة بأرضنا (أي لبنان-

ولكننا نستغرب كيف ينكر الباحث على غيره ما يجيزه لنفسه؟. فإذا كان الباحث غسان خلف قد أشار في كتابه: "لبنان في الكتاب المقدّس"[٩٦] إلى احتمال أن يكون الأرز المذكور في سفر اللاويين ١٤ وسفر العدد ١٩ و٢٤، هو نوع من العرعر (Juniperus sabina) وليس أرز لبنان (Cedrus Libani) ، ويُسمّى بالعبرية أيضاً أرزاً. فلماذا ينكر على الباحث كمال الصليبي قوله بأن أرز التوراة هو عرعر لبينان في اليمن؟

يبدو أن المشكلة ليست في أن يكون الأرز في بعض النصوص التوراتية هو نوع من العرعر، بل في أن يتحوّل أرز التوراة إلى مكان آخر غير لبنان المتوسطي، وأن تتحوّل أرض التوراة إلى مكان آخر في غرب شبه الجزيرة العربية من الطائف شمالاً وحتى مشارف اليمن جنوباً. على كل حال هناك سابقة أو أكثر، مماثلة للمسألة التي نحن بصددها. فعندما أشار الباحث "ذورمه" إلى احتمال أن تكون قبيلة "مسا" المذكورة في سفر التكوين ٢٥: ١٤ من قبائل العربية الجنوبية (أي اليمن (وليس من القبائل العربية في شرقي فلسطين، رفض الباحثون التوراتيون هذا الأمر

=الحالي) هي من المسلمات البديهية. وهذا يظهر كذلك في رد الأب بولس الفغالي على الصليبي، مجلّة المنارة، عدد ١ و٢ ١٩٨٦، ص ٢١٧.

[٩٦] أنظر ص ٧٣ - ٧٦ من المرجع المشار إليه. كذلك قاموس الكتاب المقدّس، ص ٤٩.

بشدّة[٩٧]. أما عن الأرز الوارد في سفر اللاويين ١٤: ٤، فكان يستعمل لتطهير الأبرص بمزجه مع القرمز والزوفا ودم الطيور. كذلك في عدد ١٩: ٦ حيث يحرق الأرز مع القرمز والزوفا فيطرح في وسط بقرة تحرق لهذه الغاية. فهل هذا أرز لبنان المتوسطي؟

إن شريعة تطهير الأبرص وتطهير البيت وتطهير النجس، وضعها موسى في برية سيناء (بالعبرية سيني) بعد الخروج من أرض مصر. فهل كان موسى يعرف أرز لبنان وهو في سيناء، والشعب الخارج من أرض مصر كان قد مضى عليه فيها أكثر من أربعة قرون (٤٣٠ سنة)؟. يرى البعض أنه من المحتمل أن يكون موسى قد تعرّف على أرز لبنان وهو في مصر حيث كان يستورد إليها من لبنان عن طريق جبيل[٩٨]. قد يكون ذلك ممكناً إذا كانت مصر المقصودة هي مصر وادي النيل، وحتى لو سلّمنا بذلك، فمن أين يأتي موسى بخشب الأرز وهو في سيناء؟ هل

---

[٩٧] أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٤٥ من هذه الدراسة، بشأن موطن القبائل الاسماعيلية. هذا مع العلم أن شخصيتين ذكرتا في التوراة، في سفر الأمثال ٣٠ و٣١، وهما آجور بن ياقة ولموئيل، وكلاهما من قبيلة مسا الاسماعيلية، قد ذكرا في النقوش المعينية وسواها من النقوش القديمة في اليمن. فهل هذه مجرّد مصادفة؟ أن يذكرا في نقوش اليمن وليس في أي مكان آخر من العربية الشمالية والشرق الأدنى. (راجع تاريخ العرب، لفيليب حتّي، ص ٧٤، ٨٤). كذلك مقدمة الدراسة، ص ٢٠.

[٩٨] راجع لبنان في الكتاب المقدّس، م. س، ص ٧٣.

يرسل إلى لبنان ليؤتى له بالأرز منه؟ هذا أمر بعيد الاحتمال ولا يحتاج إلى مناقشة.

إن الأرز المذكور في هذه النصوص ليس أرز لبنان، بل هو نوع من العرعر. وتذكر القواميس العربية نوعاً منه يسمّى "العرعر الكادي" وهو الأكثر انتشاراً في الشرق، ويستخرج منه بتقطير خشبه دهن أسود (زيت الكاد) يستعمل دواءً للأمراض الجلديّة. هذا هو أرز موسى في سيناء المستعمل للتطهير والمداواة، فهل يوجد في صحراء سيناء مثل هذا النوع من العرعر؟

ويذكر لنا سفر العدد ٢٤: ٦ عن الأرز الذي على المياه، وهذا أيضاً ليس أرز لبنان بل هو العرعر. وفي سفر حزقيال ٣١: ٣ - ٧ يتكرر ذكر الأرز على المياه ثلاث مرات حيث يقول: "هوذا أعلى الأرز في لبنان... قد عظمته المياه ورفعه الغمر، أنهاره جرت من حول مغرسه... فلذلك ارتفعت قامته على جميع أشجار الحقل وكثرت أغصانه وطالت فروعه لكثرة المياه إذ نبت... فكان جميلاً في عظمته وفي طول قضبانه لأن أصله كان على مياه كثيرة". وفي حين يرى الباحثون التوراتيون أن ما ذكر في أشعيا ٢: ١٣ وحزقيال ١٧: ٢٢ - ٢٣ و٣١: ٣ عن عظمة الأرز وطول أغصانه، إنما يشير إلى أرز لبنان[٩٩]. فإننا نرى أن

---

٩٩ راجع قاموس الكتاب المقدّس، ص ٤٩. كذلك حول العرعر "وهو شجر عظيم جبلي"، لسان العرب، ج ٤، ص ٥٦٠.

حزقيال قد حدّد لنا بكل دقة سبب ذلك -وبشكل لا مجال معه للتأويل- فهو راجع لكثرة المياه حيث ينبت.

ثم إن الترابط بين أرز لبنان وعدن التي في جنة الله، كما ورد عند حزقيال ٣١: ٨، ٩، ١٦، يجعل الاعتقاد السائد بأن أرز التوراة هو أرز لبنان اعتقاداً ضعيفاً لا يعدو مستوى الظن. يقول حزقيال في هذا الصدد عن أرز لبنان: "الأرز في جنة الله لم يفقه... كل الأشجار في جنة الله لم تشبهه في حسنه، جعلته جميلاً بكثرة قضبانه حتى حسدته كل أشجار عدن التي في جنة الله". ويتابع حزقيال كلامه على أرز لبنان قائلاً: "من صوت سقوطه أرجفت الأمم... فتتعزّى في الأرض السفلى (أرض تحتِم) كل أشجار عدن مختار لبنان وخياره"[١٠٠].

ولا يرى بعض الباحثين أية علاقة بين لبنان وعدن وجنّة الله الواردة في سفر حزقيال[١٠١]. فجنة الله أو جنة عدن لم يُجمع بعد على موقعها الجغرافيون واللاهوتيون. بعضهم يرى احتمال أن تكون في أرمينيا لأن الفرات والدجلة ينبعان منها، وهناك مَن يرى أنها في الجزء الجنوبي من بلاد ما بين النهرين حيث الفرات والدجلة يصبّان في شط

---

١٠٠ وردت في النص العبري أرض تحتِم كما في صموئيل الثاني ٢٤: ٦. أنظر ما سبق الإشارة إليه ص ٢٠٥.

١٠١ أنظر لبنان في الكتاب المقدّس، م. س، ص ٥٣.

العرب[١٠٢]. وفي الحالتين يصعب تفسير عبارة حزقيال: "كل أشجار عدن مختار لبنان وخياره"، فلماذا هذا الترابط بين لبنان وعدن طالما لا وجود لصلة جغرافية بينهما؟

وانطلاقاً مما تقدّم، نرى أن العلاقة بين لبنان وعدن وأرض تحتِم، تصبح علاقة منطقية وبديهية إذا قرأنا نص حزقيال في ضوء جغرافية اليمن. إن عدن هي في أرض تحتِم كما يقول النص، وأشجارها ستتعزّى إذا سقط الأرز العظيم الشامخ. وهذا أمر طبيعيّ لأن أرز لبنان فاق بعظمته أرز جنة الله (٣١: ٨)، فسقوطه سيكون أكبر عزاء لكل أشجار عدن (القريبة منه)، وكل شاربة ماء (٣١: ١٦).

يذكر الهمداني في الصفة "الجنتين" اليمنى واليسرى في مأرب، وروضة مأرب وهي ما تزال معروفة ولكنها خرائب، وسميت بذلك لكثرة الأشجار والمياه والأزهار والفواكه[١٠٣]. وفي مخلاف مأرب كذلك موضع يُقال له "تحتِم" تماماً كالاسم التوراتيّ دون أي تعديل، حتى في التصويت، ويعلق محقق الصفة على هذا الاسم قائلاً: "تحتِم بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الحاء ثم تاء أيضاً مكسورة آخره ميم، موضع بوادي قضيب من مراد. قال السليك بن السكلة:

بحمد الأله وامرئ هو دلني حويت النهاب من قضيب وتحتما

---

[١٠٢] قاموس الكتاب المقدّس، ص ٦١٣ - ٦١٤.

[١٠٣] الصفة، م. س، ص ١٥٠.

وقال لبيد:

وهل يشتاق مثلك من ديار دوارس بين تحتِم والخلال.

هكذا ضبطناه وصححناه من معجم ما إستعجم للبكري، وكان في الأصول كلها تحما باسقاط التاء الثانية وهو وهم، وهو في وادي عبيدة ويطلق عليه اليوم إسم قحازة وحبنون"[١٠٤].

وفي القسم الأول من هذه الدراسة، كنا قد ألمحنا إلى احتمال أن تكون جنة الله عدن في مكان ما من اليمن، وفي مأرب تحديداً[١٠٥]، إن ورودها مترافقة -بل تخصّ- أرض تحتِم التي ما زالت موجودة حتى اليوم باسمها التوراتي في مخلاف مأرب، هو دليلٌ إضافي يرسّخُ الاقتناع بأن لبنان التوراتي وجنة عدن هما في اليمن وليس في أيّ مكان آخر من الشرق الأدنى.

أما ثلج (وبالعبرية شلج) لبنان، فلم يذكر في التوراة إلاّ مرة واحدة يتيمة عند إرميا ١٨: ١٤. وهذه الإشارة مشكوك في صحتها أو في صحة ترجمة شلج العبرية إلى ثلج بالعربية في هذه الفقرة بالذات عند إرميا.

---

١٠٤ الصفة، م. س، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

١٠٥ أنظر ص ٦٣.

لقد تُرجمت هذه الفقرة عند إرميا في الترجمة اليسوعيّة (ط١٩٨٦) على النحو التالي: "هل يخلو صخر الصحراء من ثلج لبنان". وفي طبعة ١٩٨٩ أبدلت كلمة الصحراء بكلمة القدير فأصبحت هكذا: هل يخلو صخر القدير من ثلج لبنان، أم تنضبُ المياه الغريبة الباردة الجارية"، وعلقت على هذه الفقرة قائلة: يصعب فهم هذه الآية فهماً دقيقاً.

أما ترجمة جمعية الكتاب المقدّس في لبنان فتقول: هل تخلو جرود لبنان من الثلج أم تنضبُ ينابيعه الباردة الجارية. والترجمة الانجيلية تقول: هل يخلو صخر حقلي من ثلج لبنان. أو هل تنشف المياه المنفجرة الباردة الجارية[١٠٦].

لدينا إذن عدّة ترجمات لفقرة إرميا ١٨: ١٤ التي تتحدّث عن ثلج لبنان. وإذا كنا نلاحظ تبايناً بين هذه الترجمات، فإنه يتركز بشكل أساسيّ حول ترجمة كلمة "شدي" العبرية (بدون تصويت) التي تعني الصحراء والحقل، وتعني القدير كذلك إذا ما قرئت شدّاي (بالتصويت).

---

[١٠٦] نعني بهذه الأخيرة الترجمة التي تصدرها دار الكتاب المقدّس في العالم العربي. وهي مطابقة تماماً للترجمة الفرنسيّة التي أشرف عليها Louis Segond ، سويسرا ١٩٦٤. حيث جاء النص الفرنسي على النحو التالي :

La neige du Liban abandonne-t-elle le rocher des champs? Ou voit- on tarir les eaux qui viennent de loin, fraiches et courantes.

فالجدل الحاصل بشأن هذه الفقرة عند إرميا يدور حول عبارة "صحر شدي". أما عبارة "ثلج لبنون" فقد اعتبرت أنها تعني ثلج لبنان، خاصة كونها العبارة الوحيدة في كلّ النص التوراتي التي تشير إلى ذلك. ولهذا فقد تمسّك بها الباحثون بشدّة واعتبروها مسلمة بديهية، فليس ثمة ما يدعو بنظرهم إلى إعادة النظر في المعنى الحقيقي لهذه العبارة، وفي ما إذا كان كاتب سفر إرميا يقصد حقاً ثلج لبنان؟

إن صعوبة فهم هذه الآية عند إرميا، وفهم المعنى الحقيقي لها يعود إلى الغموض الحاصل في عبارة صخر حقلي، أو صخر الصحراء، وأو صخر القدير. فإذا كان المقصد الحقيقي من هذه الآية الإشارة إلى ثلج لبنان، فلماذا يُقال: هل يخلو صخر حقلي، ولا يُقال: هل يخلو حرمون من ثلج لبنان، أو هل تخلو قمم لبنون من الثلج؟

أما أن يُقال أن هذه الفقرة عند إرميا تشير إلى ثلج حرمون، فهو تأويل تعسُّفي للنص لا مسوّغ له. فقد فهم أحد الباحثين النص على الشكل التالي: "ويجد إرميا في لبنان وطبيعته ضالته. فهل يخلو حرمون مثلاً، من الثلج عاماً بعد عام؟ أو هل تنضب مياه الينابيع المنفجرة التي تغذي نهر الأردن؟... ومهما يكن المقصود بعبارة "صخر حقلي"، وهناك جدل واجتهادات بشأنها، فإن مقصد النبي واضح فهو يريد أن يقول أن الثلج على جبال لبنان يدوم من عام إلى عام، وهذا واقع لأن ثمة رقعاً واسعة من الثلج في ثنايا قمم حرمون والقرنة السوداء، لا تذوب صيف

شتاء، غير أن النبي لا بدّ يقصد جبل الشيخ (حرمون) لأنه الأقرب إلى موطنه ويشاهد منه"[١٠٧].

وإذا كان حرمون قريباً لموطن النبي إرميا، ويشاهد من فلسطين بالعين المجرّدة، فلماذا لم يشر إرميا أو غيره من كتبة أسفار التوراة إلى ثلجه ولو مرّة واحدة طالما أنه قد ذكر عشرات المرّات في العهد القديم[١٠٨]. ثم إذا كانت عبارة "صخر حقلي" تثير جدلاً واجتهادات، فلماذا تتحول في إحدى الترجمات إلى جرود لبنان"؟ هل تصبح هذه العبارة أكثر انسجاماً مع ثلج لبنان من عبارة صخر حقلي أو صخر الصحراء أو صخر القدير؟! وفي الواقع إن عبارة صخر الصحراء لا يمكن أن تقترن بثلج لبنان، ولا حتى عبارة صخر حقلي. فالذي لا يخلو من ثلج لبنان، ليس صخر الحقول، بل بعض القمم العالية كجبل الشيخ وجبل

---

١٠٧ أنظر لبنان في الكتاب المقدّس، لغسان خلف، م. س، ص ٤٩. كذلك ترجمة جمعيّة الكتاب المقدّس في لبنان (ط١ ١٩٩٣)، ص ٩٦٦، هامش رقم ١٤.

١٠٨ ثم لماذا يُقال بأن حرمون هو الأقرب لموطن النبي ويمكن أن يشاهد منه، ولا يقال بأن حرمون ضمن موطن النبي (أي أرض اسرائيل). فهو داخل في حدود الأرض التي افتتحها موسى (تثنية ٣: ٨) ويشوع (١١: ١٧ و١٢: ١ و١٣: ١١). وإذا كان لبنان قد ذكر ٧٠ مرة والأرز ٧٥ مرة وصور ٤٧ مرة وصيدون ٣٨ مرة، و لم يذكر ثلج لبنان إلاّ مرّة واحدة، فهذا أمر في غاية الغرابة، يزيد الشك في صحة تفسير فقرة إرميا ١٨: ١٤ ولا يلغيه.

المكمل، في هذه القمم فقط يدوم الثلج من عام إلى عام. ولو كانت عبارة إرميا تشير إلى قمم الجبال لقلنا إن الاشارة هي حقاً إلى ثلج لبنان.

ولو أعاد الباحثون التوراتيون النظر في عبارة "شـلج لبنـون" الواردة عند إرميا، لما وجدوا صعوبة في فهم النص فهماً دقيقاً ولتبينـوا عندها أن المقصود بعبارة "صخر حقلي" شيءٌ آخر لا يمـتّ إلى الثلـج بصلة.

إن الكلمة العبرية "شلج"، تعني الثلج في أكثر من موضع مـن النص التوراتي، وهذا أمر لا جدال فيه. وهي تعني كذلـك الأشـنان أو الحرض وهي نبتة كانت تستعمل قديماً للتنظيف، وهي من نبـات شـبه الجزيرة العربية[١٠٩]. وشلج الواردة في أيوب ٩: ٣٠ لا تعني الثلج بل تعني الأشنان، لأن ترجمة الفقرة على النحو التالي: "لو اغتسلت بالثلج ونظفت يدي بالاشنان" لا تبدو مطابقة تماماً للمعنى المقصود، فما معنى الاغتسال بالثلج؟[١١٠]. وفي المزمور ٥١: ٧، قد تكون الفقـرة "طهّرنـي بالزوفـا

[١٠٩] أنظر الصفة للهمداني، م. س، ص ٣٠٢.

[١١٠] ربما لهذا السبب رأت ترجمة جمعية الكتاب المقدس في لبنان أن تضع الجملـة على النحو التالي: لو اغتسلت بمياه الثلج ونظفت يدي بماء الرماد، وعلّقت في الهامش بعبارة: "بمياه الثلج أو بالصابون". مما يوحي بأن عبارة "بمياه الثلـج" غيرمؤاتية تماماً. هذا والترجمة اليسوعية ترجمت الفقرة هكذا: "لـو اغتسـلت بالثلج ونقيت كفي بالحرض". ولهذا فمن الأفضل ترجمة العبارة: لو اغتسلت=

فأطهر، تغسلني فأبيض أكثر من الثلج" أكثر صوابية بالصيغة التالية: "تطهرني بالزوفا فأصبح نظيفاً، تغسلني بالأشنان فأصبح أبيض"[111].

وبناءً على ما تقدّم، فإننا نعتقد أن الجملة الواردة عند إرميا لا تشير إلى ثلج لبنان، بل إلى نبتة الأشنان التي تنبت على حفافي الصخور وفي الأماكن حيث تتوفر الرطوبة. وإذا ما ترجمت الجملة كما يلي: "هل يخلو صخر حقلي من أشنان لبنان" لا تعود هناك أية صعوبة في فهم المغزى الحقيقي لها. وتصبح عبارة "صخر حقلي" أكثر وضوحاً في سياق الجملة التي تشير إلى الأشنان. فالمقصد الحقيقي من هذه الجملة التي أثارت، وما زالت تثير، جدلاً واجتهاداً بشأنها، ليس الثلج، بل الأشنان التي يقول النبي إرميا أن صخور الحقول والبراري في لبنان لا تخلو منها.

وإذا كنّا قد أعدنا النظر في كلمة "شلج" العبرية الواردة عند إرميا ١٨: ١٤، ورأينا أنها لا تعني الثلج، فإننا لا ننكر ورود الثلج في عدّة مواضع توراتية أخرى كما في أمثال ٢٥: ١٣ ومزمور ١٤٧: ١٦. وهنا لا بدّ من التساؤل: هل يوجد الثلج في اليمن؟ إننا نترك الكلام لمفكر

=بالأشنان ونقيت كفي بالحرض، لرطمتني في الوحل حتى تعافني (أو تكرهني) ثيابي".

[111] لقد أشار الباحث كمال الصليبي إلى هذا الأمر، والصيغة الأخيرة نستعيرها منه في "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، ص ٥٨. وهو يرى أن ما تشير إليه الجملة في المزمور ٥١ وفي أيوب ٩: ٣٠، ليس الثلج بل مادّة للتنظيف، وهي الأشنان أو الجصّة العربية (Gypsophila arabica) .

يونانيّ عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، هو ثيوفراستس (Théophrastos) (٣٧٢ - ٢٨٧ق.م.)يقول عن بلاد اليمن: "هناك تنبت أشجار اللّبان والمرّ والدارصيني في بلاد سبأ وحضرموت وقتبان. والجبال هناك مرتفعة ومغطاة بالثلوج والنباتات وتتفجر منها أنهار تجري إلى الأودية والسهول"[١١٢].

أما مياه لبنان وأنهاره، فإنها مسألة تثير الاستغراب والشك، أكثر مما تثيره مسألة ثلج لبنان. فليس هناك في كل النص التوراتي سوى إشارة واحدة مباشرة إلى مياه لبنان، هي التي وردت في يشوع ١١: ٨ و١٣: ٦. إن الفقرتين عند يشوع تتحدثان عن مياه أو عين مسرفوت (مسرفوت مايم) بالاقتران مع صيدون العظيمة، مما دفع الباحثين إلى اعتبارها إما عين مشرفة شمالي صيدا حيث يوجد ينابيع حارة، وإما عين المشيرفة قرب رأس الناقورة[١١٣].

فإذا كان لبنان وحرمون وصيدون وصور قد ذكرت عشرات المرّات في النص التوراتي كما ألمحنا قبل قليل[١١٤]، فلماذا لم يذكر نهر الليطاني على الاطلاق، و لم يذكر نهر الحاصباني الذي ينحدر إلى

---

[١١٢] أنظر "تاريخ اللغات السامية"، إسرائيل ولفنسون:طبعة مصر ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، ص ٢٣٥.

[١١٣] أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٨٩. ولبنان في الكتاب المقدس، ص١٨٣.

[١١٤] أنظر ص ٢١٦، هامش رقم ١٠٨.

فلسطين، و لم يذكر نهر الأولي الذي هو شمالي صيدا على رمية حجر كما هي عين مشرفة المعتبرة مسرفوت مايم[115]. لست أرى كيف تكون صيدون ضمن حدود أرض اسرائيل (أو هي على تخمها)، كما حرمون وصور وبعل جاد وبقعة المصفاة[116]، ولا يذكر نهر بأهمية الليطاني -ولن نقول بأهمية الأولي أو الحاصباني أو الزهراني-. أليس هذا مستغرباً حقاً، أن تكون بعثة إحصاء شعب إسرائيل التي أرسلها داود الملك قد وصلت وفق صموئيل الثاني ٢٤: ٦ - ٧ إلى صيدون، ثم إلى حصن صور، و لم تعبر نهر الليطاني؟. كيف استداروا إذن إلى صيدون ثم أتوا إلى حصن صور دون المرور بنهر الليطاني، حتى ولو لم يكونوا قد تعرفوا عليه سابقاً. إن هذا وغيره من المسائل العديدة يدفعنا إلى القول إن لبنان التوراتي ليس لبنان المتوسطي على الاطلاق.

---

[115] هل كانت عين مسرفوت التي قرب صيدون، أكثر أهمية في نظر كاتبي الأسفار من أكبر نهرين داخليين في لبنان هما الليطاني والأولي؟ ثم إن عبارة يشوع ١٣: ٦: "جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم" توحي بأن مسرفوت مايم لا تخص لبنان التوراتي، بل هي خارجة عنه.

[116] راجع يشوع ١١: ٨، ١٧، و١٢: ٥ و١٣: ٤، ٥، ١١ و١٩: ٢٨ - ٢٩ وقضاة ٣: ٣١ وصموئيل الثاني ٢٤: ٦ - ٧.

٤- جبال لبنان وكرمله

تذكر التوراة من جبال لبنان، والأصح أن يُقال من الجبال المرتبطة بلبنان، جبل حرمون في أكثر من خمسة عشر موضعاً. ولم يذكر حرمون التوراتي في العهد الجديد بالاسم، بل يرى بعض اللاهوتيين أن ثمة أكثر من إشارة إلى الجبل العالي أو الجبل المقدّس الذي يعتقد أنه جبل الشيخ[117]. ولأن حرمون التوراتي يقترن بلبنان في أكثر من موضع، فقد اعتبر من جبال لبنان، وبالتالي جبل الشيخ الواقع في أقصى جنوبي سلسلة جبال لبنان الشرقية.

لكن ليس هناك أيّ نص توراتي من النصوص التي ذكر فيها، يقول صراحة أن حرمون هو في لبنان. بل على العكس، إن ما ورد في سفر يشوع ١١: ٣، ١٧ و١٢: ٧ يجعلنا نعتقد أن لبنان التوراتي ينسب

---

[117] متى ١٧: ١-٢٠ ومرقس ٩: ١-١٣ ولوقا ٩: ٢٨-٣٦، ورسالة بطرس الثانية ١: ١٦-١٨، ولوقا أيضاً ٤: ٥. ونذكر القارئ هنا بما سبق وفصّلناه في المقدّمة، أننا لا نناقش مسألة حرمون في العهد الجديد، وما إذا كان هو جبل التجلّي أم لا. فمن المؤكد أن قيصرية فيلبس التي كان فيها المسيح مع تلاميذه (مرقس ٨: ٢٧ و٩: ٢ وما بعدها) تقع عند سفح جبل الشيخ اللبناني.

إلى حرمون. فقد ورد أن يشوع "أخذ كل تلك الأرض الجبل وكل الجنوب وكل أرض جوشن والسهل والعربة وجبل إسرائيل وسهله من الجبل الأقرع الصاعد إلى سعير إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون".

إن بعل جاد هذا الذي في بقعة لبنان تحت جبل حرمون هو نفسه جبل بعل حرمون الوارد في سفر القضاة. ذلك لأن الحويين الساكنين تحت حرمون في أرض المصفاة (يشوع ١١: ٣)، هم "سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون..." (قضاة ٣: ٣).

ويعتقد شارحو العهد القديم أن بعل جاد هذا أو بعل حرمون الذي تحت جبل حرمون، إما هو بلدة حاصبيا الحالية أو على مقربة منها، وربما كان عند بعلبك[118].

لكن، وقف الدليل الوارد في قضاة ٣: ٣ وأخبار الأيام الأول ٥: ٢٣، نرى أن بعل حرمون هو جبل يفترض أن يكون قريباً من حرمون. فقد ورد في الأخبار الأول أن بني منسى امتدوا من باشان إلى بعل حرمون وسنير وجبل حرمون. إذن يفيدنا هذا الدليل أن بعل حرمون وسنير وحرمون هي ثلاثة مواضع متقاربة، وليست ثلاث تسميات لموضع واحد.

---

[118] قاموس الكتاب المقدّس، ص ١٨٣. ولبنان في الكتاب المقدّس، م. س ص ١٦٥.

ومع أن سنير الوارد في الأخبار الأول ليس حرمون، فإنه يرد في مواضع أخرى كاسم لحرمون نفسه. يقول سفر التثنية ٣: ٩ أن "الصيدونيين يدعون حرمون سريون والأموريين يدعونه سنير". وفي تثنية ٤: ٤٨ يسمّى حرمون جبل سيئون.

يستنتج من هذه النصوص أن حرمون التوراتي له ثلاثة أسماء أخرى هي سريون وسيئون وسنير، وأن الأخير منها يرد في نص الأخبار الأول مستقلاً عن حرمون ومترافقاً معه في آن. ونستنتج كذلك أن هذه المواضع تترافق مع لبنان وإن لم يعرّف عنها أنها واقعة فيه... ففي المزمور ٢٩: ٦ يرد لبنان مترافقاً مع سريون: "يحطم الرب أرز لبنان ويوثبها كعجل لبنان وسريون كولد الثور الوحشي".

وإذا ما قرأنا النصوص السابقة التي تتحدّث عن حرمون وسريون وسيئون وسنير في ضوء النص الوارد في مزمور ٤٢: ٦. "لذلك أذكرك من أرض الأردن وجبال حرمون من جبل مصعر". نستنتج أن حرمون التوراتي ليس جبلاً واحداً كما هو جبل الشيخ من سلسلة جبال لبنان الشرقية[119]، بل هو عدّة جبال متشابكة. ولهذا وردت في المزمور ٤٢ صيغة الجمع "جبال حرمون".

---

[119] إن القول بأن كاتب المزمور ٤٢ استعمل تعبير جبال حرمون إما للإشارة إلى قممه المتعدّدة (له ٣ قمم)، أو كصفة لكل الجبال العالية المشابهة لحرمون. هو قول غير مقنع. فجبل المكمل في الشمال له ثلاث قمم بأسمائها، ولا تستعمل-

وهذا الاستنتاج يتأكد في ضوء دليل أخبار الأيام الأول الذي ذكرناه أعلاه، إذ إن عبارة "إلى بعل حرمون وسنير وجبل حرمون" يفهم منها أن سنير قرب جبل حرمون دون أن يكون إيّاه[120].

وبناءً على ما تقدّم، نرى أن ورود حرمون بصيغة الجمع "جبال حرمون"، مع ذكر أسماء أخرى له، إنما كان القصد منه الاشارة إلى عدّة جبال، وليس إلى جبل واحد. فهل يوجد في شمال اليمن قرب لبنان التوراتي عدّة جبال تحمل الاسماء التوراتية لجبل حرمون[121].

يذكر الهمداني في الصفة جبال هنوم من بلد همدان حيث نفترض وجود لبنان التوراتي، وهي ثلاثة أجبل متشابكة وافرة العمران والسكان، وهي سيران الشرقيّ وسيران الغربيّ (سيرن) وجبل مدان وشهارة[122]. ويذكر الهمداني أيضاً وادي سيّان جنوبي صعدة من بلد

–صيغة الجمع للإشارة إليه. أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٣٠٠. كذلك لبنان في الكتاب المقدّس، م. س، ص ٢٧٣ .

١٢٠ ورد إسم سنير عند حزقيال ٢٧: ٥ دون أن يكون مرتبطاً بحرمون أو إسماً له.

١٢١ أنظر ما سبق الاشارة إليه، ص ١٩٣.

١٢٢ إن الاسم سيران هو نفسه الاسم التوراتي سريون (سيرن وسرين بتقديم الياء أو الراء). أنظر الصفة، ص ١١٥، ٢٦٦.

همدان، فربما كان أحد الجبال المشرفة على هذا الوادي يحمل إسم سيئون أو سيّون التوراتي[١٢٣].

وقد يتساءل القارئ لماذا نفترض أن جبال هنوم هي جبال حرمون التوراتية، فنقول أن هذا الافتراض مبني أولاً على قراءتنا السابقة للبنان التوراتي في فصل "لبنان التوراتي في التيمن"، حيث أثبتنا من خلال النص التوراتي بالذات أن لبنان وحرمون وصيدون هي في جنوب أرض اسرائيل، وليس في شمالها. ومبني ثانياً على النص القائل أن لبنان التوراتي بلد المر واللبان والصندل. من هنا نقول إن وجود الصندل في جبال هنوم كما أشار الهمداني في الصفة[١٢٤] يشكل دليلاً إضافياً للقول بأنه جبل حرمون التوراتي. فلم يذكر المؤرخ اليمني الهمداني، لا في الصفة ولا في الاكليل، موضعاً آخر في اليمن ينبت فيه الصندل. ألا يشكل هذا دليلاً كافياً للقول بأن جبل الشيخ في لبنان الحالي لا يمكن أن يكون حرمون التوراة.

أما في ما يتعلّق بجبل مصعر الوارد في مزمور ٤٢ مترافقاً مع حرمون، فقد ذكر الهمداني في الصفة موضعاً يُدعى المصرع في بلد حاشد، وهو غير المصرع الذي ذكره في الجزءين الثامن والعاشر من

---

١٢٣ إن سيّان هذا هو نفس الاسم التوراتي سيئون. أنظر الصفة ص ٢٣٨.

١٢٤ أنظر ما سبق تفصيله ص ٢٠٢ وما بعدها.

الاكليل. وهذا الأخير موجود قرب صنعاء وهو ما نرجح أن يكون مصعر المزمور ٤٢"[١٢٥].

وفي مسألة جبل الكرمل المنسوب إلى لبنان في أكثر من موضع من التوراة، وبشكل لا لبس فيه أو إبهام. فقد ذكر أشعيا في الاصحاح ٣٧: ٢٤ قائلاً: "وقلت بكثرة مركباتي قد صعدت إلى علو الجبال عقاب لبنان، فاقطع أرزه الطويل وأفضل سروه وأدخل أقصى علوه وعر كرمله". ويرد هذا النص بحرفيته في سفر الملوك الثاني ١٩: ٢٣"[١٢٦].

لقد حيّرت مسألة "كرمل لبنان" كل الباحثين التوراتيين، مما دفع بالبعض منهم إلى الاجتهاد اللغوي بشأن عبارة "كرملو" العبرية التي تعني كرمله. فقرئت الكلمة العبرية "كرم لو"، وهذا يعني تجزئتها بحيث صارت تفيد معنى "وعر مرجه" أو وعر بستانه. وهذه الترجمة - الاجتهاد نجدها في معظم الترجمات الحديثة، الفرنسية منها[١٢٧]

١٢٥ أنظر الصفة، ص ١٥٩.

١٢٦ يرد الكرمل في نصوص أخرى مترافقاً مع لبنان وباشان وشارون (أشعيا ٣٣: ٩ وناحوم ١: ٤). أما في أشعيا ٣٥: ٢ فيرد: "يدفع إليه مجد لبنان، بهاء كرمل وشارون". مما يؤكّد أن بهاء الكرمل من مجد لبنان، فالكرمل منسوب إلى لبنان وليس إلى أي موضع آخر غيره.

١٢٧ الترجمة المسكونية للكتاب المقدس(TOB) ، والترجمة الفرنسية التي أشرنا إليها أعلاه ص٢١٤.

والعربية[١٢٨]. كذلك فإن الجملة الواردة عند أشعيا ٢٩: ١٧ والقائلة: "أليس عما قليل يتحول لبنان كرملاً (سب لبنون- لـ - كرمل) والكرمل يحسب غاباً" قد ترجمت "يتحوّل لبنان بستاناً والبستان يحسب وعراً"، أو "يتحوّل لبنان جنائن، والجنائن تعدّ غاباً"، أو "يتحوّل لبنان جنة والجنة تحسب غاباً.[١٢٩]"وفي الواقع إن عبارة "سب لبنون لـ - كرمل" تعني يتحول لبنان إلى كرمل" أو "يعود لبنان إلى كرمل"[١٣٠] ولا تعني البساتين أو الجنائن أو الجنّات. أما لماذا هذه الصعوبة في فهم عبارة أشعيا "كرمل لبنان"، ولماذا هذا الاجتهاد اللغوي بشأنها؟ إن السبب يعود بشكل رئيسي إلى المسلّمة القائلة بأن أرض التوراة هي فلسطين. وعليه فإن قراءة نص أشعيا والملوك الثاني في ضوء جغرافية الشرق الأدنى قد أدّت إلى الاشكالية التالية: بما أن جبل الكرمل التوراتي قد اعتبر واقعاً إلى الجنوب من عكا على الساحل الفلسطيني، وبالتالي لا علاقة له بلبنان، ولا

---

١٢٨ الترجمة العربية للكتاب المقدس، نشرة جمعية الكتاب المقدّس في لبنان (ط١٩٩٣)، أشرنا إليها سابقاً أكثر من مرّة. وفيها ترد العبارة الأخيرة من نص أشعيا ٣٧: ٢٤ على النحو التالي: "ووصلت إلى أقصى أعاليه وإلى مجاهل غابه".

١٢٩ هذه الصيغ الثلاث حيث الكرمل ترجم بستاناً، نجدها على التوالي في الترجمة الانجيلية وترجمة جمعية الكتاب المقدّس في لبنان والترجمة اليسوعية (ط ١٩٨٩). أما الترجمة التي ترد فيها كلمة الكرمل فهي الترجمة اليسوعية القديمة التي ظهرت للمرّة الأولى في القرن الماضي (ط ١٩٨٦).

١٣٠ أنظر الصليبي "التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ٣٥، هامش رقم ٩.

يمكن أن يكون من جباله. فكيف ينسبه النص إلى لبنان طالما هو بعيد عنه. هذه هي المشكلة في كرمل لبنان المترافق كذلك مع باشان وشارون.

لكن النص التوراتي يقول بكل وضوح "كرمل لبنان" ومجد لبنان بهاء كرمل وشارون. وإذا ما قرئت النصوص في ضوء جغرافية اليمن حيث لبنان التوراتي فإن الكرمل سوف يعود إلى لبنان، أو يعود لبنان إلى الكرمل دون الاضطرار إلى جعل الكرمل وعراً أو غابةً. ويذكر الهمداني في الصفة جبل "كدمل" (بالدال) بالقرب من حمضة، وهو جبل وسط البحر الأحمر إزاء قرية الوسم ويُسمّى الآن "كتنبل"[131]. ويذكره ياقوت في معجم البلدان "كرمل" (بالراء) على أنه جبل بالقرب من حمضة ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة[132]. وبما أن حمضة هي آخر موقع باليمن شمالاً[133]، فان الكرمل يقع غربي منطقة لبينان مباشرة على ساحل البحر الأحمر.

وهناك مسألة أخرى مشابهة لكرمل لبنان أثيرت حولها أيضاً الشكوك، وهي مسألة "بيت غابة لبنان" الذي بناه سليمان الملك. يرد في

---

[131] أنظر الصفة، ص ٦٥.

[132] معجم البلدان، ج٥، ص ٤٤٨. وهو في الصفة أيضاً "ما بين بلد كنانة واليمن من بطن تهامة."

[133] الصفة، ص ٦٨.

سفر الملوك الأول ٧ أن سليمان بعد أن أكمل بناء الهيكل بنى بيتاً له في ثلاث عشرة سنة "وبنى بيت غابة لبنان مئة ذراع طولاً وخمسين ذراعاً عرضاً وثلاثين ذراعاً سمكاً بناه على أربعة صفوف من أعمدة الأرز، وكان على الأعمدة جوائز من الأرز، وسقفه بالأرز من فوق على الغرفات الخمس والأربعين التي على الأعمدة كل صف خمس عشرة غرفة". ويتابع سفر الملوك سرد كل التفاصيل المتعلّقة باكمال بناء "بيت لبنان" هذا.

إن بيت سليمان الذي يسمّيه النص بكل وضوح "بيت غابة لبنان"، هو في نظر البعض "قصر خشب لبنان ... وقد سمّي بهذا الاسم لأنه مبني كله بخشب أرز لبنان"[١٣٤].

لكن نودّ أن نسأل: إذا كان قصر سليمان هذا قد سمّي بيت غابة لبنان أو بيت وعر لبنان[١٣٥] لأنه فقط مبني من خشب أرز لبنان وليس لأنه مبني في لبنان، فلماذا لم يسمّ هيكل الرب "هيكل لبنان" طالما أنه مبني هو أيضاً من خشب أرز لبنان؟. إن هذا الاجتهاد غير مقنع، خاصة إذا قرأنا هذا النص ربطاً بالنصوص الأخرى التي تتحدّث عما رغب أن يبنيه سليمان في لبنان وكل أرض سلطانه.

---

[١٣٤] أنظر لبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص ٣١.

[١٣٥] حسب الترجمة الانجيلية "بيت وعر لبنان."

أما لماذا يُفترض أن بيت سليمان قد سمّي بيت غابة لبنان دون أن يكون قد بني فعلاً في لبنان، فذلك لأن قراءة النص في سفر الملوك وغيره من النصوص في ضوء جغرافية الشرق الأدنى يفضي إلى القول بأن مملكة إسرائيل لم تكن تسيطر على لبنان الحالي الذي كان خارج حدودها. ولهذا فليس منطقياً أن يبني سليمان في لبنان وهو خارج سلطانه[136]. هذه المسلمات المسبقة هي نتيجة بديهية لاسقاط الجغرافية التوراتية على كامل منطقة الشرق الأدنى.

لكن النصوص التوراتية تتكلّم صراحة، ودون أي إبهام أو غموض، أن جبل حرمون ولبنان وصيدون إلى تخم صور كانت ضمن حدود أرض إسرائيل[137]. كل لبنان وكل حرمون وجميع الصيدونيين كانوا ضمن الأراضي التي دخلها يشوع، لكن سكان صيدون لم يطردوا، فسكن الأشيريون في وسطهم، وسكن بنو اسرائيل في وسط الحويين سكان جبل لبنان. فهل نستغرب بعد أن يكون سليمان قد بنى قصراً له في لبنان التوراتي، وليس لبنان المتوسطي.

---

[136] أنظر لبنان في الكتاب المقدس، ص ١٤٣. كذلك قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٧ و٧٠٦. ومن جهة أخرى لماذا يُفترض أن سليمان قد بنى مخازن في بلدة عنجر اللبنانية المعتبرة "حماة صوبة" الواردة في الأخبار الثاني ٨: ٣ - ٤، ولا يفترض أن بيت غابة لبنان سمّي كذلك لأنه بني في لبنان؟

[137] لقد سبق وفصّلنا هذه النصوص، فلا حاجة للتكرار هنا. نذكر القارئ فقط بما ورد في تثنية ١: ٤ ويشوع ١١ و١٢ و١٣ وقضاة ١: ٣١ و٣: ٣.

وثمة نصوص أخرى تتحدث عن أن سليمان قد بنى في لبنان، فيذكر الملوك الأول ٩: ١٩ والأخبار الثاني ٨: ٦ "كل ما أحبَّ سليمان أن يبنيه في أورشليم ولبنان وفي كل أرض سلطانه".

ومما يلفت النظر ويدعو إلى الاستغراب أن كل ما بناه سليمان في لبنان وأورشليم وتدمر وحماة وصوبة وغيرها لم يبقَ منه أثر، حتى الحجارة الكريمة "كقياس الحجارة المنحوتة منشورة بمنشار من داخل ومن خارج... حجارة عظيمة، حجارة عشرة أذرع وحجارة ثمانية أذرع" (الملوك الأول ٧: ٩-١٠). قد يُقال أن هذه الأبنية والقصور دمِّرت بفعل الغزوات المتلاحقة ضدَّ ممالك ساحل البحر الأبيض المتوسط، غزوات الأشوريين والكلدانيين والفراعنة والفرس وغيرهم. ومن البديهي أن تندثر الأبنية الخشبية المبنية والمسقوفة بخشب الأرز وغيره، لكن هل تندثر الحجارة العظيمة ولا يبقى لها أثر؟! إذا كانت أبنية سليمان وداود مبنية في غير فلسطين ولبنان، فلن يبقَ لها أثر فيهما. ومن التقاليد الباقية في شبه الجزيرة العربيّة أن قصر سليمان بن داود عليه السلام مازالت آثاره موجودة في قرية بني سدوس بن ذهل بن ثعلبة. ويخبرنا الهمداني في الصفة أن هذا القصر "مبني بصخر منحوت عجيب خراب"[١٣٨].

---

[١٣٨] أنظر الصفة، ص٢٨٥. وتجدر الإشارة هنا إلى أننا لا نجزم بأنه قصر سليمان، لكنها فرضية قابلة للبحث. وحيث لم يذكر عن أي أثر في بلاد الشام عموماً أنه من بقايا ما بناه سليمان الملك، فإن ما ذكره الهمداني، وبخاصة وصفه للصخر المنحوت العجيب، جدير بالاهتمام.

٥- صور التوراتية وجبل[١٣٩]

يشكّل البحث عن صور التوراتية أحد أهمّ المفاصل في دراسة جغرافيا التوراة وفي البحث عن أرض إسرائيل الأساسية وجيرانها الصوريين والصيدونيين. وفي هذا الفصل، كما في الفصول السابقة، لن نلجأ إلى المنهج الفيلولوجي ومقارنة الأسماء التوراتية مع ما يماثلها في اليمن وساحل الجزيرة العربية على البحر الأحمر، إلاّ بعد قراءة وتحليل النصوص التوراتية التي تتحدّث عن صور. فالنص هو المرجع الأساسي للإجابة عن السؤال التالي: هل صور التوراتية موجودة على ساحل البحر الأبيض المتوسط أم لا؟ وبالتالي هل هي صور اللبنانية أم لا؟.

يرد في أكثر من موضع من النص التوراتي، ذكر مكان أو منطقة تُدعى ترشيش، كانت صور تتاجر معها، فكانت السفن المبحرة إلى ترشيش تأتي مرة كل ثلاث سنوات، مما يعني أنها في مكان بعيد عن

١٣٩ تجدر الإشارة في بداية هذا الفصل عن صور وجبل التوراتيتين، إلى أن الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، دعا الرئيس اللبناني الأسبق أمين الجميل إلى زيارة اليمن والتعرّف على أرض فينيقيا الأساسية وصور وجبيل اللتين كانتا في اليمن.

صور وأرض إسرائيل. ولهذا فقد اعتبرت أنها مستعمرة "ترسيوس" على الساحل الاسباني الجنوبي قرب مضيق جبل طارق[١٤٠].

ويعود سبب اعتبار ترشيش في أقصى البحر المتوسط غرباً، إلى أن صور التي تتاجر معها هي صور اللبنانية، وهذه مسلّمة لا تقبل الجدل أو إعادة النظر. فالابحار إليها كان في البحر المتوسط، والنبي يونان عندما ركب السفينة مبحراً إليها هرباً من وجه الرب (يهوه)، انطلق من "يفو" التوراتية المعتبرة "يافا" على الساحل الفلسطيني[١٤١].

وإلى جانب ترشيش، فقد كانت سفن حيرام وسليمان تذهب إلى أوفير في طلب الذهب والحجارة الكريمة وخشب الصندل. فهل كان الإبحار إلى أوفير يسير في الاتجاه ذاته حيث ترشيش؟ إن قراءة النصوص المتعلّقة بترشيش وأوفير سوف تجيب عن هذا التساؤل.

يخبرنا سفر الملوك الأول ٩: ٢٦ - ٢٨ أن الملك سليمان "عمل سفناً في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحر سوف في أرض أدوم، فأرسل حيرام في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان، فأتوا إلى أوفير وأخذوا من هناك ذهباً أربع مئة وزنة وعشرين وزنة وأتوا بها إلى الملك سليمان".

---

[١٤٠] أنظر قاموس الكتاب المقدّس ص ٢١٦، وكل الترجمات التي تعتمد إدراج شروحات على النص.

[١٤١] سفر يونان الاصحاح الأول: ٣ وما بعدها.

وبما أن عصيون جابر معتبرة تقليدياً عند خليج العقبة في الطرف الشمالي للبحر الأحمر، فإن الأبحار إلى أوفير كان يتم عبر هذا البحر وليس البحر الأبيض المتوسط، وإلا لما كان سليمان عمل السفن في عصيون جابر. وهذا أمر مسلم به عند كل الباحثين والمشتغلين بالدراسات التوراتيّة، ولهذا يرى قاموس الكتاب المقدّس أن أوفير هي في العربية الجنوبية أو بلاد اليمن حالياً[١٤٢].

وفي حين أن نص الملوك الأول يكتفي بالاشارة إلى أن حيرام أرسل في سفن سليمان "عبيده النواتي العارفين بالبحر"، فإن نص الأخبار الثاني ٨: ١٧ - ١٨ يذكر أن حيرام أرسل مع سفن سليمان سفناً وملاحين يعرفون البحر، فيقول: "حينئذٍ ذهب سليمان إلى عصيون جابر وإلى أيلة على شاطئ البحر في أرض أدوم، وأرسل له حورام بيد عبيده سفناً وعبيداً يعرفون البحر فاتوا مع عبيد سليمان إلى أوفير وأخذوا من هناك أربع مئة وخمسين وزنة ذهب وأتوا بها إلى الملك سليمان".

وتعقيباً على هذين النصين نورد الملاحظات التالية:

١ - في نص الملوك الأول، أرسل حيرام ملاحين صوريين على خبرة في مجال الملاحة البحرية. وهذا أمر معقول إذا ما تساءلنا كيف أرسلهم حيرام من صور اللبنانية على البحر المتوسط إلى خليج العقبة؟

---

[١٤٢] سبق وتناولنا مسألة أوفير هذه في إطار البحث عن مساكن اليقطانيين، أنظر ص٥٦.

فمن الممكن أن يرسلهم عن طريق البرّ عبر فلسطين ثم يبحرون في سفن سليمان من هناك إلى جنوب الجزيرة العربية حيث أوفير.

٢ - لكن الصعوبة تبدو في قراءة النص الثاني في الأخبار الثاني ٨، حيث نرى أن حورام أرسل لسليمان إلى خليج العقبة (أيلة التي على شاطئ البحر في أرض أدوم) سفناً وملاحين عارفين بالبحر. فكيف أرسل له السفن من البحر الأبيض المتوسط إلى البحر الأحمر، وإمكانية الابحار بين هذين البحرين مباشرة دون الدوران حول أفريقيا، كان أمراً مستحيلاً في عصر سليمان وحيرام، و لم يصر ممكناً إلاّ بعد ذلك بثلاثة آلاف سنة[١٤٣].

٣ - ولحلّ هذه الاشكالية فقد اعتبر أن صور اللبنانية التي على الساحل الشرقيّ للبحر المتوسط كانت تمتلك أسطولاً تجارياً في البحر الأحمر، ومن هناك كانت تبحر "سفن حيرام التي حملت ذهباً من أوفير، أتت من أوفير بخشب الصندل كثيراً جداً وحجارة كريمة" (ملوك أول

---

١٤٣ أي بعد شق قناة السويس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد الميلاد. أما الدوران حول أفريقيا فلم يكن ممكناً في عصر سليمان، و لم يصبح واقعاً إلاّ في عصر الاكتشافات الحديثة مع كريستوف كولومبوس وأميركو فيسبوتشي وماجلان الذي وصل إلى رأس الرجاء الصالح.

١٠: ١١، وأخبار ثاني ٩: ١٠ [١٤٤]. (لكن كيف بنى حيرام الصوري اللبناني أسطولاً تجارياً في البحر الأحمر، وكيف نقل أخشاب لبنان إلى هذا البحر لبناء الأسطول؟ فهذا ما لم يجب عنه أحد من الباحثين، أو ربما لم يكلّف أحدٌ منهم نفسه عناء التساؤل والإجابة، أو ربما استعمل حيرام أخشاب سيناء من الأرز والسرو والشربين؟. نحن نعتقد أن حيرام الصوري التوراتي لم يكن مضطراً لارسال سفن من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر، ولا إلى نقل أخشاب لبنان المتوسطي إلى سواحل البحر الأحمر الشمالية لكي يبني بها أسطوله التجاري العامل في شواطئ الجزيرة العربيّة. والسبب في ذلك يعود إلى أن صور التوراتيّة لم تكن على ساحل البحر المتوسط بل كانت على ساحل البحر الأحمر عند الشاطئ اليمني، وهذا ما سيتمّ إثباته في سياق هذا الفصل، ومن خلال النص التوراتي بالذات، قبل أن يكون من خلال تشابه الأسماء.

لنعد الآن إلى التساؤل السابق: هل أن الابحار إلى ترشيش كان يتمّ في الاتجاه ذاته حيث أوفير؟ وذلك بعد أن تبيّن لنا بما لا يقبل الشك بأن الابحار إلى أوفير كان يتمّ من البحر الأحمر باتجاه سواحل حضرموت وعمان.

---

[١٤٤] راجع تاريخ العرب، فيليب حتي، ص ٧١. قاموس الكتاب المقدّس ص ١٣٨. كذلك لبنان في الكتاب المقدّس، لغسان خلف، ص ١٠٩ - ١١٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣.

يخبرنا نص الملوك الأول ١٠: ٢٢ أن الملك سليمان كان يمتلك سفناً تسير إلى ترشيش مع سفن حيرام "فكانت سفن ترشيش تأتي مرّة في كل ثلاث سنوات، أتت سفن ترشيش حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقروداً وطواويس". ويتكرر هذا النص في الأخبار الثاني ٩: ٢١، مع التأكيد بأن هذه السفن "كانت تسير إلى ترشيش مع عبيد حورام، وكانت سفن ترشيش تأتي مرّة في كل ثلاث سنوات حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقروداً وطواويس". فهل كانت ترشيش في موقع ما من سواحل البحر المتوسط غرباً أم في سواحل الجزيرة العربية؟

إن الدليل الوارد في سفر الملوك الأول ٢٢: ٤٨ - ٤٩، يخبرنا بأن يهو شافاط ملك يهوذا "عمل سفن ترشيش لكي تذهب إلى أوفير لأجل الذهب، فلم تذهب لأن السفن تكسّرت في عصبون جابر".

يستنتج من هذا النص بأن ترشيش وأوفير كانتا في الاتجاه ذاته، دون القطع بهذه المسألة، لأن النص لا يحدد صراحة بأن سفن ترشيش هذه قد عملها يهو شافاط لكي تذهب إلى ترشيش وأوفير معاً. وقد يقول البعض بأن تسمية السفن هنا بسفن ترشيش، ربما كان للدلالة على ضخامتها وقدرتها على الابحار إلى أماكن بعيدة[١٤٥]. لكن النص ذاته قد تكرر في الأخبار الثاني ٢٠: ٣٥ - ٣٦، وبشكل يسمح بامكانية القطع

---

[١٤٥] أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٢١٦. ولبنان في الكتاب المقدّس، م. س، ص ١١٤، ٢٣٣ هامش رقم ٣.

في هذه المسألة. يقول النص: "ثم بعد ذلك اتحد يهوشافاط ملك يهوذا مع أخزيا ملك إسرائيل الذي أساء في عمله. فاتحد معه في عمل سفن تسير إلى ترشيش فعملا السفن في عيصون جابر... فتكسّرت السفن و لم تستطع السير إلى ترشيش".

يستنتج من هذا النص أن سفن ترشيش التي بناها يهوشافاط لتذهب إلى أوفير حسب نص الملوك الأول ٢٢، هي نفسها السفن التي بناها لتذهب إلى ترشيش حسب نص الأخبار الثاني ٢٠. وفي الحالتين فإن السفن قد بنيت في عصيون جابر عند خليج العقبة وفق المسلّمات الجغرافية التي وضعها الباحثون التوراتيون وتحديداً المشتغلون بالجغرافية التوراتية. إذن ترشيش ليست في إسبانيا، ولا الأبحار إليها كان يتم عبر البحر الأبيض المتوسط، بل عبر البحر الأحمر. وإلاّ لماذا بنى يهوشافاط السفن في عصيون جابر لتذهب إلى ترشيش؟ و لم يبنها على الساحل الفلسطيني المتوسطي عند حيفا أو عكا أو يافا[١٤٦]. هل أخطأ يهوشافاط في

---

[١٤٦] تعلّق الترجمة المسكونية للكتاب المقدّس (TOB) على نص الأخبار الثاني ٢٠ قائلة بالنص الفرنسي:

"Comme on identifie généralement Tarsis avec une région d'espagne ou d'Afrique du nord et qu'Eçion-Guèvèr se trouve dans le golfe d'Aqaba sur la mer rouge, ce texte fait difficulté. Ces identifications seraient-elles inexactes? Ou le texte ne serait-il pas certain? Ou l'auteur aurait-il employé une expression toute faite, utilisée pour la navigation au long cours"? Edition paris 1975, p. 1856.

تحديد المكان الذي تبحر منه السفن إلى ترشيش؟ أم أن كاتب سفر الأخبار الثاني هو الذي أخطأ، وأشكل عليه مكان وجود ترشيش، فخلط بينها وبين أوفير؟ لا نعتقد أن أيّاً من الاحتمالين وارد. وبما أن السفن المبحرة إلى ترشيش، كما إلى أوفير[147]، لم تكن تقلع من أيّ ميناء على البحر الأبيض المتوسط، ولا حتى من ميناء صور اللبناني فإن صور التوراتية لا يفترض أن تكون على الساحل المتوسطي بل في نقطة ما من ساحل البحر الأحمر. قد يُقال أن هذا الكلام لا يعدو كونه تصوراً افتراضياً (أو احتمالياً)، فلا يصل إلى درجة اليقين. ذلك لأن ترشيش حتى ولو لم تكن على ساحل البحر المتوسط، بل على ساحل الجزيرة العربية الجنوبي، فان هذا لا ينفي احتمال أن تكون صور التوراتية عند الساحل الشرقي للبحر المتوسط. فبامكان حيرام الصوري اللبناني الابحار إلى ترشيش بواسطة أسطوله المتواجد في البحر الأحمر، وبالطريقة عينها التي كانت تبحر فيها سفنه إلى أوفير[148].

وهنا نقول بأن هذا الرأي صحيح شرط أن لا تكون صور التوراتية ميناء تقلع منه السفن المبحرة إلى ترشيش، أو تعود إليه. وفي

---

[147] لهذا السبب يقول نص الملوك الأول ٢٢ بأن يهوشافاط بنى سفن ترشيش لكي تذهب إلى أوفير. إن سفن ترشيش هنا يقصد بها السفن التي تبحر إلى ترشيش كذلك.

[148] راجع ما ذكر أعلاه في هذا الفصل.

الحالتين فإن صور التوراتية يجب أن تكون، دون أدنى شك، على ساحل البحر الأحمر. يقول أشعيا في الإصحاح ٢٣: ١ "وحي من جهة صور، ولولي يا سفن ترشيش لأنها خربت، حتى ليس بيت ولا مدخل". يستنتج من هذا النص إذاً أن سفن ترشيش سوف تحزن لخراب صور، وإلاّ لماذا تولول سفن ترشيش إذا لم تكن صور التوراتية ميناءً تلجأ إليه عند الضرورة، أو عند العودة من رحلاتها الطويلة. وفي أشعيا ٢٣: ١٤ يقول النص: "ولولي يا سفن ترشيش لأن حصنك قد دُمِّر". وفي سفر حزقيال ٢٧: ١٢ يرد في معرض الكلام على الأمم والشعوب والمناطق التي تتاجر مع صور ما يلي: "ترشيش متجرة معك في كثرة كل غنى وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص أقامت أسواقك". وفي ٢٧: ٢٥ يرد: "سفن ترشيش سيارة لك لموسمك وقد امتلأت وصرت ذات مجد عظيم في قلب البحار". فهل هناك من شك بعد بأن ترشيش كانت تتاجر مع صور التوراتية، وأن سفن ترشيش سيارة إليها حاملة الفضة والحديد والقصدير والرصاص[١٤٩]. ويشير إرميا إلى فضة ترشيش المطرقة في ١٠: ٩، إذ يقول: "فضة مطرقة تجلب من ترشيش".

[١٤٩] حتى أن أشعيا يطلق على صور لقب "بنت ترشيش" (٢٣: ١٠).

وفي الإصحاح ٦٠ من سفر أشعيا، يقـــول الكـــاتب[١٥٠] في معرض الكلام على أورشليم وعودة أهلها إليها من السبي: "إن الجزائـــر تنتظرني وسفن ترشيش مستعدّة منذ الأول أن تأتي ببنيك من بعيد ومعهم فضتهم وذهبهم لاسم الرب إلهك" (٦٠: ٩)[١٥١].

أما في مسألة تكسر السفن التي بناها يهوشافاط في عصيـــون جابر على خليج العقبة، فقد أشير كذلك في غير سفر الملـــوك الأول ٢٢ والأخبار الثاني ٢٠، إلى تكسّر سفن ترشيش برياح شرقية قوية. فالمزمور

---

١٥٠ يُنظر إلى سفر أشعيا عموماً على أنه ثلاثة أقسام: القسم الأول كتبه النـــبي في القرن الثامن قبل الميلاد، وهو يمتد من الفصل الأول حتـــى الفصـــل التاســـع والثلاثين. والقسم الثاني لم يكتبه أشعيا بنفسه، بـــل ربما أحـــد تلاميـــذه أو كاتب آخر لا نعرفه، وفي مرحلة ما بعد السبي. وهذا القسم الثاني هـــو مـــا يسمّيه اللاهوتيون "سفر أشـــعيا الثـــاني" ويمتـــدّ مـــن الإصحـــاح ٤٠ إلى الإصحـــاح ٥٥. والقسم الثالث وهو ما يُسمّى "أشعيا الثالث" يمتـــدّ مـــن الإصحاح ٥٦ حتى الإصحاح ٦٦ الأخير.

١٥١ إذا كانت سفن ترشيش مستعدّة لأن تحمل بني أورشليم من سبيهم وتعيدهـــم إلى أرضهم التي أعطاهم إياها الرب إلههم (يهوه) فكيف تستطيع سفن ترشيش هذه القادمة من بعيد وفق ما يقوله النص حرفيـــاً (أي مـــن أرض بـــابل) أن تعيدهم إلى أرضهم إذا كانت تبحر في البحر الأبيض المتوسط. إن هذا النـــص عند أشعيا -وبخاصة لأنه كتب في مرحلة ما بعد السبي- يشكل دليلاً إضافيـــاً على أن ترشيش ليست عند الساحل الأسباني، ولا سفـــن ترشيش الســـيارة إلى صور كانت تبحر في البحر الأبيض المتوسط.

٤٨: ٧ يذكر الريح الشرقية التي "تكسر سفن ترشيش". وحزقيال يتنبأ على صور قائلاً: "كسرتك الريح الشرقية في قلب البحار" (٢٧: ٢٦). مما يعني أن الريح الشرقية هذه التي كسرت صور في قلب البحار، ما هي إلاّ الريح التي كسرت سفنها المبحرة إلى ترشيش[١٥٢]. فهل خليج العقبة هو موقع عصيون جابر حيث كسرت الرياح الشرقية سفن يهوشافاط، فلم تستطع الابحار إلى ترشيش؟ إن خليج العقبة المحمي من الجهة الشرقية بمجموعة من التلال، وهي المسماة وفق الدراسات التوراتية تلال أدوم، لا يتعرض حسب المعلومات الجغرافية إلى مثل هذه الرياح الشديدة القادرة على تحطيم سفن بحرية كبيرة أعدت خصيصاً للأبحار في مياه البحر الأحمر وبحر عمان[١٥٣].

لكن هذه الرياح التي كانت قادرة على تحطيم سفن ترشيش ما هي إلا رياح السموم، أو الرياح الموسمية الغدّارة التي تهبّ على السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية[١٥٤] خلال فصل الشتاء.

---

[١٥٢] إن قاموس الكتاب المقدّس يرى كذلك أن إشارة حزقيال هذه تعني تكسر سفن ترشيش (أنظر ص ٢١٦).

[١٥٣] إننا لا ننفي تعرّض خليج العقبة إلى الرياح الشرقية، لكنها ليست بمثل قوة الرياح الموسمية الجنوبية التي تهب على ساحل عمان وحضرموت واليمن، والمسماة رياح السموم لشدتها وقوتها.

[١٥٤] راجع تاريخ العرب، لفليب حتي، م. س، ص ٨٢.

إن موقع عصيون جابر التوراتي حيث بنى سليمان ويهوشافاط السفن، وحيث أرسل حيرام إلى سليمان سفناً وملاحين عارفين بالبحر، ليس في الطرف الشمالي للبحر الأحمر، بل في الجنوب عند ساحل اليمن. ويخبرنا الهمداني في صفة جزيرة العرب عن موقع بحري على شاطئ اليمن كان موجوداً في أيامه واختفى فيما بعد، يُدعى "منفهق جابر". وهو إلى الشمال من جزيرة كمران، وربما كان قائماً على مقربة من مصب وادي مور عند بلدة اللحية. ويذكر الهمداني حرفياً أن منفهق جابر هذا "هو رأس غزير كثير الرياح حديدها"[١٥٥].

وإذا كانت سفن ترشيش وأوفير تبحر في البحر الأحمر وبحر عمان، فان الملاحة فيهما كانت تتطلب خبرة ومهارة ومعرفة تامة بشواطئهما، إلى جانب الخبرة في أوقات الرياح الموسمية الغدّارة وذروتها.

---

[١٥٥] أنظر الصفة، ص ٦٨. أما كلمة "منفهق" لغوياً فهي مشتقة من الجذر "فهق" الذي يعني الشدّة والكثرة والاتساع. فاذا قيل فهق الرجل، يعني أصاب فهقته (الفقرة الأولى من العمود الفقري عند الرقبة). وإذا قيل فهق الأناء يعني طفح. وإذا قيل فهق أو انفهق البرق يعني اشتدّ واتسع. والفاهقة تعني الطعنة التي تنصب بالدم. والمنفهق هو الواسع. وعليه فان معنى فهق لغوياً ينسجم تماماً مع تسمية هذا الموقع والوصف الذي أعطاه إياه الهمداني، وهذا الوصف ينسجم مع التسمية التوراتية "عصيون" التي تعني "العصي". ويذكر ياقوت في معجم البلدان "منفهق جابر" في المكان عينه والوصف ذاته اللذين ذكرا في الصفة. (ج٥، ص ٤٤٨).

وفي الراجح أن الرحلة إلى ترشيش كانت تستغرق ثلاث سنوات، ليس فقط بسبب بعد المسافة التي ربما لم تكن تتطلّب كل هذه المدّة[١٥٦]، بل كذلك بفعل الرياح الموسمية التي كانت تجعل الأبحار عسيراً إن لم يكن مستحيلاً. مما يجبر البحارة على اللجوء إلى الشواطئ الآمنة بانتظار هدوء الرياح. ولهذه الأسباب أعلاه فان سليمان كان يستعين بملاحين صوريين على خبرة واسعة في شؤون الملاحة وفنونها في الشواطئ الجنوبية للجزيرة العربية. فكان يرسل حيرام في سفن سليمان التي بناها في عصيون جابر ملاحين عارفين بالبحر، أو يرسل سفناً وملاحين ليقودوا أسطول سليمان في إبحاره إلى ترشيش وأوفير.

---

١٥٦ لقد حدّد الباحث كمال الصليبي موقعاً محتملاً لترشيش التوراتية هذه عند ساحل ظفار التابعة اليوم لسلطنة عمان. فإذا صحّ هذا الافتراض يكون الابحار إلى ترشيش وأوفير يستلزم الوقت عينه، حيث أننا نفترض أن أوفير التوراتية هي ظفار. وهذا ربما يفسر نص الملوك الأول ٢٢ والأخبار الثاني ٢٠، حيث سفن ترشيش المسافرة إلى أوفير في النص الأول هي نفسها السفن المسافرة إلى ترشيش في النص الثاني. ويرجح الصليبي أن تكون ترشيش قرية شرشيتي غير البعيدة عن ميناء صلالة قاعدة سلطنة عمان الذي كان يُسمّى ظفار في العصور الوسطى (أنظر كتابه خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ص ٢٧٩). وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان "ترشيش" في بلاد فارس (ج٢، ص ٢٢، وج٤، ص ٣٣). فإذا كانت هذه ترشيش التوراة، فان الرحلة من منفهق جابر على الساحل اليمني إلى الخليج الفارسي، كانت تتطلّب ثلاث سنوات.

وعلى كل حال فقد كان البحارة الصوريون فينيقيي البحر الجنوبي، كما كان بحارة صور وصيدون اللبنانيتين فينيقيي البحر المتوسط. ويذكر المؤرخ فيليب حتّي أن أهل سبأ كانوا "فينيقيي البحر الجنوبي، فقد عرفوا طرقه وتعرجات سواحله وموانئه وسيطروا على رياحه الموسمية الغدارة -السموم- فاحتكروا بذلك تجارته خلال القرون الثلاثة عشر الأخيرة قبل الميلاد"[١٥٧].

إن صور اليمنية جارة سليمان لم تكن إلاّ سلف السبئيين هؤلاء في الحقبة الممتدّة من القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحتى العصر الذهبي للدولة السبئية (٦١٠ - ١١٥ ق.م) الذي تلا خراب صور اليمنية وتدميرها على يد نبوخذنصر.

ننتقل الآن إلى السؤال الأساسي في هذا الفصل: أين كانت صور التوراتية التي أسميناها أعلاه "صور اليمنية" تمييزاً لها عن صور اللبنانية. وبصياغة أخرى هل كانت صور التوراتية في اليمن، وأين؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، نستعرض النصوص التي تصفها بأنها موقع وحصن بحريان، أو تصفها بالصخرة[١٥٨].

---

١٥٧ تاريخ العرب المطول، ص ٨٢.

١٥٨ إن اسم صور بالعبرية "صر" ويعني الصخرة.

أول ما تذكر النصوص التوراتية صور في يشـــوع ١٩: ٢٩، تصفها بالمدنية المحضة، ويتكرر هذا الوصف في سفر صموئيل الثاني ٢٤: ٧ بعبـــارة "حصن صور". وفي أشعيا ٢٣: ٤ يقول النص في معـــرض رثاء صور: "إخجلي يا صيدون لأن البحر حصن البحر نطق قـــائلاً..." وفي ٢٣: ١٤ يخاطب النص سفن ترشيش قائلاً: "ولولي يا سفن ترشيش لأن حصنك قد أخرب". أما سفر زكريا فيذكر في الاصحاح ٩: ٣ أن صور "قد بنت حصناً لنفسها وكومت الفضة كالتراب والذهب..." .

وفي معرض تنبؤاته على صور، يقول حزقيال في ٢٦: ٣ - ٤: "لذلك هكذا قال السيِّد الرب، هأنذا عليك يا صور فاصعد عليك أممـــاً كثيرة كما يعلي البحر أمواجه، فيخربون أسوار صور ويهدمون أبراجها، وأسحّي ترابها عنها وأصيّرها ضح الصخر"[١٥٩].

يستخلص من هذه النصوص أن صور التوراتية كانت حصنـــاً بحرياً منيعاً، أو كانت عند شاطئ صخري تحميها أبراج وأسوار عاليـــة منيعة. وعليه فإننا نعتقد أن صور هذه التي كانت في اليمن مدنية عريقـــة وعظيمة في عصر داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميـــلاد والقـــرون الثلاثة اللاحقة، كانت موجودة عند جزيرة كمران والرأس المقابل لهـــا، حيث إلى الجهة الشمالية يظهر خليج بحري نرجح أنه كان ميناء صـــور التوراتية.

---

[١٥٩] في الترجمة اليسوعية القديمة: "وأسحّي غبارها عنها وأجعلها صخراً عارياً".

قد يتساءل القارئ لماذا نفترض أن كمران هي التي كانت الموقع المحتمل لصور اليمنية التوراتية. إن هذا الافتراض يرتكز إلى النقاط التالية:

أ - ما يقوله سفر حزقيال ٢٧: ٣ مخاطباً صور: "أيتها الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب إلى جزائر كثيرة... تخومك في قلب البحار". فإلى جانب مجموعة جزر كمران (أو قمران)، هناك إلى الشمال مجموعة جزر فرسان ومجموعة الجزر عند شاطئ القنفذة. وإلى الغرب مقابل ساحل الحبشة والجنوب مجموعة جزر دهلك وزيلع ومجموعة جزر حنيش الكبرى وحنيش الصغرى وإلى الجنوب عند مضيق باب المندب وخليج عدن جزيرة بربرة وجزيرة سقطرى والجزر المحيطة بها. إن هذه الجزر مقابل الساحل اليمني تعدّ بالعشرات -إن لم نقل بالمئات- وهذا ما يفسر تعبير حزقيال "تاجرة الشعوب إلى جزائر كثيرة"[١٦٠].

---

[١٦٠] إننا نعتقد أن هذا الموقع لصور التوراتية يبدو أكثر صوابية، وبخاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما ذكره حزقيال عن جزائر كتيم (٢٧: ٦) وجزائر أليشه (٢٧: ٧) التي كانت تتاجر معها صور. وقد اعتبرت جزيرة قبرص في الوقت عينه جزائر كتيم وأليشه بدون أي مسوّغ، في حين أن النص التوراتي يشير إلى مجموعتين من الجزر. وفي الراجح أن الإشارة هنا ما هي إلاّ إلى جزر كمران وجزر فرسان. (أنظر بشأن قبرص المعتبرة كتيم وأليشه في الوقت نفسه،=

ب - ما ذكره كل من أشعيا وإرميا وحزقيال عن خراب صور ودمارها على يد نبوخذنصر ملك بابل الآتي من الشمال على رأس عشائر الشمال[161]. يقول أشعيا في الاصحاح ٢٣: "وحي من جهة صور. ولولي يا سفن ترشيش لأنها خربت حتى ليس بيت، حتى ليس مدخل. من أرض كتيم أعلن لهم. اندهشوا يا سكان الساحل... إخجلي يا صيدون لأن البحر حصن البحر نطق قائلاً: لم أتمخض ولا ولدت ولا ربيت شباباً ولا نشأت عذارى. عند وصول الخبر إلى مصر يتوجعون عند وصول خبر صور. إعبروا إلى ترشيش، ولولوا يا سكان الساحل... لا تعودين تفتخرين أيضاً أيتها المنهتكة العذراء بنت صيدون... ولولي يا سفن ترشيش لأن حصنك قد أخرب".

أما إرميا فيقول: "هأنذا أرسل فآخذ كل عشائر الشمال، يقول الرب، وإلى نبوخذراصر عبدي ملك بابل وآتي بهم على هذه الأرض وعلى كل سكانها وعلى كل الشعوب حواليها فأحرّمهم وأجعلهم دهشاً وصفيراً وخرباً أبدية" (٢٥: ٩). إن كأس السخط التي

-قاموس الكتاب المقدّس، ص ١١١، ٧٧٤. كذلك لبنان في الكتاب المقدّس، م. س، ص ١٢٢، هامش رقم ٥).

١٦١ إن تعبير عشائر الشمال وملك بابل الآتي من الشمال يشير كما نعتقد إلى صور اليمنية أكثر مما يشير إلى صور المتوسطية، حيث أرض بابل هي إلى الشرق تماماً ودون أدنى شك. وقد تناولنا هذه المسألة في فصل سابق في سياق الكلام على نهر فرت التوراتي. (أنظر ص ١٤١ وما بعدها).

سيسقيها نبوخذنصر (٢٥: ١٥) سوف تطال كل الشعوب، أورشليم ومدن يهوذا، وفرعون ملك مصر وعبيده ورؤساءه وكل شعبه. كل ملوك أرض عوص وأرض الفلسطين. كل ملوك صور وكل ملوك صيدون وملوك الجزائر التي في عبر البحر. وددان وتيماء وبوز وكل ملوك العرب. ثم يعود إرميا في الاصحاح ٤٧: ١- ٧ ليشدّد على خراب صور وصيدون وهلاكهما.

أما حزقيال فيخبرنا بكثير من التفصيل عن خراب صور ومصيرها الأليم، ومصير رئيس صور وموته. يقول في الاصحاح ٢٦: ٢- ٢١: "هأنذا عليك يا صور، فاصعد عليك أمماً كثيرة كما يعلي البحر أمواجه، فيخربون أسوار صور ويهدمون أبراجها، وأسحّي ترابها عنها وأصيرها ضح الصخر... وتكون غنيمة للأمم. وبناتها اللواتي في الحقل تقتل بالسيف... هأنذا أجلب على صور نبوخذ راصر ملك بابل من الشمال، ملك الملوك بخيل ومركبات وفرسان وجماعة وشعب كثير. فيقتل بناتك... ويبني عليك معاقل، ويبني عليك برجاً، ويقيم عليك مترسة، ويرفع عليك ترساً. ويجعل مجانق على أسوارك ويهدم أبراجك بأدوات حربه. ولكثرة خيله يغطّيك غبارها، من صوت الفرسان والعجلات والمركبات، تتزلزل أسوارك عند دخوله أبوابك كما تدخل مدينة مثغورة. بحوافر خيله يدوس كل شوارعك، يقتل شعبك بالسيف فتسقط إلى الأرض أنصاب عزك. وينهبون ثروتك ويغنمون تجارتك

ويهدّون أسوارك ويهدمون بيوتك، ويضعون حجارتك وخشبك وترابك في وسط المياه. وأبطل قول أغانيكِ وصوت أعوادك (كناراتك) لن يسمع بعد. وأصيّرك صخراً عارياً فتكونين مبسطاً للشباك ولا تبنين من بعد".

ويتابع حزقيال قائلاً: "أما تتزلزل الجزائر عند صوت سقوطك، عند صراخ الجرحى، عند وقوع القتلى في وسطكِ فينزل جميع رؤساء البحر عن كراسيّهم... ويرتعدون ويتحيّرون. ويرفعون عليك مرثاة ويقولون لك: كيف بدت يا معمورة من البحار، المدينة الشهيرة التي كانت قوية في البحر هي وسكانها الذين أوقعوا رعبهم على جميع جيرانها. الآن ترتعد الجزائر يوم سقوطك وتضطرب الجزائر التي في البحر لزوالك لأنه هكذا قال السيّد الرب. حين أصيرك مدينة خربة كالمدن غير المسكونة... فلا توجدين بعد إلى الأبد".

إن ما استعرضناه من بلاغات أشعيا وإرميا وحزقيال التي تتحدّث عن سقوط صور وخرابها ودمارها التام والنهائي بحيث لا تعود أبداً، وما أحدثه هذا من رعب على كل جزائر البحر ورؤسائها، نعتقد أنه يتعلّق بصور اليمنية التي زالت كمدينة بحرية عظيمة، أكثر مما يتعلّق بصور اللبنانية التي حاصرتها جيوش نبوخذ نصر مدّة ثلاث عشرة سنة

(٥٨٥-٥٧٢ ق.م) دون أن تهاجمها لانها عرضت عليهم استسلاماً جزئياً فرفع عنها الحصار مقابل جزية وعدد من وجهائها كرهائن[١٦٢].

إن كلاً من أشعيا وإرميا وحزقيال، يتحدّث عن زوال صور على يد نبوخذنصر ملك بابل الآتي من الشمال على رأس عشائر الشمال. ويجب ألاّ يعتقد القارئ أننا ننقل الأحداث من ساحل البحر المتوسط إلى ساحل البحر الأحمر. بل على العكس إننا نشدّد على التمييز بين ما حدث لصور اللبنانية على يد الجيوش الكلدانية والذي انتهى بالصلح، وما حدث لصور التوراتية -وفق ما تقوله التوراة- والذي أدّى إلى دمارها التام والنهائي. لقد نظر المؤرخون والباحثون التوراتيون إلى الأحداث التي تصفها التوراة، من زاوية جغرافية محدّدة، فتمّ أسقاط الوقائع التاريخية التوراتية على الأحداث والوقائع التي جرت عند الساحل الفينيقي خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد.

وعلى العموم فقد نظر إلى ما تقوله التوراة عن دمار صور وسيطرة جيوش نبوخذنصر على أرض مصر بعد ذلك، على أنه قد تمّ عند

---

١٦٢ المقصود هنا صور البحرية. أنظر تاريخ لبنان، لفيليب حتي، ص ١٨٢. وهو ينقل هذه المعلومات عن هيرودوت ويوسيفوس وسواهما. ويقول قاموس الكتاب المقدّس: لا نعرف إذا أخذ قسماً من المدينتين (البرية والبحرية) أم لم يأخذه وإذا كان قد احتلّ شيئاً فيكون ذلك القسم الساحلي. (راجع ص ٥٦٠، ويعتمد في معلوماته هذه على سفر حزقيال).

ساحل فينيقيا ومصر الفرعونية في خلال الفترة الممتدّة بين ٥٨٧ - ٥٦٧ق.م[١٦٣].

ج - ويقول حزقيال في الاصحاح التاسع والعشرين بأن أرض مصر ستكون دهشاً وخراباً وقفاراً مستوحشة خربة، "ومدنها بين المدن الخربة تكون مستوحشة أربعين سنة، وأشتت مصر بين الأمم وأذريها في الأراضي" (٢٩: ١٢). ثم يتابع قائلاً: "إن نبوخذ راصر ملك بابل استخدم جيشه خدمة شديدة على صور. كل رأس قرع وكل كتف تجرّدت، و لم تكن له ولا لجيشه أجرة من صور... هأنذا أبذل أرض مصر لنبوخذراصر ملك بابل فيأخذ ثروتها ويغنم غنيمتها وينهب نهبها فتكون أجرة لجيشه. قد أعطيته أرض مصر..." (٢٩: ١٨ - ٢٠)[١٦٤].

---

[١٦٣] يرى قاموس الكتاب المقدّس أن نبوخذنصر قام بعد حصاره لصور اللبنانية بغزوة لأرض مصر الفرعونية عام ٥٦٧ق.م، ويستند في هذه الرواية إلى ما ورد عند حزقيال ٢٩: ١٧-٢٠. أنظر كذلك لبنان في الكتاب المقدّس، م. س، ص ١٣٢.

[١٦٤] من الأهميّة بمكان أن تشير إلى أن النبي حزقيال كان معاصراً لنبوخذنصر الكلداني، وقد سبي إلى بابل عام ٥٩٨ ق.م. ومن الراجح أنه كتب السفر هناك، فكان إذاً معاصراً للأحداث اللاحقة خلال الثلاثين سنة التي تلت جلاءه عن أورشليم. فقد عاصر سقوط مملكة يهوذا وسبي أهلها عام ٥٨٧ق.م. إن ما يسجّله هنا عن اجتياح نبوخذنصر لأرض مصر لم يحصل في مصر الفرعونية. فليس هناك في المدونات التاريخية أية إشارة إلى مثل هذا الاجتياح. وقد ذكر=

وإذا ما أخذنا بالحسبان أن صور اللبنانية دفعت لجيوش نبوخذنصر الكلداني جزية لقاء رفع الحصار وعقد الصلح، فمن البديهي أن ينظر إلى ما يقوله النص التوراتي (حزقيال ٢٩) من أن ملك بابل لم يأخذ أجرة من صور التوراتية[١٦٥]، بل أخذ أجرته أرض مصر وثروة مصر غنيمة ونهباً، نقول من البديهي أن ينظر إلى هذا الأمر على أنه لم يتم عند ساحل فينيقيا ومصر الفرعونية. فبعد معركة العام ٦٠٥ ق.م بين الجيوش الكلدانية والجيش المصري التي هزم فيها الفرعون نخو فتراجع إلى مصر، تقدمت جيوش نبوخذنصر إلى الساحل الفلسطيني لكنها لم تتقدم نحو مصر بالذات، فلم يخبرنا أحد من المؤرخين القدماء عن حصول مثل هذا التقدم. وحتى خلال الأحداث التي حصلت بين عامي ٥٨٧-٥٦٧ ق.م،

-إرميا (٤٣: ٨ - ١٢) عن غزو نبوخذ نصر كذلك لأرض مصر التي هرب إليها النبي مع الذين بقيوا في أرض يهوذا بعد السبي خوفاً من انتقام نبوزردان رئيس جيش الكلدانيين بسبب مقتل جدليا الذي وكله على الباقين في يهوذا باسم ملك بابل. لقد كان النبي إرميا معاصراً إذاً للأحداث خلال الربع الأول من القرن السادس قبل الميلاد مثل النبي حزقيال، فالاثنان يسجّلان أحداثاً عايشاها وتابعاها سنة فسنة.

١٦٥ يقرّ الباحثون التوراتيون بأن صور اللبنانية لم تدمر على يد نبوخذ نصر الكلداني. وما يقوله النص التوراتي عند أشعيا وإرميا وحزقيال عن خراب صور التوراتية على يد نبوخذنصر قد تمّ في نظرهم بعد ثلاثة قرون على يد الاسكندر المقدوني؟ (انظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٥٦٠ - ٥٦١. كذلك لبنان في الكتاب المقدّس، م. س، ص ١٣٢).

لم تتقدّم جيوش نبوخذ نصر باتجاه مصر الفرعونية، بل اكتفت بـــاحتلال فينيقيا وتدمير مملكة يهوذا[166]. فبناءً على ما تقدّم نرى بأن مـــا تقولـــه التوراة عن دمار صور واحتلال الجيوش الكلدانية الآتية من الشمال أرض مصر، إنما قد تمّ في غرب شبه الجزيرة العربية حتى مشارف اليمن.

د - وبعد تدمير صور التوراتية اليمنية على يد نبوخذ نصر في خلال غزوته لليمن التي يتحدّث عنها الاخباريون العرب[167]، زالت هذه المدينة البحرية العريقة من الوجود عند رأس كمران واستمرت مدينة برية مقابل الموقع القديم باسمها التوراتي "صور"، وهي بلدة من أعمال شهارة غربي حجة. وفي الراجح أن أهلها انتقلوا من موقعهم الأساســـي عنـــد كمران إلى البر واستمروا هناك بعد أن عمروا مدينة بديلة عن صور التي دُمّرت، أو كان لهم في الأساس مدينتان بحرية وبرية.

---

١٦٦ Voir Encyclopaedia universalis, 1990, T3, p. 704. C3.

١٦٧ سبق وأشرنا إلى غزوة نبوخذ نصر لغرب الجزيرة العربية (تهامـــة وحضـــور اليمن)، أنظر ١١٣. وتجدر الإشارة كذلك إلى أننا سبق وحللنا تفصيلياً مسألة أرض عوص وبوز اللتين أشار إرميا إلى أن سخط نبوخذ نصر سيحل عليهما (أنظر ص ٩٤). أنظر كذلك ص ٦٤ وما بعدها بشـــأن مصـــر التوراتيـــة (مصري).

إن كمران التي كانت كما نفترض صور التوراتية، هي كما يقول الهمداني "حصن لمن ملك يماني تهامة."[168] وصور اليمنية التي سبقت سبأ، كانت تمتلك تهامة اليمن وحصنها في أوج عزّها وعظمتها.

ثم إن التفاصيل التي يعطينا إيّاها حزقيال في الاصحاح السابع والعشرين عن تجارة صور، سواء لجهة البضائع أو الأقوام والبلدان التي كانت تتاجر معها، تشكل دليلاً إضافياً على أنها كانت في اليمن.

فمن البضائع التجارية التي كانت ترد إلى صور إما للاستهلاك أو للاتّجار بها، نجد العاج المطعم في البقس من جزائر كتيم[169]، والكتان المطرّز، والاسمنجوني والارجوان، والفضة والحديد والقصدير والرصاص والنحاس، والخيل والفرسان والبغال، وقرون العاج والأبنوس من ددان[170]، والبهرمان والأرجوان والوشي والكتان والمرجان والياقوت،

---

[168] أنظر صفة جزيرة العرب، ص ٦٨.

[169] من المستبعد أن يكون العاج المطعّم بخشب البقس الآتي إلى صور التوراتية، مصدره جزيرة قبرص. وفي الراجح أن مصدره إحدى الجزر في البحر الأحمر مقابل اليمن والقريبة من القرن الأفريقي حيث المصدر الحقيقيّ للعاج.

[170] يرى الباحثون التوراتيون أن ددان الواردة في حزقيال ٢٧: ١٥ هي غيرها الواردة في ٢٧: ٢٠. فالأولى ربما كانت جزيرة رودس لورودها في السبعينية بصيغة "رودان"، والثانية ربما كانت بجوار تبوك في الشمال الغربي للجزيرة العربية عند ساحل البحر الأحمر. وفي الحالتين لا نعتقد أنها مصدر قرون-

والحنطة والحلاوى والعسل والزيت والبلسان، والخمر والصوف، والسليخة وقصب الذريرة[171]، وكل أنواع الطيوب والحجر الكريم والذهب.

ويذكر لنا صاحب كتاب الطواف حول البحر الأريتري (٥٠- ٦٠م) ما كان يرد إلى سوق موزا (وهي مخا الحالية) في اليمن من البضائع، وهي التي أخذت في ما نعتقد مكان صور اليمنية بعد خرابها[172]. وهذه البضائع تشبه إلى حدّ كبير -إن لم تكن هي ذاتها- البضائع التي كانت ترد إلى صور التوراتية. يقول الكاتب: "كان يردها من البضائع أنواع الأقمشة الأُرجوانية، ناعمها وخشنها، وألبسة خيطت على الزي العربي، ذات أردان قد تكون بسيطة أو عادية أو مطرّزة أو

=العاج والأبنوس. وسوف نعود إلى هذه المسألة في سياق البحث عن الأماكن والاقوام التي كانت تتاجر معها صور.

١٧١ لا نعتقد أن السليخة (أو القدّة) وقصب الذريرة كان مصدرهما دان وياوان (المعتبرة اليونان). فقد أشار إرميا إلى قصب الذريرة الذي كان يأتي من أرض بعيدة. وهذا القصب الذي يستعمل لاستخراج الطيب مصدره بلاد فارس. وفي الراجح كان يؤتى به من الخليج الفارسي من الأبلة) أو عو بالبت، عوبال التوراتية). أنظر تاريخ العرب المطول لفيليب حتي، ص ٨٢.

١٧٢ تقع موزا أو مخا الحالية إلى الجنوب من كمران (رأس البياض حالياً) الموقع المفترض لصور التوراتية. وكانوا يبنون فيها السفن الكبرى لقطع المحيط الهندي (أنظر العرب قبل الاسلام، لجرجي زيدان، ص ١٦٣).

موشاة بالذهب. والزعفران وقصب الذريرة وأنسجة القطن الشفافة والأعبئة والأحرمة -وهي ليست كثيرة- بعضها بسيط وبعضها مصنوع على الطريقة البلدية. ومناطق ذات ألوان عديدة، ودهون عطرية بكميات معتدلة، والخمر، وقليل من الحنطة، لأن البلاد لا تنتج منها إلاّ اليسير، على أنها تفيض خمراً... وتصدر البلاد حاصلات أرضها، فاخر المرّ والصمغ المعيني والرخام الليّن (المرمر) وسائر ما أسلفنا القول فيه، وذلك من عوباليت وأقصى الساحل"[173].

أما البلدان والأقوام والشعوب والممالك والقبائل التي كانت تتاجر مع صور، فإننا سوف ننظر إليها في إطار جغرافية جنوب الجزيرة العربية والقرن الأفريقي والخليج الفارسي. إن البضائع التي كانت ترد إلى موزا اليمنية، كانت مرتبطة بالأسواق التجارية في جنوب الجزيرة، وهذا تماماً ما نراه بالنسبة إلى صور التوراتية التي كانت تردها البضائع عينها. فلا نعتقد البتة أن قرون العاج والأبنوس وقصب الذريرة كان مصدرها اليونان، كما لا نعتقد أيضاً أن الفضة والحديد والقصدير والرصاص التي كانت تجلب من ترشيش، مصدرها إسبانيا. بل إن مصدرها جنوب

---

[173] أنظر تاريخ العرب، م. س، ص ٨١ - ٨٢، أما بشأن عوباليت فهي عينها الأبلّة التي ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب، ص ٤٧، ١٦٩. وفي الطبعة التي بحوزتنا، ص ٥٧. وهي بلدة على شاطئ البصرة تلاشت بعد قيام البصرة أيام عمر بن الخطاب وطغيان شهرتها على الأبلّة.

الجزيرة العربية أو أفريقيا الشرقية عند الصومال والحبشة. ولا نعتقد إطلاقاً أن حنطة منّيت أو البلسان الذي كانت تتاجر به يهوذا مع صور، مصدرهما شرقي الأردن وفلسطين[١٧٤]، بل مصدرهما الحقيقي اليمن. وسوف نورد في ما يلي أسماء الأماكن والأقوام الباقية على قيد الوجود بأسمائها التوراتية عينها:

١ - دان وياوان قدموا غزلاً في أسواقك. حديد مشغول وسليخة وقصب الذريرة كانت في سوقك. ويرى البعض أن ياوان هي بلاد اليونان وقد ألمحنا إلى هذا الأمر أعلاه، أما دان فربما كانت مجاورة لليونان لورودها مترافقة مع ياوان في حزقيال ٢٧: ١٩. وإذا كان المقصود بها دان المعروفة في أسفار التوراة فتكون بانياس في جنوب سوريا. هذا ما يقوله أحد الباحثين التوراتيين[١٧٥]. فمصدر السليخة وقصب الذريرة كان إذاً حسب رأيه إما اليونان أو قريباً منها، وإما بانياس في جنوب سوريا؟!

أما قاموس الكتاب المقدّس فيرى أن دان الواردة في حزقيال ٢٧: ١٩ ترد في بعض الترجمات "ودان"، وهذا المكان ربما يشير إلى "ودان" بين مكة والمدينة[١٧٦]. وقد ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب

---

١٧٤ أنظر ما يقوله كتاب "لبنان في الكتاب المقدّس"، ص ١٢٥، بهذا الشأن.

١٧٥ أنظر لبنان في الكتاب المقدّس، م. س، ص ١٢٥.

١٧٦ أنظر ص ٣٥٧ و١٠٢٢.

كموضع من منازل جهينة، ويأتي مترافقاً مع العيص التي رجحنا في القسم الأول من دراستنا أن تكون أرض عوص الواردة في سفر أيوب[١٧٧].

أما ياوان (أو ياون) فيرى القاموس أنهـــا قبيلـــة عربيـــة أو مستعمرة يونانية في بلاد العرب (اليمن) [١٧٨]. إن تحديد قاموس الكتـــاب المقدّس لياون لا يتعارض مع نظرتنا الجغرافية لصور التوراتية اليمنية. ومن الممكن أن تكون ياون حزقيال ٢٧، يوان البلدة المذكـــورة في معجـــم البلدان، وهي من أعمال بلاد فارس[١٧٩].

---

١٧٧ الصفة، ص ٣٢١. وأرض عوص وردت عند إرميا ٢٥: ٢٠ في مجال الكـــلام على سخط نبوخذنصر الذي سيحل على صور التوراتية وكلّ الأمم المجـــاورة لها. (أنظر ما سبق الإشارة إليه، ص ٢٤٩، ٢٥٠).

١٧٨ أنظر ص ١٠٥١. هذا ويرى القاموس أن ياون الواردة في حزقيـــال ٢٧: ١٣ مترافقة مع توبال وماشك، والواردة في أشعيا ٦٦: ١٩ مترافقة مع ترشـــيش وفول ولود وتوبال والجزائر البعيدة، والواردة أيضاً في زكريا ٩: ١٣. إنما يراد بها بلاد اليونان. لكن تحليلنا السابق لترشيش، حيث رأينا بشكل قاطع أنها لم تكن في إسبانيا بل في جنوب الجزيرة العربية، لا يدعم كثيراً اعتبار ياون بلاد اليونان.

١٧٩ يرد عند حزقيال ٢٧: ١٩ أن ياوان كانت مصدراً للسليخة وقصب الذريـــرة (ومصدره بلاد فارس والهند وبعض مناطق في الجزيرة العربية عنـــد الخليـــج الفارسي). ويذكر إرميا ٦: ٢٠ أن قصب الذريرة كان يأتي من أرض بعيدة. (أنظر معجم البلدان، ج٥، ص ٤٥٢/.. كذلك قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٣١).

وفي الترجمة اليسوعية (١٩٨٩) وردت الفقرة في حزقيال ٢٧: ١٩ على الشكل التالي: "وكانت ويدان وياوان تقايضان سلعك من أوزال بالحديد المطرق والسليخة وقصب الذريرة". وتعلق الترجمة في شرحها على هذه الفقرة قائلة أن ويدان (أو ودان) هي تصويب بدلاً من دان، وقد تكون ويدان إسم قبيلة عربية مغمورة. أما أوزال فترى أنها إسم قبيلة عربية مثل شبأ ورعمة، وتضيف قائلة: ويبدو أن هذا الاسم يدل على إحدى المناطق"[180].

إن ورود ذكر أوزال في ترجمة حزقيال ٢٧: ١٩، حسب الترجمة اليسوعية (١٩٨٩) وذلك اعتماداً على النص اليوناني (السبعينية)، يؤكد أن ودان وياوان اللذين يحملان سلعاً من أوزال للمقايضة مع صور، هما في الجزيرة العربية، سواء عند مكة أو في اليمن، فلا فرق طالما أن النتيجة المنطقية لذلك هي أن ياوان ليست بلاد اليونان على الاطلاق. نقول ذلك لأن أوزال (أو أزال) هي الاسم القديم لصنعاء عاصمة اليمن الحديث. ويقول الهمداني في الصفة أن صنعاء كان اسمها في الجاهلية أزال، ويعلق المحقق محمد بن علي الاكوع الحوالي قائلاً: ولا زالت تسمى صنعاء بازال إلى يوم الناس هذا[181].

---

[180] أنظر الترجمة اليسوعية (ط ١٩٨٩)، ص ١٨١٤.

[181] الصفة، ص ٨١. ويضيف المحقق، قال الشاعر:

لي في أزال وديعة خلفتها أودعتها يوم الوداع مودعي-

٢ - توبال وماشك: وفي الراجح أنهما في اليمن، توبال هي تبالة التي ذكرت في صفة جزيرة العرب، وفي معجم البلدان[١٨٢]، وهي موضعان، الأول في اليمن والثاني يعرف بتبالة الحجاج بن يوسف. وهي بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن قرب جرش. وقد أسلم أهل تبالة وجرش من غير حرب فأقرّهما الرسول في أيدي أهلهما على ما أسلموا عليه وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً، واشترط عليهم ضيافة المسلمين. وقد تمّ فتحها (أي تبالة) في السنة العاشرة للهجرة (٦٣١م). وما شك هي إما المشوكة قلعة باليمن في جبل قلحاح[١٨٣] أو المشكان (ويقال له أيضاً المشكا) الذي ذكره الهمداني في الصفة[١٨٤]، وهو جبل مستطيل فيه أودية وقرى.

-وأظنها لا بل يقيني أنها قلبي لأني لم أجد قلبي معي

وقد جاء ذكرها مصرحاً به في المسند الذي عثر عليه في قرية حاز، كما أن الأمام نشوان بن سعيد قال: إنها تنسب إلى أزال بن يقطن: قحطان بن عابر بن شالخ. وأزال أيضاً مقاطعة من آل عمار من ذي رعين. وقد سبق وتناولنا مسألة موطن اليقطانيين (بني يقطان) في القسم الأول من هذه الدراسة، وذكرنا أوزال التي هي صنعاء.

١٨٢ الصفة، ص ٦٢ و١٦٧، والمعجم ج٢، ص ٩.

١٨٣ معجم البلدان، ج٥، ص ١٣٦.

١٨٤ الصفة، ص ١٩٩. وقال الشاعر:

جعلن عرادا باليمين عواديا وعن يسر مشكان ذات الفدافد.

٣ - ددان: يرد هذا الاسم مرتين في حزقيال ٢٧، ففي ٢٧: ١٥ يترافق مع جزائر البحر الكثيرة التي كانت تتاجر مع صور. إن ددان هذه وجزر البحر[١٨٥] كانت تتاجر بقرون العاج وخشب الأبنوس الاسود الصلب. أما ددان الواردة في ٢٧: ٢٠ فكانت تتاجر بطنافس للركوب. ويرى كتاب "لبنان في الكتاب المقدّس" أن الأولى هي جزيرة رودس بين تركيا واليونان[١٨٦]. وقد استبعدنا قبل قليل أن تكون رودس أو اليونان مصدراً لمثل هذه البضاعة التي كانت ترد إلى صور التوراتية. وانطلاقاً من تحليلنا السابق الذي أثبتنا فيه أن صور التوراة هي على ساحل البحر الأحمر، فإننا نرى أن ددان هذه هي على الأرجح في موضع ما من الجزيرة العربية. وقد كانت متحالفة تجارياً مع شبأ وجزائر البحر للاتّجار بالعاج والأبنوس من القرن الأفريقي عند الحبشة والصومال بنوع خاص. ويذكر جرجي زيدان في كتابه "العرب قبل الاسلام"[١٨٧] أن تجارة بلاد اليمن مع أمم العالم القديم كانت ترتكز على أربعة مصادر رئيسية هي: حاصلات اليمن نفسها، والسلع الآتية من الهند، ومن الخليج الفارسي والبحرين، ومن شواطئ أفريقيا (العاج وخشب الأبنوس). وتأتي ددان في حزقيال ٣٨: ١٣ مترافقة مع ترشيش وشبأ، وفي تكوين ١٠: ٧ شبأ

---

[١٨٥] أنظر ما ورد ص ٢٤٨ أعلاه بشأن جزائر البحر الأحمر.

[١٨٦] أنظر ص ١٢٤ - ١٢٥.

[١٨٧] أنظر ص ١٦٣.

ودان من بني رعمة. وفي أشعيا ٢١: ١٣ الددانيون هم من بلاد العرب وبالقرب من تيماء، وفي إرميا ٢٥: ٢٣ تترافق ددان مع تيماء وبوز[١٨٨] وكل ملوك العرب. ويرجح قاموس الكتاب المقدّس أن يكون موضع ددان هذا في شمال الحجاز قرب تيماء حيث ددان التي تسمى اليوم العلا[١٨٩]. ولكننا نرجح أن يكون موضع "ددن" (نفس الكلمة العبرية) الذي ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان[١٩٠] بالترافق مع أراك، وهو موقع قرب مكة.

٤ - منّيت التي كانت مصدر الحنطة التي يجلبها بنو يهوذا وإسرائيل إلى صور للتجارة. وقد وردت الكلمة في حزقيال ٢٧: ١٧ وفي قضاة ١١: ٣٣ حيث هي قرية تخص العمّونيين. وقد اعتبرها صاحب كتاب "لبنان في الكتاب المقدّس "[١٩١]"مدينة واقعة قرب عمان شرقي الأردن.

---

١٨٨ أنظر بشأن بوز وتيماء القسم الأول من الدراسة، ص ٩٤.

١٨٩ أنظر ص ٣٧٠.

١٩٠ أنظر ج ٢، ص ٤٤٦ وج١ ص ١٣٥.

١٩١ أنظر ص ١٢٥ من هذا الكتاب (مرجع سابق).

ويذكر جرجي زيدان في كتابه "العرب قبل الاسلام"[١٩٢]. أن أصل لفظ أو كلمة اليمن هو "يمنات" أو "يمنت". ونرجح أن تكون منيت التوراة التي لبني عمون هي "يمنت". وقد سبق ومرّ معنا أن العمونيين كانوا في اليمن قرب عراعر[١٩٣]. ويذكر الهمداني في الصفة أنه رأى في جبل مسور خولان نوعاً من البرّ (الحنطة) أتى عليه ثلاثون سنة و لم يخنز أو يتغيّر، وهو من غرائب الحبوب باليمن[١٩٤]. وقد ذكر صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريثري أن بلاد اليمن تنتج القليل من الحنطة، ولكنها تفيض خمراً[١٩٥]، ونرجح أن يكون خمر حلبون المذكور في حزقيال ٢٧: ١٨ هو خمر اليمن. وقد ذكر ياقوت موضعاً باليمن قرب نجران يقال له حلبان[١٩٦].

٥ - شبأ ورعمة: وكان بنوهما يتاجرون مع صور بأفخر أنواع الطيوب، وبالحجارة الكريمة والذهب. ويرى كتاب لبنان في

---

[١٩٢] أنظر ص١٠٧. ويذكر جرجي زيدان في كتابه هذا (ص٢٣) أن بعثة أوروبية برئاسة "نيوهر" جاءت اليمن عام ١٧٦٢م لتحقيق بعض المسائل المتعلّقة بالتوراة من حيث الجغرافية وعادات الشرق والمحصولات الوارد ذكرها فيها (التوراة).

[١٩٣] أنظر ص ٨٣ و١٨٩ من هذه الدراسة.

[١٩٤] الصفة، ص ٢٣٥، ٣٥٨.

[١٩٥] أنظر ص ٢٥٧ أعلاه.

[١٩٦] معجم البلدان، ج٢، ص ٢٨١.

الكتاب المقدّس أن الأولى هي سبأ اليمنية والثانية تقع شمال غرب الجزيرة العربية[١٩٧]. لكن قاموس الكتاب المقدّس يرى أن رعمة تقع كذلك في الجنوب الغربي من بلاد العرب (أي في اليمن)[١٩٨]، ولهذا جاءت مترافقة مع سبأ. وقد ألمحنا في القسم الأول من هذه الدراسة إلى احتمال أن تكون شبأ غير سبأ الواردة في مواضع أخرى من التوراة. فربما كانت شبأ "شباه" أو "شبوة" التي كانت مركزاً لتجارة اللّبان في العصر الحضاري لليمن[١٩٩]. وشبأ من أبناء رعمة في تكوين ١٠: ٧، أما رعمة فهي من القبائل التي تنتسب إلى بني كوش مع سبأ وحويلة وسبتة[٢٠٠].

٦ - حران وكنة وعدن، تجار شبا وأشور وكلمد تجارك (حزقيال ٢٧: ٢٣). ونرى أن حران وأشور الواردتين هنا ليستا بلاد

---

[١٩٧] أنظر ص ١٢٥ (مرجع سابق).

[١٩٨] قاموس الكتاب المقدّس، ص ٤٠٦.

[١٩٩] راجع القسم الأول من هذه الدراسة، ص ٥٧ - ٥٨.

[٢٠٠] يذكر الجغرافي اليوناني سترابون نقلاً عن مصادر أقدم، من دول اليمن: أهل معين وعاصمتهم قرنا، وسبأ وعاصمتهم مأرب، وقتبان وعاصمتهم تمنة، وحضرموت وعاصمتهم سبتة. (أنظر تاريخ اللغات السامية، مرجع سابق، ص٢٣٦). قارن كذلك "تمنة" الواردة هنا مع "تمنة" الواردة في تكوين ٣٨: ١٢ - ١٤ ويشوع ١٥: ١٠، ٥٧ و١٩: ٤٣ وقضاة ١٤: ٢ وأخبار الأيام الثاني ٢٨: ١٨. ويذكر جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الاسلام (ص ١٤٧) نقلاً عن بلينوس أن تمنه (أو تمناء) كان بها ٦٥ هيكلاً وشبوه (أو شباه) ٦٠ هيكلاً.

أشور في شمال ما بين النهرين وحران الواقعة شمالاً كذلك. وقد اعتبرت حران (في العبرية حاران أو حرن بدون تصويت) التي تغرب فيها تارح وابراهيم مدّة من الزمن، ومات تارح هناك (تكوين١١: ٣١ و١٢: ٤-٥)، وسكن فيها لابان خال يعقوب، وإليها ذهب يعقوب وأمضى فيها عشرين سنة (تكوين ٢٧: ٤٣ و٢٨: ١٠ و٢٩: ٤، ٥). نقول لقد اعتبرت حاران هذه مدينة حرّان في شمال العراق والتي كانت مقراً للصابئة ومركزاً لمدرسة شهيرة في العصر الهلليني، وبقيت حتى العصر الاسلامي. لكن هل حرّان هذه هي حاران ابراهيم ويعقوب ولابان وتارح؟ إذا راجعنا النصوص التوراتية في تكوين ٣١ نتبيّن استحالة ذلك. فعندما قرر يعقوب ترك حاران والعودة إلى أرض أبيه في كنعان، بعث يطلب نساءه وبنيه إلى البرية حيث كان يرعى غنمه، "وخاتل يعقوب لابان الآرامي و لم يخبره بفراره، وهرب بجميع ما له وقام فعبر النهر واستقبل جبل جلعاد". وقد اعتبر النهر الذي عبره يعقوب ليصل مباشرة إلى جلعاد، نهر الفرات العراقي، في حين أن جلعاد هي شرقي الأردن. وأخبر لابان في اليوم الثالث "أن يعقوب قد فرّ، فمضى يتعقبه مسيرة سبعة أيام فأدركه في جبل جلعاد". فهل يعقل أن يقطع لابان المسافة بين حرّان في شمال العراق وشرقي الأردن في سبعة أيام، والمسافة فقط بين

دمشق وحران ٢٨٠ ميلاً، وإذا احتسبت المسافة بين دمشق والأردن فتصبح مجمل المسافة بحدود ٥٥٠ - ٦٠٠ كلم كحد أدنى؟[٢٠١].

هناك تجربة فريدة قام بها خالد بن الوليد في عصر الفتوحات، فقد قطع المسافة بين الكوفة في العراق والشام في ثمانية عشر يوماً عبر الصحراء[٢٠٢]، وهذه المسافة تقدر بحوالي ٥٥٠ كلم كذلك، فيكون خالد قد سار بمعدل ٣٠ كلم في اليوم الواحد وهذا أقصى ما يمكن قطعه.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن لابان ويعقوب أقاما نصباً على رأس جلعاد ليكون شاهداً وفاصلاً بينهما، فإن حران وفدان أرام ليستا بمثل هذا البعد عن أرض كنعان، ولا النهر الفاصل الذي عبره يعقوب هو نهر الفرات.

إن حران المقصودة في حزقيال ٢٧ هي حيران في اليمن، وهو وادي مشهور مآتيه من أسافل حجور وأدانيه في بطن تهامة ويفيض إلى ميناء ميدي[٢٠٣].

---

٢٠١ أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٢٨١. فمثل هذه المسافة تحتاج من عشرين إلى ثلاثين يوماً. (أنظر ما سبق الإشارة إليه ص ١٧٣، هامش رقم ٣٤).

٢٠٢ أنظر تاريخ العرب المطول، لفيليب حتي، ص ٢٠٥.

٢٠٣ صفة جزيرة العرب، ص ١٢٤. ويذكر الهمداني أيضاً حربة حران (الكلمة العبرية ذاتها) بشراد والحضر (ص٣٦١)، وبني حيران بن همدان (ص١٥١)-

وكنة موضع ذكره الهمداني من أوطان بلحارث، ويقول محقق الصفة أنه ما زال موجوداً[٢٠٤]. وعدن أو عادان بغنى عن التحديد، وفي اليمن أكثر من عدن. وربما كانت عدن المقصودة في حزقيال قرية قرب مدينة لاعة في جبل صبر من أعمال صنعاء يقال لها "عدن لاعة[٢٠٥]"، وهذه قرية من وادي حيران وجيزان باليمن[٢٠٦].

٧ - جبل: وردت مرّة واحدة في التوراة، في حزقيال ٢٧: ٩، وذلك للاشارة إلى أن أهل جبل وحكماءها كانوا في صور عمالاً مهرة في ترميم وإصلاح السفن المثقوبة والمكسّرة. فكانوا "جلافطة الخصاص" الذين يلصقون ألواح السفينة بعضها إلى بعض بالقار أو الزفت. ولا نعتقد البتة أن الاشارة هنا إلى جبيل اللبنانية التي كانت في تلك الحقبة مدينة بحرية عريقة لها علاقاتها التجارية مع مصر الفرعونية.

-وحوران بلد كبير عامر بالأهل والسكن يقع في الجنوب الغربي من وادي حريب (ص ١٩٧).

٢٠٤ الصفة، ص ٣١٨. وكنا أيضاً موضع آخر لبني سعد من بلد خولان (ص ٢٥٠)، وقنة موضع قرب كنا (ص ٣١٨). هذا ويرى جرجي زيدان في كتابه "العرب قبل الاسلام" (ص ١٦٣ - ١٦٤) أن كنّة الواردة في حزقيال ٢٧ هي قانا (أو حصن غراب) في اليمن. وهي إلى جانب عدن وظفار ومسقط من الفرض التجارية المشهورة في اليمن.

٢٠٥ معجم البلدان، ج٤، ص ٨٩.

٢٠٦ قارن ما ورد في أشعيا ٣٧: ١٢ وملوك ثاني ١٩: ١٢.

وهذا مثبت في رسائل تل العمارنة. فلماذا يكون أهلها جلافطة في صور، وهي بحاجة لعمالها المهرة في صناعة السفن.

ويرى البعض أن ما ورد في يشوع ١٣: ٥ عن أرض الجبليين، وفي الملوك الأول ٥: ١٨ عن الجبليين الذين هيأوا الخشب لتأمين حاجة الملك سليمان في بناء الهيكل وبيته الخاص، إنما يشير كذلك إلى جبيل اللبنانية. لكن هاتين الاشارتين لا تتعلقان بجبل الواردة في حزقيال ٢٧، واعتبارهما كذلك غير مثبت، بل على العكس، فهما تشيران إلى سكان الجبل الماهرين بقطع الأخشاب لا إلى سكان الساحل.

وجبل التوراتية التي كان أهلها جلافطة في صور، ما زالت موجودة في اليمن، حيث يوجد أكثر من موضع يحمل اسم جبل وجبلة. والمرجح أن تكون جبلة قرب مدينة تعِز[٢٠٧].

ونختتم هذا الفصل بالتوقف قليلاً عند الاصحاح الثامن والعشرين من سفر حزقيال، حيث يرد الكلام على ملك صور التوراتية، يقول النص: "كنت في عدنٍ جنة الله وكان كل حجر كريم كساءً لك من الياقوت الأحمر والياقوت الأصفر والماس والزبرجد والجزع واليشب واللازورد والبهرمان والزمرد". ويتابع النص قائلاً: "كنت في جبل الله المقدس وتمشيت في وسط حجارة النار" (٢٨: ١٣ - ١٤).

---

[٢٠٧] أنظر صفة جزيرة العرب، ص ٢١١، ٢١٥. ومعجم البلدان، ج٢، ص ١٠٦.

وهنا أيضاً، ليست الاشارة إلى صور اللبنانية ولا إلى ملكها، فليس هناك أي جبل مقدّس أو حجارة نار بقربها (أي جبل بركانيّ). ولا تتميز البتة بصنعة صياغة الجواهر وترصيعها كما ذكر في ٢٨: ١٣. فصور التوراتية أنشأوا فيها هذه الصناعة يوم خلقت. إننا نعتقد أن هذه الجواهر كانت ترد إلى صور التوراتية من اليمن بنوع خاص حيث معادن الجوهر مشهورة هناك، فمعادن البقران والعقيق والجزع في معدن الرضراض شرقي مأرب، وظفار مشهورة بالجزع الظفاري[٢٠٨]. وفي ٢٧: ٢٢ تجار شبأ ورعمة هم الذين يجلبون الحجارة الكريمة وأنواع الطيوب إلى صور التوراتية.

أما جبل النار الذي تمشى فيه رئيس صور، فهو جبل ألهان باليمن إلى الجنوب الغربي من صنعاء وإلى الجنوب الشرقي من كمران الموقع المقترح لصور التوراتية. وفي منطقة الهان بالذات كانت "نار اليمن" البركانية التي يتردد ذكرها في كتب الأخبار عند العرب[٢٠٩]. فليس مستغرباً إذن أن يتحدث سفر حزقيال عن رئيس صور الذي تمشى في وسط حجارة النار، طالما هو في مكان قريب من بركان جبل ألهان. أما

---

٢٠٨ أنظر القسم الأول من الدراسة، ص ٥١ وما بعدها.

٢٠٩ ذكر جبل الهان في صفة جزيرة العرب، ص ٢١٣، وفي معجم البلدان، ج١، ص ٢٤٧ - ٢٤٨. أنظر كذلك "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، م. س.، ص٢١٣.

إذا قرئت جملة حزقيال ٢٨: ١٤ ربطاً بصور اللبنانية، فلا تعدو كونها جملة شاعرية يصعب فهمها كما لو قرئت في إطارها الجغرافي الطبيعي...

٦- صيدون وصرفة وإيليا النبي

ذكرت صيدون في التوراة ثمانية وثلاثين مرّة[٢١٠]. وقد وصفت في أكثر من موضع بالمدينة العظيمة. وفي سفر يشوع ١١: ٨ يرد ذكرها حيث وصل إليها يشوع في تعقبه للملوك الذين هزمهم في ميروم. وفي ١٣: ٤ يأتي ذكر معارة الصيدونيين التي في التيمن. وقد سبق وتناولنا هذه المسألة في فصل سابق[٢١١]. أما هنا فإننا نتناول صيدون التوراتية من جوانب أخرى لم ترد في الفصول السابقة.

إن صيدون التوراتية أقرب إلى أرض إسرائيل من صور، وهذا بخلاف صور وصيدون اللبنانيتين. ونستدل على هذا الواقع من قراءة يشوع ١٩: ٢٨ وما بعدها، حيث يصل تخم أشير إلى صيدون العظيمة، ثم يعطف التخم إلى الرامة وإلى المدينة المحصنة صور، ثم إلى حوصة حيث يصل إلى البحر في كورة أكزيب. ونستنتج هنا أن تخم أشير يمر بصيدون قبل أن يصل إلى المدينة المحصنة صور التي عند البحر. فهل صيدون كانت

---

[٢١٠] ذكرت في العهد الجديد ١٢ مرة، وهي صيدون اللبنانية. أما صيدون التوراتية فهي حصراً التي ذكرت في العهد القديم.

[٢١١] أنظر الفصل الأول من القسم الثاني.

عند البحر أم مدينة جبلية؟ وهل صور التوراتية كانت داخلة في تخم أشير أم هي على حدوده؟ سوف نتناول السؤال الثاني أولاً:

في سفر القضاة ١: ٣١ يرد أن الاشيريين لم يطردوا سكان عكو ولا سكان صيدون وأحلب وأكزيب وحلبة وأفيق ورحوب، فسكن الاشيريون في وسط الكنعانيين سكان الأرض لانهم لم يطردوهم. يستدل من هذا النص أن صيدون كانت ضمن ميراث أشير، ولكن أهلها لم يطردوا فسكن بنو إسرائيل بجوارهم أو في وسطهم. وحيث أن هذا النص لم يشر إلى صور كما في يشوع ١٩، فهي كانت حتماً خارج حدود الأشيريين الذين وصل تخمهم إلى محاذاتها دون أن تكون داخلة فيه. وهذا الواقع يخالف جغرافية لبنان في أجزائه الجنوبية المجاورة لفلسطين. فلو كانت صيدون المقصودة في سفر القضاة هي صيدون اللبنانية لكان أشار النص حتماً إلى أن سكان صور لم يطردوا، وإلى أن الاشيريين سكنوا في وسطهم كما سكنوا في وسط الصيدونيين. لان القول بأن سبط أشير سكن في وسط الصيدونيين يتناقض مع واقع صور وصيدون اللبنانيتين من زاويتين: الأولى أن سكن بني أشير في وسط الصيدونيين يستتبع بالضرورة سكنهم في وسط الصوريين، ويستتبع حتماً أن تكون صور الواقعة جنوب صيدا اللبنانية، واقعة ضمن تخم الاشيريين. والثانية، تتعلق بالنصوص التي تتناول صور التوراتية. فليس هناك أية إشارة إلى أن الصوريين قد بقيوا ضمن بني إسرائيل امتحاناً وتجربة من قبل يهوه إله إسرائيل لشعبه، بينما ترد الإشارة بكل وضوح

إلى أن الصيدونيين والكنعانيين وأقطاب الفلسطينيين الخمسة والحويين سكان جبل لبنان قد تركهم الرب (يهوه) ليمتحن بهم إسرائيل، فسكن بنو إسرائيل في وسطهم (قضاة ٣: ٣ - ٥) [٢١٢]. فلو كانت صور التوراتية هي صور اللبنانية، لكانت أيضاً ضمن إسرائيل ليمتحن بهم يهوه شعبه المختار. وحيث أنها ليست كذلك فقد كانت خارج الإطار الجغرافي للكنعانيين والصيدونيين الباقين لغاية محدّدة.

وفي سفر صموئيل الثاني ٢٤: ٦ - ٧، حيث يرد الكلام على البعثة التي أرسلها داود الملك لاحصاء شعب إسرائيل، فوصلت إلى صيدون قبل أن تصل إلى صور ومنها إلى مدن الحويين والكنعانيين، ثم إلى جنوبي يهوذا إلى بئر السبع[٢١٣]. إن هذا النص في إطاره الجغرافي يتماثل

---

[٢١٢] يقول نص القضاة المشار إليه هنا أن الشعوب الذين تركهم الرب (يهوه) في وسط إسرائيل هم: "أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون إلى مدخل حماة". وإذا قرئت الجملة الأخيرة في ضوء جغرافية لبنان وسوريا، أي من جبل الشيخ في أقصى جنوب سلسلة جبال لبنان الشرقية وحتى حماه في وادي العاصي، فإن الصوريين اللبنانيين يفترض أن يكونوا حتماً داخل إسرائيل، وهذا ما لم يقله النص إطلاقاً.

[٢١٣] يستدل من هذا النص أيضاً أن صور وصيدون هما في جنوب أرض إسرائيل. فالنص يقول حرفياً: "ثم أتوا ... إلى صيدون ثم أتوا إلى حصن صور وجميع-

مع نص يشوع ١٩ حيث تخم الاشيريين يصل إلى صيدون قبل صور[٢١٤].

ويذكر النص التوراتي تكراراً أن بني إسرائيل حين عملوا الشر في عيني الرب "عبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب (إلههم) و لم يعبدوه" (قضاة ١٠: ٦)[٢١٥]. أليس مستغرباً حقاً أن تذكر النصوص التوراتية كل آلهة الأمم والمدن المجاورة تقريباً ولا تذكر آلهة صور الأقرب إلى فلسطين من صيدون ولو مرّة واحدة على الأقل؟!.

ويذكر سفر الملوك الأول ١٦: ٣١ أن آخاب ملك إسرائيل "اتخذ إيزابل إبنة أتبعل ملك الصيدونيين إمرأة". إن إتبعل هذا ملك صيدون التوراتية الذي صاهر ملك إسرائيل يتحول في نظر بعض الباحثين التوراتيين إلى ملك صور؟!، ويتحول الصيدونيون إلى فينيقيين، لماذا؟

=مدن الحويين والكنعانيين، ثم خرجوا إلى جنوب يهوذا إلى بئر السبع". قارن مع فصل لبنان التوراتي في التيمن.

[٢١٤] إذا كان تخم الاشيريين وفق يشوع ١٩ يمر بصيدون، ثم بالرامة، ثم بالمدينة المحصنة صور قبل أن تصل مخارجه إلى البحر، فان هذه الاحداثيات لا تتلاءم مع صور وصيدون اللبنانيتين. فإذا كان المخرج النهائي عند صور أو قربها عند حوصة في أكزيب، فان صيدون اللبنانية تصبح خارج هذا التخم، وهي في النص داخل أراضي أشير وصور على تخمها.

[٢١٥] يرد ما يشبه هذا النص (إلى هذا الحدّ أو ذاك) في قضاة ١٠: ١٢، وملوك أول ١١: ١، ٣١، ٣٣، وملوك ثاني ٢٣: ١٣، ١٤.

لكي تستقيم قراءة النص في ضوء جغرافية لبنان المتوسطي، وصور وصيدون اللبنانيتين[٢١٦]. وإذا لم يرد في قائمة ملوك صيدون اللبنانية شخص اسمه إثبعل، فلا بأس أن يكون ملك صور لوروده في لائحة ملوكها، طالما أن ملك الصيدونيين هو ذاته ملك الفينيقيين والصوريين؟ .[٢١٧]لكن النص التوراتي يقول بكل وضوح "إثبعل ملك الصيدونيين". وليس هناك من حاجة للافتراض بأن هذه العبارة تشمل "فينيقيا" إلاّ لعدم توافقها مع واقع صيدون اللبنانية. لكن إذا كانت صيدون التوراتية هي غيرها صيدون اللبنانية، فليس ثمة من مشكلة في اعتبار إثبعل ملكاً عليها.

نعود الآن إلى السؤال الأول الذي طرحناه أعلاه في مقدمة هذا الفصل، وهو: هل صيدون التوراتية مدينة ساحلية أم جبلية بعيدة عن البحر؟

بعد مراجعة شاملة لكل النصوص التوراتية التي تتحدث عن صيدون المدينة العظيمة، لم نجد إشارة واحدة أكيدة يمكن الاستناد إليها للقول بأن صيدون مدينة بحرية. وعلى النقيض تماماً، فالجملة الواردة في

[٢١٦] أنظر الترجمة اليسوعية (ط ١٩٨٩)، ص٦٦٣ هامش رقم٣. كذلك لبنان في الكتاب المقدس، م. س، ص ١٤٤، هامش رقم ٣٠، و٢٤١. وهم ينقلون في هذه المسألة عن فيليب حتي في "تاريخ لبنان".

[٢١٧] راجع تاريخ لبنان، لفيليب حتي، ص ١٢١.

تكوين ٤٩: ١٣ والقائلة بأن "زبولون عند ساحل البحر يسكن وهو عند ساحل السفن، وجانبه عند صيدون"، يستفاد منها أن صيدون ليست على البحر، بل هي مدينة جبلية لأن تخم زبولون كما يتصوره يعقوب العارف جيداً طبيعة أرض إسرائيل الموعودة، يمتدّ من ساحل البحر في جانبه الأول إلى صيدون في جانبه الثاني. وحتى لو لم يسكن زبولون فعلاً عند ساحل البحر بعد دخول أرض كنعان في عهد يشوع وتقسيم الأرض المفتحة على الاسباط الاثني عشر، وفق ما ورد في سفر يشوع١٩: ١٠-١٦، فان هذا يؤيّد وجهة نظرنا ولا ينفيها.

أما الفقرة الواردة في تكوين ١٠: ١٩ والتي تتحدث عن تخوم الكنعانيين التوراتيين قائلة "وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة"، فقد قرئت في ضوء جغرافية الساحل الفينيقي عند الساحل الشرقي للبحر المتوسط، بحيث اعتبرت صيدون التوراتية مدينة بحرية وفق هذا الواقع الجغرافي، من جهة، ومن جهة أخرى الحد الشمالي لأرض كنعان التي استولى عليها الاسرائيليون فيما بعد. ولنا على هذه القراءة الملاحظات التالية:

أ - إن نص التكوين ١٠: ١٩ لا يحدّد إذا ما كانت صيدون واقعة عند ساحل البحر.

ب - إن النص لا يذكر أن صيدون تقع على التخم الشمالي لأرض كنعان.

ج - إن قراءة هذا النص في ضوء جغرافية فلسطين ولبنان بحيث تكون صيدون في شمال أرض إسرائيل، يتناقض مع نص يشوع ١٣: ٤، حيث صيدون من التيمن.

د - إن هذه القراءة تتناقض كذلك مع نص التثنية ١: ٧، حيث الإشارة من أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات (نهر فرت)، كما تتناقض مع نص يشوع ١: ٤ الذي سبق تحليله[٢١٨].

وفي سفر الملوك الأول ٥: ١ - ٦، يطلب الملك سليمان من حيرام ملك صور أن يقطع له خشباً من لبنان لبناء الهيكل، قائلاً له: "والآن فأمر أن يقطعوا لي أرزاً من لبنان، ويكون عبيدي مع عبيدك وأجرة عبيدك أعطيك إياها ... لأنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين". ماذا يستنتج من هذا النص؟

يستنتج أولاً أن الصيدونيين ماهرون في قطع الأخشاب، لذلك فاننا نعتقد أنهم في منطقة جبلية غنية بغابات الأرز (العرعر) والسرو والشربين. كما نعتقد أن الجبليين الوارد ذكرهم في الملوك الأول ٥: ١٨ الذين هيأوا الأخشاب لتأمين حاجة سليمان، ليسوا إلاّ الصيدونيين المشار

[٢١٨] سبق تحليل هذين النصّين في فصل "لبنان التوراتي في التيمن."

إليهم في ٥: ٦. فلا يصح إذاً اعتبار هؤلاء الجبليين أنهم أهل جبيل في لبنان[٢١٩].

ونستنتج ثانياً أن هؤلاء الصيدونيين ليسوا بالمكانة التي كانت تحتلّها صور عند سليمان، وإلا لكان سليمان وجه طلبه إلى ملك صيدون مباشرة دون وساطة ملك صور. لكنه طلب من حيرام أن يأمر الصيدونيين بقطع الخشب. لذلك نرجح أنهم كانوا -بشكل من الاشكال- تحت وصاية أو سلطة حيرام الصوري. وهذا الواقع الذي يظهره النص التوراتي لا ينسجم مع واقع صيدون اللبنانية التي كانت مدينة بحرية عريقة كما هي الحال بالنسبة لصور. أما توراتياً فإن شهرة صور البحرية وعظمتها فاقت شهرة صيدون وطغت عليها إلى درجة أصبح معها أهل صيدون (كما أهل جبل التوراتية) ملاحين في أسطول صور التجاري العامل عبر بحار شبه الجزيرة العربية.

لايش أو لشم الصيدونيين

يخبرنا الاصحاح الثامن عشر من سفر القضاة أن سبط الدانيين كان يطلب مكاناً ليستقرّ به. والسبب أن نصيبه الذي عيّن له وفق يشوع ١٩: ٤٠ - ٤٨ لم يستطع أخذه كاملاً وطرد الاموريين منه، بل على العكس فإن الأموريين هم الذين حصروا بني دان في الجبل

[٢١٩] أنظر ما سبق الاشارة إليه ٢٦٩.

و لم يدعوهم ينزلون إلى الوادي. فعزم الأموريون على السكن في جبل حارس في أيلون وفي شعلبيم (قضاة ١: ٣٤ - ٣٥)[٢٢٠].

ولهذا السبب أخذ الدانيون يبحثون عن مكانٍ آمنٍ لتوسعهم. وقد ورد في يشوع ١٩: ٤٧ أن تخم بني دان خرج منهم، فصعد بنو دان وحاربوا لشم وأخذوها وضربوها بحد السيف وملكوها وسكنوها. وترى الترجمة اليسوعية (١٩٨٩)[٢٢١]. أن بني دان قد هاجروا من مقرهم الأول بجوار يهوذا إلى مقرهم الجديد في لايش، وهذا التصور يستند على ما يبدو إلى عبارة يشوع ١٩ "وخرج تخم بني دان منهم"، لكن ليس بالضرورة أن تفهم هذه العبارة على أن الدانيين قد طردوا نهائياً من مقر إقامتهم الأول. وهذا يستند إلى ما جاء في القضاة ١: ٣٤ المشار إليه أعلاه، حيث نفهم أن الدانيين حُصِروا في الجبل و لم ينزلوا إلى الوادي في أيلون وشعلبيم اللتين أعطيتا لهم، فعزم الأموريون على السكن

---

[٢٢٠] إن إيلون وشعلبيم (أو شعلبين) تردان في يشوع ١٩: ٤٠ - ٤٨ في نصب بني دان بالاضافة إلى صرعة وأشتأول اللتين أعطيتا أولاً لسبط يهوذا (يشوع ١٥: ٣٣). مما يستنتج أن سبط دان كان مقيماً بمحاذاة سبط يهوذا، أو على الأرجح كانا يتقاسمان منطقة جغرافية محددة لهما.

[٢٢١] أنظر ص ٥٠٢.

في جبل حارس حيث توجد هاتين القريتين. أما باقي قرى سبط دان التي وردت في يشوع ١٩ فلا يذكر أنهم أخرجوا منها أيضاً[٢٢٢].

وقد أرسل الدانيون خمسة رجال منهم ليفتشوا عن مكان للتوسع، فوجدوه في لايش ورأوا الشعب الذي فيها ساكناً بطمأنينة كعادة الصيدونيين، فرجعوا إلى إخوتهم في صرعة وأشتأول وأخبروهم بما رأوا (قضاة ١٨: ٧ وما بعدها). "فارتحل من هناك من عشيرة الدانيين من صرعة ومن أشتأول ست مئة رجلٍ متسلحين بعدّة الحرب... وجاءوا إلى لايش إلى شعب مستريح مطمئن وضربوهم بحدّ السيف وأحرقوا المدينة بالنار، و لم يكن من ينقذها لأنها بعيدة عن صيدون... وهي في الوادي الذي لبيت رحوب" (قضاة ١٨: ١١، ٢٧، ٢٨).

وقد اعتبرت لايش أو لشم التي احتلّها بعض الدانيين، واقعة في سفح جبل الشيخ اللبناني (المعتبر حرمون التوراة)، عند قرية تل القاضي المجاورة لبانياس في جنوب سوريا[٢٢٣]. ويعود سبب ذلك لكونها تخص الصيدونيين ولكنها في الوقت عينه بعيدة عنهم، فلم يستطيعوا

---

[٢٢٢] يرى قاموس الكتاب المقدّس، أن بني دان "كانوا يطلبون مكاناً يضيفونه إلى نصيبهم"، وليس للهجرة إليه (أنظر ص ٣٥٦).

[٢٢٣] أنظر قاموس الكتاب المقدّس، ص ٨٠٩. ولبنان في الكتاب المقدّس، م. س، ص ١٤٧.

إنقاذها. أما بيت رحوب أو الوادي الذي لبيت رحوب فقد اعتبر وادي الحاصباني، أما رحوب فقد اعتبرت في وادي البقاع عند عنجر[٢٢٤]. لكن هل صحيح أن بني دان، أو بعضاً منهم، قد هاجروا من أقصى جنوب أرض إسرائيل من جوار يهوذا[٢٢٥]، إلى حرمون وباشان الواقعتين شمالاً شرقي صيدون. إن الملاحظات التالية ستعطي الإجابة عن هذا التساؤل:

أ - إن عشيرة الدانيين لم تهاجر كلها إلى لايش، بل ارتحل منهم ستة مئة رجل وفق ما يقوله النص. وهؤلاء هم على الأرجح الذين كان نصيبهم قد عيّن لهم في أيلون وشعلبيم في جبل حارس، فلم يستطيعوا أخذهما من الأموريين. أما الباقون الذين كانوا في القرى الأخرى المذكورة في يشوع ١٩ فلم يرحلوا لأن قراهم لا يُذكر في نص القضاة الأول أنها أخذت منهم كما ذكرت أيلون وشعلبيم. فصرعة وأشتأول لا يرد أن الأموريين عزموا على استعادتهما أيضاً. وقد بقيت صرعة التي كانت مسقط رأس شمشون[٢٢٦]، بيد الاسرائيليين، وقد حصنها

---

٢٢٤ المرجع السابق.

٢٢٥ ورد في يشوع ١٨: ٥ أن يهوذا "يقيم على تخمه من الجنوب وبيت يوسف على تخمهم من الشمال".

٢٢٦ أنظر قضاة ١٣: ٢، وشمشون كان من عشيرة الدانيين، وعندما مات دفن في قبر أبيه بين صرعة وأشتأول (قضاة ١٦: ٣١).

رحبعام كما ورد في الأخبار الثاني ١١: ١٠، وسكن فيها بعض العائدين من السبي (نحميا ١١: ٢٩).

ب – عندما ارتحل الرجال الست مئة من صرعة وأشتأول، صعدوا إلى قرية يعاريم التي ليهوذا، وعبروا من هناك، من محلة دان وراء قرية يعاريم إلى جبل افرايم وجاءوا إلى بيت ميخا، ومن هناك انطلقوا إلى لايش. وعليه فمن المفترض ألا تكون لايش بعيدة جداً عن جبل افرايم. وإذا كان نصيب افرايم لا يتصل البتة بنصيب منسى الذي أخذ في باشان وامتدّ إلى حرمون[٢٢٧]، فلا يفترض أن تكون لايش عند سفح حرمون بل عند جبل إفرايم.

ج – إن لايش التي سيطر عليها الدانيون تغير إسمها إلى دان. فإذا اعتبر دان في باشان أو حرمون فان هذا سوف يتناقض مع المعطى الوارد في الأخبار الأول ٥: ٢٣[٢٢٨].

---

[٢٢٧] لقد أعطي نصف سبط منسى ميراثه في شرقي الأردن مع بني جاد ورأوبين. فكان نصيبه في جلعاد وباشان (يشوع ١٧: ١ و١٣: ٢٩). ثم امتدّ بنو منسى هؤلاء من باشان إلى بعل حرمون وسنير وجبل حرمون. (أخبار أول ٥: ٢٣). أما بشأن نصيب إفرايم الذي كان في غربي الأردن، فراجع يشوع ١٦: ٥ وما بعدها.

[٢٢٨] أنظر خريطة توزع الأسباط في الترجمة اليسوعية (ط ١٩٨٩)، حيث وضع دان في باشان وحرمون شرقي صور وصيدون الفينيقيتين.

د - يقول إرميا في الاصحاح ٤: ١٥ متحدثاً عن دان: "لأن صوتاً يخبر من دان ويسمع ببلية من جبل إفرايم". إن إقتران دان بجبل إفرايم في هذه القرينة يؤيد تحليلنا السابق بأن لايش دان هي في موضع قريب من جبل إفرايم وليست في موضع قريب من باشان أو حرمون اللذين كانا من أرض سبط منسى في عبر الأردن شرقاً.

هـ - نحن لا ننفي أن قسماً من بني دان قد ارتحل من جوار يهوذا، من صرعة وأشتأول باتجاه الشمال. بل بالعكس إن ارتحالهم إلى جبل إفرايم الذي انطلقوا منه إلى لايش، يعني أنهم قد اتخذوا وجهة الشمال وذلك لأن إفرايم من بني يوسف كان ميراثه على تخم الشمال وفق المعطى الوارد في يشوع ١٨: ٥ وما بعدها.

و - فاذا كان صحيحاً أن لايش دان البعيدة عن الصيدونيين واقعة في مكان ما من شمال أرض إسرائيل، فإن هذا لايستتبع بالضرورة أن تكون لايش هذه عند سفح جبل حرمون، هذا أولاً، وثانياً أن تكون صيدون واقعة هي الأخرى في شمال أرض إسرائيل[٢٢٩].

ز - ليس هناك من مستند في النصوص التوراتية يدعم القول بأن لايش أو لشم الدانيّين واقعة عند سفح جبل حرمون التوراتي.

---

[٢٢٩] لقد أثبتنا في فصل سابق (لبنان التوراتي في التيمن) أن صيدون التوراتيّة وحرمون وبعلحرمون وبعل جاد واقعة في جنوب أرض إسرائيل، وليس في شمالها.

فقد ورد هذا الاسم مرة في سفر يشوع ١٩: ٤٧ (لشم)، وثلاث مرات في سفر القضاة ١٨: ٧، ١٤، ٢٧ (لايـــش) دون أن يكـــون مرتبطـــاً بحرمون. وإذا كان نص القضاة ١٨ يذكر أنها واقعة في الـــوادي الـــذي لبيت رحوب، فان هذا لا يعني اقترانها بحرمون.

صرفة صيدون

تأتي التوراة على ذكر صرفة مرة واحدة في سفر الملوك الأول ١٧: ٩، مقترناً اسمها بصيدون وإيليا النبي على إثر انحباس المطر في أرض إسرائيل مدّة ثلاث سنوات ونيّف[٢٣٠].

وبفعل انحباس المطر اتجه إيليا شرقاً إلى نهر اسمه كريث وبقي هناك حتى جف النهر، فكلّمه الرب (يهوه) قائلاً: "قم واذهب إلى صرفة التي لصيدون وأقم هناك. قد أمرت هناك امرأة أن تعولك. فقام وذهب إلى صرفة". وأخذت صرفة التي لصيدون تقليدياً على أنها الصرفند جنوب صيدون اللبنانية[٢٣١]. أما عن انحباس المطر في فلسطين ولبنان مدّة ثلاث سنوات ونصف، فيستند الباحثون إلى يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي عاش في القرن الأول الميلادي (٣٧ - ١٠٠م). فقد تحدّث هذا المؤرخ الذي عاش في فلسطين عن مجاعة حصلت خلال حكم اثبعل ملك صور دامت سنة كاملة. فتم ربط هذه الاشارة عند يوسيفوس

---

٢٣٠ ذكرت هذه الواقعة في العهد الجديد، لوقا ٤: ٢٥-٢٦، حيث يرد أن المطر انحبس مدّة ثلاث سنوات وستة أشهر. كما ذكرت صرفة في عوبديا ٢٠ دون أن تقترن بصيدون.

٢٣١ قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٤٢. ولبنان في الكتاب المقدّس، ص ١٤٧.

بواقعة انحباس المطر في زمن إيليا النبي والجوع الـــذي حصـــل في أرض اسرائيل بسبب ذلك[٢٣٢].

وفي ما نعتقد أن هذه الواقعة لم تحصل بـين فلسـطين ولبنان، لسبب جوهري وهو أن المطر لا ينحبس مدّة ثلاث ســنوات أو أكثر في منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط. فليس هناك في المدوّنــات التاريخية والجغرافية أية إشارة لمثل هذا الأمر، ولا حتى لامكان انحبـاس المطر مدّة سنة كاملة. أما عن المجاعة التي تحدث عنها يوسيفوس ودامـت سنة، فليست أمراً نادر الوقوع أو استثنائياً حتى يتم ربطها بواقعة النـبي إيليا. فقد تحدث الدويهي في "تاريخ الأزمنة" مرات عديدة عن سـنوات القحط والضيق الاقتصادي وفقدان القمح، وخراب قرى ومزارع عديدة ونزوح أهلها. فسنة ١٦٣٦م كانت "سنة مقحطة"، فدخلت التشـارين وكانون الأول والدنيا رايقة بلا مطر[٢٣٣]، "فضاجت الناس وبطل البيـع والشراء ورحل من طرابلس أعيال كثيرة"[٢٣٤].

---

[٢٣٢] لبنان في الكتاب المقدس، ص ٢٥٠.

[٢٣٣] يلاحظ هنا أن الدويهي يعتبر أن دخول شهر كانون الأول دون هطول المطـر يعدّ أمراً استثنائياً.

[٢٣٤] تاريخ الأزمنة، نشره الأباتي بطرس فهد، بيروت ١٩٧٦، ص ٥١٣ - ٥١٤.

لكن أين حصلت واقعة انحباس المطر مدّة ثلاث سنوات ونصف، وهجرة النبي إيليا إلى صرفة صيدون؟ إن الاجابة عن هذا التساؤل تلقي مزيداً من الضوء على الموقع المحتمل لصيدون التوراتية[235].

يذكر المؤرخ فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب المطوّل، عن مناخ الجزيرة العربيّة وأمطارها، أن الجزيرة من أشدّ البلاد جفافاً وحراً، وهي من الأقاليم العديمة المطر. "ويرى العربي في المطر رحمة من الله ومن مرادفات اسمه الغيث، وفيها ما فيها من معاني العون والنصرة. وفي الحجاز مهد الاسلام تنتاب البلاد مواسم جفاف قد تستمر ثلاث سنوات أو أكثر، ومع ذلك فمعدّل سقوط المطر فيها يزيد عنه في مصر الوسطى"[236].

وعليه فان المكان الأكثر احتمالاً لانحباس المطر مثل هذه المدّة، هو الحجاز وما يليه جنوباً من عسير وتهامة حتى مشارف اليمن حيث لا يعود ينحبس المطر لسنوات[237].

---

[235] سبق وأشرنا إلى الموقع المحتمل لصيدون عند بلدة صعدة اليمنية أو في جوارها، أنظر ص ١٩٣.

[236] تاريخ العرب، ص ٤٣ - ٤٤.

[237] يشير الهمداني في الصفة إلى أمطار اليمن الفصلية دون الاشارة إلى انحباس المطر مدّة ثلاث سنوات وأكثر، ص ٢٩٩.

وقد أشارت التوراة أكثر من مرّة إلى حصول مجاعة في أرض اسرائيل، كان سببها إما انحباس المطر أو الجراد[٢٣٨]. إن تكرار هذا الأمر يؤكد أن البلاد معرضة للجفاف وموجات الجراد التي تزيد الوضع سوءاً. إن الاستنتاج المنطقي الذي نخرج به استناداً إلى ما تقدم، هو أن مسرح الواقعة التي جرت في أيام النبي إيليا وانحباس المطر، وما أعقبه من جفاف وجوع في الأرض، كان في شبه الجزيرة العربية عند ساحل البحر الأحمر. وعندما توجه النبي إيليا إلى صرفة صيدون، لم يتوجه في الواقع إلى جنوب لبنان، حيث من المؤكد أن يعم الجفاف كما في فلسطين إذا حصل انحباس للمطر مثل هذه المدّة. بل توجه من الحجاز أو تهامة جنوباً نحو صيدون اليمنية التي رجحنا أن تكون بلدة صعدة في بلد همدان بشمال اليمن حيث منطقة لبينان وحرمون وصور وجبل الكرمل عند ساحل البحر الأحمر الذي وقف عليه النبي إيليا في نهاية مدّة الجفاف ليعلن قدوم أول الغيث.

إن توجه النبي إيليا نحو صرفة في اليمن هو أمر طبيعي في حال حصول جفاف في الحجاز وتهامة، فاليمن لا يعاني من مثل هذا الجفاف وانقطاع المطر لثلاث سنوات وأكثر. وعليه فاليمن ملاذ لمن

---

[٢٣٨] راجع ملوك أول ٨: ٣٥، ٣٧، مزمور ٧٨: ٤٦ و١٠٥: ٣٤. زكريا ١٤: ١٧. ويذكر صموئيل الثاني ٢٢: ١ عن مجاعة حصلت في أيام داود دامت ثلاث سنين سنة بعد سنة.

يبحث عن الماء والغذاء، وقد وجده النبي على ما أظن عند امرأة من بني "صرف" وهم قبيل من سبأ ذكرهم الهمداني في الصفة[239].

وختاماً تجدر الإشارة إلى أن كلمة صيدون (صيدن) بالعبرية تعني الصيد أو موضع الصيد. وعندما نرجح بلدة صعدة اليمنية موقعاً محتملاً لصيدون التوراتية فذلك للاعتبارات التالية:

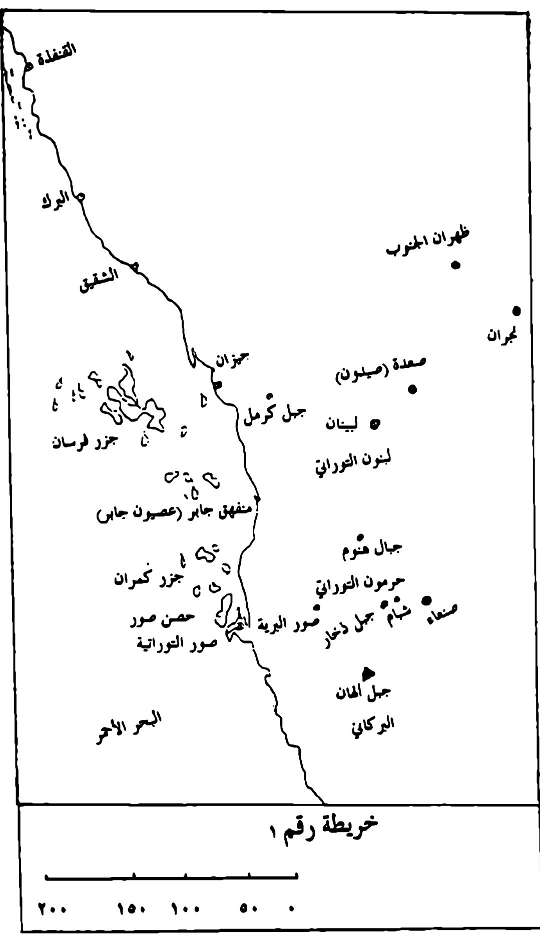
١ - كونها من بلد همدان حيث لبنان، وهي بلدة جبلية واقعة إلى الشمال الشرقي من رأس البياض عند كمران. وهذا ينسجم مع الاحداثيات الواردة في يشوع ١٩ وصموئيل الثاني ٢٤. وعليه فهي أقرب إلى أرض اسرائيل من صور اليمنية.

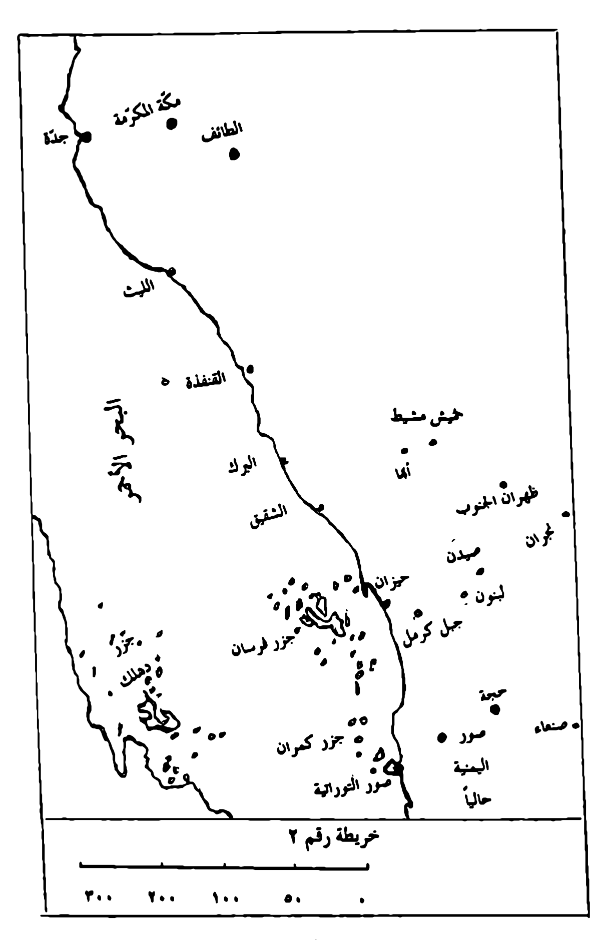
٢ - إنها في الإطار الجغرافي الذي يوجد فيه بنو "الصيّد" من حاشد من همدان الذين ربما كانوا من بقايا صيدونيّي التوراة[240].

---

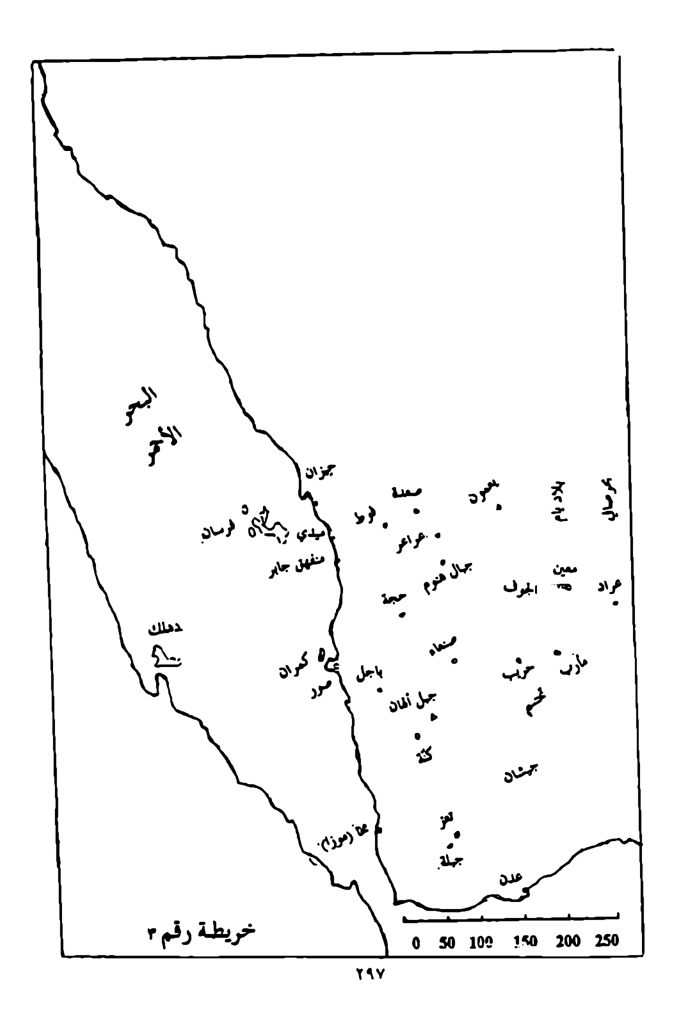
[239] أنظر ص ١٩١.

[240] المرجع السابق، ص ١٥٧، ٢٣٩.


القنفذة
البرك
الشقيق
جيزان
جبل كرمل
جزر فرسان
منفهق جابر (عصيون جابر)
جزر كمران
حصن صور
صور التوراتية
صور البرية
البحر الأحمر
ظهران الجنوب
نجران
صعدة (صيلون)
لبنان
لبنون التوراتي
جبال هنوم
حرمون التوراتي
صنعاء
شبام
جبل ذخار
جبل الهان
البركاني
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠
خريطة رقم ١


مكّة المكرّمة
جدّة
الطائف
الليث
القنفذة
البحر الأحمر
البرك
الشقيق
خميس مشيط
أبها
ظهران الجنوب
نجران
صيدَن
جيزان
لبنون
جبل كرمل
جزر فرسان
جزر دهلك
حجة
صنعاء
صور اليمنية حالياً
جزر كمران
صور التوراتية
٠
٥٠
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠

خريطة رقم ٢


البحر الأحمر
جزان
صعدة
فرسان
ميدي
منفهق جابر
عراعر
حجة
معين
الجوف
عراد
دهلك
كمران
صنعاء
مأرب
حريب
باجل
جبل أملان
جيشان
تعز
جبلة
عدن
مخا (موزع)
0 50 100 150 200 250

خريطة رقم ٣

فهرس المصادر والمراجع

- ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ إصدار.
- ابن كثير، تفسير القرآن، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦.
- ابن منظور، لسان العرب، طبعة صادر، بيروت، ١٩٨٠.
- جدعون، موريس، حنا الحلو وغسان خلف، معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدّس، دار النشر المعمدانية، بيروت ١٩٧٧.
- حتّي، فيليب، ادوارد جرجي وجبرائيل جبّور، تاريخ العرب، دار غندور، ط٥، بيروت ١٩٧٤.
- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، طبعة مصر ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٦م. كذلك طبعة دار صادر، بيروت ١٩٨٦.
- خلف، القس غسان إيليا:

أ - لبنان في الكتاب المقدّس، دار منهل الحياة، لبنان ١٩٨٥.

ب- محاضرة في مركز الحركة الثقافية أنطلياس، رداً على الصليبي. (نسخة مصوّرة).

- الدويهي، البطريرك اسطفان، تاريخ الأزمنة، نشرة الأباتي بطرس فهد، بيروت ١٩٧٦.

- الديار، جريدة لبنانية، أعداد ٢٩ و٣٠/٩، و١/١٠، ١٩٩٠.

- ديب، فرج الله صالح:

أ - التوراة في اللغة والتاريخ والثقافة الشعبية، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٩.

ب - التوراة العربية وأورشليم اليمنية، مؤسسة نوفل، بيروت ١٩٩٤.

ج - اليمن هي الأصل، دار الكتاب الحديث، بيروت ١٩٨٨.

- ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، طبعة جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٧١.

- الزبيدي، السيّد مرتضى، تاج العروس، طبعة مصر ١٢٨٦ هـ.

- زيدان، جرجي، العرب قبل الاسلام، بدون تاريخ إصدار وذكر الناشر.

- الساعاتي، حسن، وعبد الحميد لطفي، دراسات في علم السكان، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧١.

- سالم، عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة، بيروت، بدون تاريخ إصدار.

- السواح، فراس، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، نظرية كمال الصليبي في ميزان الحقائق التاريخية والآثارية، دار المنارة، دمشق ١٩٨٩.

- الصليبي، كمال:

أ - التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزّاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٥.

ب - خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقي، لندن ١٩٨٨.

ج - حروب داود، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، عمان ١٩٩٠.

- الطبري، تاريخ الطبري، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٧٤.

- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٦.

- القرآن الكريم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٠٦ هـ.

- قوجمان، ي، قاموس عبري - عربي، مكتبة المحتسب، القدس ١٩٧٠، توزيع دار الجيل، بيروت.

- الكتاب المقدّس:

١ - الترجمات العربيّة:
أ - الترجمة اليسوعية، دار المشرق، ١٩٨٦.
ب - الترجمة اليسوعية، دار المشرق، ١٩٨٩.
ج - ترجمة جمعية الكتاب المقدّس في لبنان، إصدار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، ط١، ١٩٩٣.
د - الترجمة الانجيلية، إصدار دار الكتاب المقدّس في العالم العربيّ، ١٩٨٣.
٢ - الترجمات الفرنسيّة:
أ- طبعة سويسرا، ١٩٦٤، باشراف Louis Segond
ب- الترجمة المسكونية للكتاب المقدّس (TOB)، باريس ١٩٧٥.
٣ - النص العبري للعهد القديم (التوراة)، طبعة القدس، ١٩٧٠.

- كمال، ربحي:
أ - دروس اللغة العبرية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٣.
ب- قاموس عبري-عربي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٥.

- المنارة، مجلّة، تصدرها جمعية المرسلين اللبنانيين الموارنة، السنة السابعة والعشرون، العددان الأول والثاني، ١٩٨٦.

- نخبة من الأساتذة واللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدّس، باشـــراف د. بطرس عبد الملك، د. جون ألسكندر طمسن، الأستاذ ابراهيم مطر، ط٢، بيروت ١٩٧١.
- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العـــرب، تحقيـــق محمد بن علي الأكوع الحوالي، إشراف حمد الجاســـر، دار اليمامـــة، الرياض، ١٩٧٧.
- ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، طبعة مصر ١٣٤٨ هـ/ ١٩٢٩م.
- Encyclopaedia Universalis, Paris 1990.

فهرس الأماكن والأعلام

- ب -

- ح -

- ذ -

- ر -

- ش -


معرض الشوف الدائم للكتاب
بقعاتا - الشوف
ت: ٠٥/٥٠٧٥٧٦ - ٠٣/٨٥٦٧٩٣

فهرس المحتويات

لبنان التوراتي في اليمن

وحيث أن دراستنا هذه تهدف الى إثبات أن لبنان التوراتي ليس لبنان الحالي على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، بل هو لبنان اليمن. فإننا قد اعتمدنا مخططا منهجيا يمكن أن يكون صالحا لإعطاء أحكام تقارب اليقين. وإن لم تكن نهائية. كما يمكن أن يتشكل أرضية متينة بموازاة المنهج الفيلولوجي غير القادر على حسم مثل هذه المقولات في ظل فقدان المعطيات الأركيولوجية. إن المنهج الذي ترتكز اليه هذه الدراسة هو منهج تحليل النصوص التوراتية أو «منطق النص التوراتي».

إن لبنان (لبنون عبريا) الذي تتناوله هذه الدراسة، هو فقط الذي ذكر في أسفار التوراة. ولا يتعلق البتة بلبنان الذي ذكر في الانجيل (العهد الجديد) تحت اسم بلاد فينيقيا. فقد ورد اسم لبنان سبعين مرة في العهد القديم. أما في العهد الجديد فلم يرد إسم لبنان بل ورد ذكر بلاد فينيقيا التي تعني دون أدنى شك لبنان الحالي على ساحل المتوسط. ان صور وصيدون وقانا التي جاء اليها السيد المسيح ومريم العذراء وبولس الرسول هي في لبنان الحالي.

ومما يدعو إلى الاستغراب أن تعبير بلاد فينيقيا الذي شاع عند الإغريق منذ القرن العاشر قبل الميلاد، لم يرد في أسفار التوراة التي كتبت بعد ذلك بقرون. فإذا كانت أرض اسرائيل بجوار فينيقيا فما السبب الذي حال دون وصول هذا الاسم الى مسامع كتبة الأسفار؟

من مقدمة الكتاب

المؤلف الدكتور لطف الناس لطف. من مواليد عماطور في قضاء الشوف عام ١٩٤٩. يحمل دكتوراه دولة في الفلسفة منذ العام ١٩٨٥. وهو أستاذ الاسلاميات وتاريخ الحضارات والفلسفات الشرقيّة القديمة في معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت (١٩٨٥ ـ ٢٠٠٠). وقد قام بإنجاز هذه الدراسة على مدى إحدى عشرة سنة (١٩٨٩ ـ ٢٠٠٠) تخللتها سلسلة اعتراضات ومناقشات مع أهل الاختصاص وغيرهم، شملت معظم أقسامها.